IJA # 3176

مذكرات انور السادات

Mudhakkirāt Anwar El-Sadat

El-Sadat, Anwar

Baghdad

جمع وطبع
مديرية الامن العامة
الشؤون السياسية
الشعبة الاولى

مذكرات انور السادات

التي نشرت في مجلـة اكتوبـر

من العـدد ـ ١ ـ الى العـدد ـ ٢٢ ـ

(١)

من " أوراق "

الرئيس السادات

الجليد ... يذوب :

بين موسكو والقاهره :

صورتان : واحده في بيتنا : والثانيه

على جدران القاهره ..

١

تنفرد مجلة ((اكتوبر)) بنشر بعض ((أوراق)) الرئيس أنور السادات التي يتحدث فيها عن ((التكوين النفس والسياسي)) في مرحلة من حياته ...

وسوف نجد أنه يساير الأحداث الصغيره في حياته طالباً ريفياً بسيطاً ، وضابطاً شاباً متحمساً ، دفع الكثير بسبب حماسه وأخلاصه وحرصه على أن يساهم بشيء في كل ما يدور حوله .. ولكنه لم يتوقف لا عن القراءة والفهم ، ولا عن المشاركه في الحياة العامه ... و ((أوراق)) السادات أن لم تكن تسجيلاً لحياته وعرضاً تاريخياً لها ، فهي دعوه الى الأجيال القادمه أن تقلب في أوراق تاريخ مصر والعالم من حولنا لعلنا نجد جميعاً ما ينفعنا وينفع مصر .. فهذا هو أقدس واجباتنا

وهذه الأوراق تنفض التراب والجليد عن طريق يضيق ويتسع ويعتدل ويلتوى بنا وعلينا ، بين القاهره وموسكو ...

وكان السير في هذا الطريق أو السير عليه أو بمقتضاه تجربه مريره ، ذهاباً وإياباً ، انسداداً وانفتاحاً ، قبل ٦٧ وأثناءها وبعدها ... وحتى اليوم ....

اريد ان اصور لنفسي كيف تجمعت في راس وقلبي الافكار والاحلام منذ طفولتي وتبلورت بعد ذلك في معان واضحه ومحدده . او في معان احاول ان اوضحها املا في ان احقق شيئا من ذلك . تماما كما تتصاعد ابخرة المياه وتتحول الى سحب .. والسحب تجيء من اماكن بعيده ثم تهبط مطرا .. او كما تتساقط الامطار في اعالي النيل وتتحول جداول صغيره .. والجداول تتحول الى انهار صغيره .. ثم الى نهر النيل العظيم .. كذلك كانت افكاري واحلامي .. كلها جاءت من سنوات طفولتي البعيده ثم تدافعت واحتشدت واتجهت بي واتجهت بها الى العمل في السياسه والمشاركه في الحياة العامه .. او محاولتي ان افعل ذلك .. وكل انسان تكون آماله وهمومه الكبرى في عقله .. وفي وجدانه هكذا .. اقول هذا وانا احاول ان اجسم امام نفسي وامام الاجيال الشابه كيف كانت اهتماماتي بالحياة العطيه في سن صغيره . فالاحداث كانت من حولي كثيره والناس يتكلمون عنها ويشغلون خيالنا .. فنتساءل ونحاول ان نعرف معتمدين على قدراتنا الصغيره وعلى ثقافاتنا الضئيله .. وليس في قلوبنا الا حب مصر والايمان بالله .. فانا ريفي والا زال واكرر ذلك كثيرا ولذلك فانا شديد الايمان وشديد التمسك بالقيم الاخلاقيه وبالارض ولا استطيع ان احتمل من يمس ديننا وتقاليدنا العريقه او يدوس ارضنا .. وكان الانجليز يحتلون ارضنا من عشرات السنين وربما كان سبب تكراري لهذه المعاني ان الذي ما اعتز به وما ادعو الناس ان يفعلوه مثلي فالذي تملكه مصر ام الحضاره شيء كثير نفخر به ونتباهى به بين الامم .

ولما جاء والدي من السودان مع الجيش المصري سنة ١٩٢٤ كنت وما زال في قريتنا ((ميت ابو الكوم)) .. واخذنا والدي ... اخي وانا الى القاهره لنكمل دراستنا وسكنت في بيت في القبه .. القاهره كبيره .. والدنيا كبيره والناس كثيرون ومايملأ العين متنوع وما يملأ الراس لا حدود له . ومايوقظ الوجدان يتجدد يوما بعد يوم .. ولما انفتح باب بيتنا في القاهره .. تدفقت على راسي دنيا جديده كانت على الحائط صورة الصوره مفاجاة بل ان الصورة كانت دعوه الى وليمه تاريخية شهيه شيء غريب فلم تكن صورة لمصطفى

كامل الزعيم المصرى ولا صورة للملك ٠٠ ولا حتى صورة لمنظر جميل من تلك التي اعتادت بيوتنا أن تزين بها الجدران أو تخفي الجدران ٠

لقد كانت صورة الزعيم التركي مصطفى كمال اتاتورك ٠٠ كانت مفاجأة ما أزال أحس بها حتى الآن ٠ فقد هزتني بعنف فأطلق خيالي بعيداً ٠٠ ورحت أسأل أبي والناس وسمعت من والدى رحمه الله عليه الشيء الكثير عن هذا الزعيم الاسلامي سمعت الاعاجيب والأساطير أيضاً عن أتاتورك ٠

وصناعة الأساطير صناعه شعبيه عريقه فمن عادة الشعوب أن ترتفع بأبطالها كأنما ذلك نوع من الامتنان لهم ٠٠ فالأبطال يرفعون الشعوب والشعوب ترفعهم أيضاً وتبالغ في ذلك ٠

ولكن أتاتورك هذا قد التفت حوله آمال المسلمين الذين يحلمون بالتخلص من سلطان العثمانيين وأتاتورك هو هذا الشاب المتحمس القوى الشجاع العنيد أيضاً فقد اشترك في الجيش العثماني في ليبيا وفي فلسطين ولم يغب عن عينيه أن القوات اليونانيه تحتل أزمير ، وقوات الحلفاء تحتل الأناضول ٠٠ وما زال أتاتورك ينظم صفوف مؤيديه حتى كان له جيش فلا بد من القوة لتطبيق الفكره هذا شرط ٠

واستطاع أن يجلي القوات الأجنبيه وأن يطرد السلطان محمد السادس وأن ينهي السلطنه ويعلن الجمهوريه واتجه الى الغرب وأسفرت المرأة عن وجهها ومن وراء هذا كله تطلع العالم الاسلامي الى هذا النجم الصاعد ٠٠ ولم تكن قراءاتي في هذه السن الصغيرة تسعفني فما الذى أستطيع أن أفعله ؟ أو ما الذى يستطيع أن يفعله أعظم المفكرين السياسيين اذا لم تكن لديه قوة لتحقيق أحلامه ٠٠ لابد من قوة تسند الفكرة وترعاها وتحميها وتدفعها الى مراحل من الحياة والحيوية ٠٠٠ لابد و أعرف كيف زارتني هذه الفكرة ٠٠ لعلي أكون قد تركتها في مكانها ومضيت في حياتي أدرس ٠٠ ككل مواطن عادى ٠

وحدث شيء آخر شغلني وقتاً طويلاً فعندما تخرجت في الكلية الحربيه سنة ١٩٣٨ كانت الدنيا في حالة من الرعب بسبب هتلر أنه الزعيم النازى الجديد ٠٠ والعالم كله يتحدث عن الحرب واقتراب وقوعها

وفي ذلك الوقت حدثت ازمة ميونخ • فهتلر قد قرر ان يحتل جزءاً من تشيكوسلوفاكيا •• ووافقت ايطاليا وبريطانيا وفرنسا على ذلك •• وعاد هتلر يطلب المزيد من الارض واعترضت بريطانيا واخيراً اضطرت ان تبحث بتشمبرلين •• ووافقت بريطانيا وفرنسا على مطالب هتلر واحس تشمبرلين انه قد انتصر وانه حقق السلام للعالم كله •• ولما عاد الى بريطانيا قال للشعب الانجليزى لقد جئت لكم بالسلام والشرف•

ورأى المؤرخون ان تشمبرلين قد اجل نشوب الحرب العالمية • ورأى مؤرخون آخرون ان بريطانيا وفرنسا لو كانتا قد اعترضتا هتلر لعدل عن الحرب نهائياً ولكن تخاذل تشمبرلين هو الذى اغراه بان يذهب الى ابعد مدى وكان تشرشل هو الذى اعترض على تشمبرلين قائلاً (لقد كان على بريطانيا ان تختار بين الحرب والعار ولقد اخترنا العار • وسوف يفرض علينا القتال))• وصدقت نبوءة تشرشل بعد ذلك بقليل ••••

وفي هذا الجو المكهرب في العالم كله وزعونا نحن الضباط الجدد لحراسة المرافق العامه في القاهره ومن المؤكد ان مثل هذه الاحداث الصارخه تهز خيالنا كشبان وتجعل السؤال الملح على رؤوسنا يتجدد ويكون اكثر وضوحاً وبروزاً ماالذى نستطيع ان نفعله ؟ • اعود الى اتاتورك •• انه لم يستطيع ان يحقق شيئاً دون ان يكون هناك جيش ولابد ان يكون هذا تفكير الشبان في مصر كذلك •• فالانجليز يحتلون ارضنا والساسه يتجرون بالسياسه ويقدمون لنا طعاماً فاسداً من افكارهم وسلوكهم •• انهم اسوأ الامثله التي تعثرنا بها في حياتنا المبكره ونحن في ذلك الوقت نقرأ التاريخ ونقرأ عن الزعيم المصرى مصطفى كامل •• ونحن اطفال كنا ننام على مواويل زهران وعلى دنشواى وعلى مواويل ادهم الشرقاوى (كلها طلقات من نار •• موجهة ضد قوات الاحتلال البريطانيه •• ولم يعد شيئاً غريباً وقد امتلأ عقلي والتهب خيالي وازدحم وجداني • ان افكر في عملي شيء •• وقد اتصلت بجميع الاحزاب السياسيه هذا يعني ان تخرجت في الكليه الحربيه اما اثناء التحاقي بالكليه فلم اذهب الى اى حزب •• اللهم الا حزب (مصر الفتاة) دخلت مصر الفتاة وكنت اتلقى

تدريبات عسكريه في عمارة في العتبه في بلكونه كبيره كانت تطل على سوق الخضار وفي البلكونه كانوا يدربونا على المشية العسكرية • وخشيت في ذلك الوقت أن يقوم البوليس بتفتيش مركز مصر الفتاة فيجدوا استمارتي ويجدوا اسمي وانا ماازال طالباً في الكلية الحربيه •• لحسن الحظ لم يحدث شيء من ذلك •• ولكن بعد تخرجي في الكلية الحربيه ازداد قلقي وبدأت اطاوع قلبي ذهاباً وإياباً الى الاحزاب السياسيه احاول أن اجد تفسيراً أو راحه لما يدور في نفسي التي احاول أن اجد صيغه فكريه تريحني أو اجد شخصاً يدلني على المعنى الذى يشغلني •• وكان اول عمل محدد ايجابي قمت به هو الذي اتصلت بعزيز المصرى وكان شريكاً لاتاتورك في تركيا وهو لذلك يستمتع بسمعه عظيمه جداً •• وقد شارك في انشاء جمعيات عربيه كثيره عندما كان العالم العربي يغلى بالثوره ضد الاتراك أو ضد تركيا التي اسموها في ذلك الوقت بالرجل المريض •• وهذا الرجل المريض احتاج من اتاتورك الى الكثير من القوة لينهض هذا المريض ويصبح شاباً يلحق بركب الحضارة الغربيه ، ويستدرك مافاته في ظل السلطنه العثمانيه •• وبعد ذلك اتصلت بالاخوان المسلمين كل ذلك وغيره حدث بعد أن تخرجت في الكلية الحربيه وكان اتصالي بالشيخ حسن البنا فقط وناقشته كثيراً واختلفنا هو يريد أن ينطوى تنظيمنا في الجيش تحت اجنحة الاخوان المسلمين وكان هدفنا في الجيش أن ننتظم وأن نعمل من اجل مصر وقلت للشيخ حسن البنا : احب أن اواجهك بصراحه لقد قررنا أن يكون تنظيمنا من اجل مصر وحدها وليس من اجل هيئة أو حزب أو شخص •

كان ذلك سنة ١٩٤٠ • وقد القي القبض علي بعد ذلك سنة ١٩٤٢ • وذخلت المعتقل ولما جاء جمال عبد الناصر من السودان التقى بالشيخ حسن البنا وصارحه بنفس الموقف وظل هذا موقفنا منذ ذلك الحين حتى اليوم ومن المؤكد أن هذا الموقف أو هذه الفلسفه من اعظم مانفخر به • فحركتنا كانت مصريه قوميه واعتقد التي اصلحت بعض ((اللخبطات)) التي وقعت في الفترة الماضيه وازلت كل شبهه • وكل شيء واضح تماماً الآن : من نحن وماذا نعمل ومن اجل من وفي سبيل اية غاية ••• وتوالت اتصالاتي

بالهيئات والاحزاب اريد ان اعرف • او اريد ان اعرف ماالذى يفكر فيه الآخرون من اجل ان يحطوا مايفع مصر •• ثم طردت من الخدمه العسكرية واعتقلت وافرج علي وسجنت وافرج علي وعدما الف علي ماهر هيئة حزبيه وكان مقرها شارع قصر النيل كنت اول من دق الباب وبنفس السرعه والحماس الذى دخلت به خرجت ايضاً فلم اجد مايريحني وادرت راسي ابحث عن اتجاهات اخرى او عن مصدر لفكر جديد او ينابيع جديده او رياح منعشه ••• ولكني اقرر هنا انني لم اتصل باى تنظيم شيوعي ربما مره واحده •• فقد اخبرني احد الزملاء ان هناك مركزاً في شارع المبتديان وهذا المركز عبارة عن اقاعة للمحاضرات وانه لا مانع ان يذهب الانسان ويستمع الى مايقوله الاخرون •

وقال لي زميلي هذا : انت شاب وتشتغل بالفكر السياسي وفي حالة قلق وتريد ان تعرف وان ترسو سفنك على بر الامان اذهب واسمع وفكر وقرر بعد ذلك • وذهبت ودخلت وكانت القاعه صغيره الجدران مغطاة بصحف الحائط وكان هناك من يقرأ ماجاء في هذه الصحف واستشرت وجدانسي واحسست ان هناك شيئاً مريباً هناك شيء غير طبيعي •• •• بعد ايام قليلة جاء البوليس وحاصر المكان وهاجمه وقبض على الناس وعلى صحف الحائط ولستر الله لم يكن البوليس يراقب المكان يوم ذهبت الى هناك •• ولا كانوا اعتقلوني ولم يكن من الصعب ان ادرك انها خلية شيوعيه •• ولو سالت نفسي ماهي بالضبط معلوماتي عن الشيوعيه في ذلك الوقت لكان جوابي في مثل هذه السن لم تكن ثقافتي واسعه ولكن آمالي واسعه وعريضه والمسافه ماتزال كبيره بين الذى احلم به وبين الذى اقدر عليه ومن هنا كان اعجابي باتاتورك الذى لم يحقق ماكان يحلم به الا مستعيناً بالجيش •• وقد شغلني كمال اتاتورك كزعيم ومثل اعلى •• وفي ذلك الوقت كنت اقرأ كتاباً عنه اسمه ((الذئب الرمادى)) من تاليف اومسترونج وهذا الكتاب تحفه ادبيه فاسلوبه سهل ويستطيع من هو في سني وعنده مثل معلوماتي الانجليزيه المحدوده ان يقرأه ويستمع ولم تكن لغتي الانجليزية قد اصبحت قوية بعد وان كانت قد تحسنت بسبب ميلي الشديد

للغات التي تعلمتها وراء القضبان ٠٠ وهذا الكتاب كان كنزاً وقع في يدى او كنزاً وقعت انا عليه واستحوذ هذا الكتاب على خيالي وقد حدث أن كنت مبعداً في الصحراء الغربيه بأمر من المخابرات المصريه والبريطانيه اثناء الحرب العالميه الثانيه في منطقة اسمها الجراولة جنوب مرسى مطروح ولكن هذا الكتاب هون علي هذه الوحده الاليمه في هذه المنطقة الصحراويه واذكر انني بلغت منتصف الكتاب سعيداً بما اقرأ وما ارى وسعيداً بالعالم الباهر الذى وضعه المؤلف امام عيني ٠ واستدعوني لان لي صله بعزيز المصرى الذى سقط بطائرته عند قليوب ومعه اثنان من الطيارين هما حسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤف ٠٠ وحملوني في سياره ماركه فارجو صغيره من مرسى مطروح وكانت سرعتها لا تزيد على ستة كيلو مترات نمت فيها طول الليل وصحوت من النوم لاجد السياره قد شردت في الصحراء ولكن حمداً لله انها لم تصطدم بسياره اخرى ٠٠ وكانت رحلة شاقه ووصلنا عن الطريق الصحراوى الى الجيزه وضابط الحرس المرافق لي اجرى اتصالاً تلفونياً وكانت الاوامر التي لديه ان ياتي بي فوراً الى وزارة الحربيه وهناك وضعوني في غرفة سكرتير وزير الحربيه ولم اذهب الى البيت لاغير ملابسي او اغسل وجهي وجلست على مقعد وفتحت كتاب ((الذئب الرمادى)) ومضيت اقرأ مستغرقاً تماماً اعوض ما فاتني في تلك الليله الاليمه ولم ادر ان باباً قد انفتح وان احداً وقف ينظر ناحيتي وحدث ما يحدث لكل انسان عاده عندما ينظر اليه احد دون ان يدرى ٠٠ وبسرعه يرفع راسه ليجد هذا الذى ينظر اليه وفعلت كذلك ووقفت بسرعه واعطيت التعظيم العسكرى التمام والقيت الكتاب الى جانبي ولم يكتف هذا الذى عظمته بهذه النظره الكاسحه وانما قال : هوه ده انور السادات ٠٠

وخرج وعرفت انه ابراهيم عطا الله رئيس اركان القوات المسلحه المصريه ولم يكف هذا الرجل خاطره ان يسال عن هذا الكتاب الذى انساني الدنيا من حولي ٠٠ ولو فعل لاضاف اتهاماً جديداً غير مجرد الاتصال بعزيز المصرى ٠٠ وفي ذلك الوقت كانت ثقافتي عاديه جداً لم اقرأ الكتب الشيوعيه ولا الماركسيه ومن المعاني العميقه

في نفسي وفي نفس كل مصرى أن الشيوعيه ألحاد وكفر وانهم أنـــاس فوضويون لا قيم عندهم ولا يهمهم دين وأنا ككل مواطن قروى يرى أن المساس بالدين شيء فظيع وأذا كان الانسان بلا دين فكل شيء عنده مباح ومعنى ذلك ضياع كل ماهو انساني وأهدار كل ماهو عظيم وعدل وجمال وحريـــه وانسانيه فانا بطبعي الريفي المؤمن ارفض ذلك ومن اول لحظـــه ٠٠٠ وقد حدث لي ذلك عندما زرت تلك خليه المريبه المشبوهه في المبتديان فقد كانت شيوعيه وذلك الزميل الذى دعاني اراد أن يستغل قلقـــي وحيرتي بحثاً عن عمل ايجابي من أجل مصر ٠٠ ولكني لم اطاوعه وانمـــا فقط سايرته وذهبت ودخلت وكانت اول مره وآخر مره ٠٠٠ واذا كانـــت صورة اتاتورك على جدار بيتنا هزت خيالي فان صورة اخرى قد زعزعت ايماني بالشيوعيه وشددت تمسكي بديني وقيمي الاخلاقيه ٠٠ فقد بـــدأت الحرب وانا اتابع كل مايجرى وفي يدى الخرائط وخيالي ملتهب لانني قد عايشـــت المعركة من اولها لاخرها ٠٠٠ وفي بداية الحرب اتفق هتلر وستالين ٠٠٠ وبعد ذلك تسلل بينهما تشرشل يدق اسفيناً بين الزعيمين وفي سنة ٩٤١ اندفعت قوات هتلر تغزو الاتحاد السوفيتي وقد مات هذه الحرب وحوادثها ونتائجها معروفه للجميع واتحد الحلفاء مع روسيا ضد هتلر واعلن تشرشـــل انه مستعد أن يتحالف مع الشيطان وكان الشيطان هو ستالين لأن المهـــم عنده في ذلك الوقت هو ضرب هتـــــلر ٠٠٠٠

اذن لقد تحالف الغرب مع ستالين اى تحالفوا مع الرجل الذى قالـــوا انه ملحـــد ولا اخـــلاق له وأن الشيوعيه هي دعوة الى تمزيق الأســـره وتحطيم كل القيم الباقيه وفي يوم وليله رأيت في شوارع القاهره المظلمـــه صوراً كثيره للأقطاب الثلاثه : روزفلت الأمريكي وستالين الروسي وتشرشـــل الانجليزى ٠٠ واهم من هذه الصور التي ملأت الدنيا ظهرت الكتب التـــي تمتدح ستالين والشعب السوفيتي البطل الذى يقاوم هؤلاء الوحوش النازيين ٠٠٠ اذن لقد كان الروس وحوشاً والأمر فلما حاربهم هتلر اصبحوا ملائكـــه واستحقوا عظيم الاحترام ٠٠ اذن مالذى جرى ؟ وكيف تحول هذا الوحـــش التتارى ستالين الى بطل اســـطورى ؟ ٠٠٠ حاولت أن اعرف وتساءلـــت

وانشغلت بذلك كثيراً ولا بد أن كثيرين من الذين عايشوا هذه الحرب قد فكروا مثلي .. وانتهيت الى هذا المعنى الذى اقنعني : لا شيء سوى انهم يحاربون عدواً مشتركاً .. اى لا شيء سوى المصلحه .. وانتهت الحرب وانتصر الجميع على هتلر اى انتصر الروس والامريكان والحلفاء .. ومع اضواء النصر التي ملأت كل عواصم الدنيا والقاهره ايضاً توارت صورة ستالين . وفي ذلك الوقت اضاءت نفسي هذه الحقيقه : ان تشرشل هذا ليس الا عدوى .. صحيح انا اعجب بتشرشل كمواطن انجليزى خدم بلاده وكتب مذكرات جميله وعميقه ولكن اترك هذا للانجليز يفخرون به ويمجدونه على قدر استطاعتهم ولكنه اولاً واخيراً عدوى ولانه عدوى فانا لا اصدقه ومن الواجب ان افعل ذلك فاذا قال عن انسان انه ملاك قلت .. بل شيطان .. وان قال عن احد انه شيطان قلت بل ملاك من السماء : وهذا التشدد والتزمت يتفق تماماً مع مزاج شاب في الثالثه والعشرين جاء من اعماق الريف فلا عنده مروءه عقليه ولا عنده ثقافه كافيه ولا عنده تجارب فعالمي مايزال محدوداً والالوان على لوحة حياتي شديده الوضوح : ابيض واسود .... الوان صريحه لم اعرف بعد تلك الالوان التي تتداخل وتتعقد .. ليس بعد واقنعني ايضاً خاطراً آخر قد استقر في نفسي : ان تشرشل هو الذى اتى لنا بهؤلاء الناس .. وشعرت بالقرف من هؤلاء الناس ولم اتصل باحد منهم بعد ذلك حتى قامت ثورتنا وكنت مسئولاً عن الصحافه والاعلام ... واول مره كان احتكاكي بواحد منهم لقد كان عبد الرحمن الشرقاوى في تلك الوقت كان قد كتب قصيده عنوانها ((رسالة الى ترومان)) بعد القاء الامريكان للقنبله الذريه على هيروشيما .. وكانت في غاية الجزالة والجمال وجاءني يستاذن في نشرها وقراتها اعجبتني بل تمايلت طرباً واقترحت عليه ان يغير كلمتين او ثلاثاً ليكتمل جمال القصيده وصرحت بنشرها لان شكلها الفني قد هزني ولم اكن اعرف انها قصيده شيوعيه وقد اخبرني زملائي في مجلس قيادة الثورة بذلك وسالوني كيف اجيز عملاً شيوعياً .. وكان ردى انها عمل فني ولذلك اجزتها ... وبعد ثورتنا واجهتنا ظروف غريبه هذه الظروف ساعدت على ان نتجه الى الروس ونقترب منهم ونصطدم بهم ... فقد

ظلت علاقتنا بالروس كالسحب الكثيفه اذا سقطت مطراً صفت السماء ولكن غرقت الارض .. فبعد شهرين من قيام الثوره لم تكن السفارة البريطانيه في القاهره ولا الامبراطوريه البريطانيه تعرف شيئاً عن ثورتنا ولا من الذين اشعلوها والذين اشعلوها رفضوا الاتصال بالسفارة البريطانيه بينما كانت هناك علاقة بيننا وبين الامريكان وطلبنا الى الامريكان ان يشرحوا الموقف للانجليز ونحن لا نريد ان ندخل في حوار معهم فما يزال ١٨٥ الف جندى يحتلون ارضنا منذ سبعين سنه ... بيننا وبينهم كوارث ودماء .. ومن اجل هذا كانت ثورتنا لتصحيح هذا التاريخ وقد عاقبنا الانجليز على عدم الاتصال بهم بان حظروا علينا السلاح وكانت بريطانيا هي المورد الوحيد ... ولم نكن قد عرفنا امريكا جيداً فامريكا لم تدخل المنطقة الا متأخرة اى بعد الحرب العالميه الثانيه اى بعد غياب شمس الامبراطوريتين بريطانيا وفرنسا وكان من سياسة امريكا فيما بعد ان تضع حزاماً من الاحلاف حول الاتحاد السوفيتي اى احتواء الاتحاد السوفيتي في الشرق الاوسط ..... ولكن اسلوب امريكا له اسم آخر هو : الاستعمار الجديد .. اى الاستعمار بدون اساطيل وجيوش وانما استعمار اقتصادى عن طريق البيع والشراء وخصوصاً بيع السلاح .. ولما حاولت امريكا ان تعطينا بعض السلاح احتجت بريطانيا وهذا هو السبب المباشر في عدول امريكا عن بيع السلاح لنا فبريطانيا كانت وماتزال ترى اننا في داخل مناطق نفوذها .. وتفصيل ذلك اننا اتصلنا بالامريكان ووصفنا لهم الوضع العجيب في الجيش المصرى وكيف يكون حالة وهو بلاسلاح تشتريه من بريطانيا هنا طلب منا الامريكان سنة ١٩٥٣ ان نوفد بعثه عسكرية الى امريكا ووصلت البعثه ولم يقابلها مسؤل امريكي واحد رغم انهم هم الذين دفعونا ودعونا الى ذلك ... وعادت السفارة الامريكية في القاهره تفتح موضوع السلاح وحاجتنا اليه وقيل لنا يومها لا داعي لشراء السلاح سوف نعطيكم السلاح مجاناً لو .. وجاءت كلمة ((لـــو)) هذه لغماً تحت اقدامنا .. ((لو)) وقعتم على ميثاق امن متبادل سوف .. نعطيكم السلاح مجاناً ولم يقتنع الامريكان بان مجانية السلاح لا تهمنا وانما نريد ان ندفع ثمن السلاح فليس هذا الثمن بالكثير اذا احتفظنا مع السلاح

بحريتنا ٠٠ وكان الميثاق الذى تريد ا أمريكا أن توقعه يشترط وجـــود بعثه أمريكية تدرب الجيش المصرى وقد جربنا قبل ذلك البعثه العسكريه البريطانيه ونحن نعلم علم اليقين أن بعثه أمريكية لن تكون الا أحيـــاء لبعثه تسيطر على الجيش المصرى ٠٠ واغرب من ذلك أن الميثاق ينص على الا نستخدم هذا السلاح في محاربة حلفاء أمريكا ٠٠ يعني اسرائيل كيف ؟ ومعنى ذلك أن بريطانيا ضغطت على أمريكا حتى لا تسلحنا لقد حوصرنـــا تماماً ٠٠ فقد اقفلت في وجوهنا كل ابواب السلاح حتى لا نشترى أى سلاح من الغرب فلماذا لا نتجه الى الاتحاد السوفيتي نشترى منه السلاح اللازم لنا فلدينا القطن والقطن عنده صفقه واتصلنا بالسفارة الروسيه ٠٠ وفي ذلك الوقت كان ستالين في ايام حكمه الاخيره وجاء الرد من ستالين يقول ٠٠٠٠ نأسف ٠٠٠ فنحن اذا بعنا لكم السلاح فسوف تحاربوننا به ٠٠ وليس هـــذا غريباً من ستالين او غريباً عليه فهو رجل شيوعي متزمت متعصب لا يساعد الا الدول الشيوعيه واذا ساعدها فلابد أن يتسلط عليها ولم تكن شيوعيـــن ولا تريده أن يتسلط علينا ٠٠ ومعركة الرئيس تيتو — وهو شيوعي — مع ستالين هي من أعظم معارك التاريخ وتيتو هذا الذى دوخ هتلر الذى ركعت أوربا كلها عند قدميه استطاع أن يدوخ ستالين ايضاً بل انتصار تيتو عـــلى السوفيت يعتبر من وجهة نظرى اعظم او اروع واشجع انجازات يوغسلافيـــا ولم يبق امامنا الا أن نستخدم الاسلحة المتواضعه ضد الانجليز في القنـــاة وكانت حرب عصابات مصريه معروفة ومشهوره وهذا هو الذى جعل الانجليز يوافقون عـلى اتفاقية الجلاء في اكتوبر ١٩٥٤ ليجلوا بعدها في يوليـــو ١٩٥٦٠٠٠ أن هذه القنابل التي صنعت في مصر هي التي أزعجـــت الانجليز الذين جاءوا يدافعون عـن الامبراطوريه فوجدوا انهم في حاجـه الى الدفاع عـن انفسهم ٠٠ في ذلك الوقت كان ايدن وزير خارجيـــة بريطانيا ونجمها الصاعد التذى تعده الامبراطوريه ليشغل مكان تشرشـل ورأى ايدن أن يواجه جـلاء القوات البريطانيه بملء ((الفراغ)) الذى يظهر بعد خروجها من المنطقة فاخترع شيئاً جديداً اسمه ((حلف بغـــداد)) يضم تركيا والعراق وانضمت بريطانيا وايران وباكستان في سنة ١٩٥٥ ثـــم

انحسب منه العراق سنة ١٩٥٨ ٠٠٠ وواضح أن الغرض من هذا الحلف أن تظل تظل هذه المنطقة كلها تحت النفوذ البريطاني ٠٠ وأن تظل بريطانيا موجوده حاضره في هذه المنطقة كلها ووجد أيدن في نوري السعيد ذلك البوق والأداة التي يحركها في هذه المنطقة لتدعو الدول العربيه الاخرى للدخول في حلف بغداد ٠٠ وقامت قيامة مصر على حلف بغداد وعلى الدخول في الاحلاف ومناطق النفوذ وضد القواعد الأجنبيه على أرضنا واية أرض اخرى وفي ذلك الوقت زار صلاح سالم مدينة سرسنك في شمال العراق وبعدها جاء نوري السعيد الى القاهره وكان يتصور في ذلك الوقت أننا سوف نأخذه بالأحضان وقابله جمال عبد الناصر وحاول اقناعه بأننا مختلفون عنه تماماً وبعد ذلك شددنا الحملة عليه وعلى أيدن وعلى بريطانيا ٠٠ وبسرعة جاءنا اثنان : الملك حسين وكميل شمعون الملك حسين ابن عم الملك فيصل ملك العراق وموافق على كل خطواته طبعاً أما شمعون فهو انجليزي منذ كان سفيراً للبنان في لندن وليس فرنسياً كمعظم الموارنه وبشاره الخوري هو الذي عين كميل شمعون ثم طعنه شمعون وندم بشاره الخوري على ذلك ولكن جاء الندم متأخراً جداً ٠٠ الصورة الآن واضحه أننا عادينا بريطانيا واحلافها في المنطقة وزعزعنا الثقه فيها وأثرنا عليها وعلى الحكومات العميلة غضب الشعوب العربيه ثم أن هناك خطوره واضحه من هذه الثورة المصريه الشابه ٠٠ ومن الطبيعي أن تتخذ بريطانيا موقفاً سريعاً ترد به على هذه الحملات العنيفه في كل مكان هنا حدثت نقطة تحول هامه جداً في الطريق الضيق بين موسكو والقاهره ٠٠ ولكن هذا التحول جاء بعد حادث مفاجيء مروع وقع يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ فقد أوعزت بريطانيا الى اسرائيل أن تقوم بعملية خاطفه جداً ٠٠ فهاجمت بقواتها السريعة الحركة غزه وقتلت أربعين مواطناً ٠٠ وانسحبت القوات الاسرائيلية ولم نستطيع أن نواجه هذه العملية السريعه بما لدينا من لوريات وأسلحة متواضعه ٠٠ وفهمنا أن المقصود من هذه العملية هو تأديب مصر لكي تعرف وزنها وحجمها في هذه المنطقة هنا أفقنا تماماً وفكرنا جيداً في أن نتجه الى الاتحاد السوفيتي ٠٠٠٠٠ هل أدت مكالمة تليفونيه من شوان لاى أن اتخذ السوفييت قراراً مفاجئاً

عجيبا لم يحدث له نظير بعد ذلك الا مرة واحده ... ثم لم يتكـــــرر ولن يتكرر مثل هذا القرار الذى اتخذوه لصالحنا .. وبصورة مفاجئـــــة.

.....

.....

...

.

من " أوراق " (١٤)

الرئيس السادات

الجليد ... يذوب

بين موسكو والقاهره :

٢

يمضي الرئيس أنور السادات في حديثه عن تلك العلاقه الغريبه الحساسه جداً بين موسكو والقاهره .. ولا يفوته أن يسجل ما للروس وما عليهم ... ويشير الى نقط التحول في هذه العلاقه ... وكيف يسارعون الى رد الفعل أو الى الرد بغير فعل .....

وقال له أيزنهاور من تليفون ملحب الجولف : أوكي أوبعد هما تغيرت معالم منطقة الشرق الأوسط ....

... لابـــد ... أن هناك أسباباً دوليه أدت الى أن الاتحاد السوفيتي قد اتجه الينا .. ووافق على أن يمدنا بالسلاح وكانت هذه نقطه تغيـــر ضخمـه بيننا وبينه وبين السوفيت والمنطقة كلها ... ربما تهمهم شوان لاى رئيس الوزراء الصيني في ذلك الوقت ويومها كانت العلاقات بين الصيـــــن الشيوعيه الدوله الثائره الجديده وبين الاتحاد السوفيتي تسمح بأن يكون للصين رأى مسموع عند الروس .. ربما .. كان ذلك في ربيع سنة ١٩٥٥ عندما تنادى زعماء العالم الجديد أو العالم الثالث بضرورة أن يتقاربوا ويتماسكوا .. يوكون لهم رأى وتكون لهم قوة في مواجهة المعسكريين الاعظمين ..... الامريكان والغرب من ناحية والمعسكر السوفيتي الشيوعي من ناحية اخـــرى وكان يرأس العالم الثالث الباندنيت نهرو والرئيس سوكارنو والرئيس جمال عبد الناصر ثم انضم اليهم شوان لاى رئيس وزراء الصين التي نجحت ثورتها سنة ١٩٤٩. واتفقوا على عقد أول مؤتمر لهم في باندونج باندونيسيا سنـــة ١٩٥٥ وكانت هـذه هي المرة الاولى التي أصبح لهم فيها وجود على خريطـــة الجغرافيا السياسيه ... وكانت الدعوه الى مؤتمر والسفر اليه قد اتخذت طابعاً انسانياً رومانسياً لطيفاً .. فقد سافر جمال عبد الناصر الى الهنـد وسافر معه نهرو وسافر الاثنان الى بورما واصطحبا معهما رئيس وزرائهمـــا وفي بورما التقوا بشوان لاى وسافروا معاً في محبة واخوه الى جاكارتا فـــي اندونيسيا ليرافقهم جميعاً سوكارنو .. وكان لجمال عبد الناصر دور بـــارز في هذا المؤتمر وفي المؤتمر أعلى ماسمي بعد ذلك بسياسة الحياد الايجابي أى ضرورة الوقوف على الحياد بين المعسكريين .. وليس حياد المتفرجيـــن كالحياد السويسرى .. وانما هو حياد له دور في الموافقه والاعتراض على مايقوم به المعسكران الاخران وكان نهرو بنظرية البانشاسيلا ((أى المبادىء الخمسه)) حريصاً على هذه السياسه في جنوب شرقي آسيا .. ولكـــن مؤتمر باندونج قام بتوسيع وتعميم معنى الحياد الايجابي على القـــارات الثلاث : آسيا وافريقيا ثم اوروبا التي جاء منها تيتو .. وبعد ذلك شمـل امريكا اللاتينيه ايضـــاً ... وعلى الرغم من أن العالم الثالث هـــذا يضم اغلبية سكان العالم فانه لا يملك الثروة الحقيقية .. فهو يملك المواد

الخام أو الموارد والمناجم وحقول البترول ولكن لا يملك تصنيعها ٠٠ وهذا هو الأهم ، فالغرب يملك القدره على التصنيع وعلى الشراء وعلى التسويق وعلى رفع وخفض الأسعار ٠٠٠ وفي هذا المؤتمر اقترب شوان لاى من جمال عبد الناصر وعرفه جيداً وكبر في عينه وكان شوان لاى هذا صديقاً صدوقاً لنهرو ٠٠ وان كان بعد ذلك قد خلعه حتى الموت ٠٠ وهذا شيء غريب ولكنه ليس غريباً على الشيوعيين ٠٠ فالغدر والعنف من أهم معالم السلوك الشيوعي في السياسه العامه والعلاقات الخاصه ٠٠ فهذا الرجل شوان لاى هو المسؤل عن موت نهرو فالصين هاجمت الهند وهذا الرجل قد أجهز على نهرو حتى انهى وجوده تماماً ٠٠٠ ولكن شوان لاى عرف جمال عبد الناصر جيداً وعندما وصل الى بكين طلب الكرملين ٠٠ وقال لهم : ان هناك نجماً صاعداً ٠٠ هذا النجم هو عبد الناصر ٠٠ فخذوه سماعكم لعله ان يزداد تألقاً والوسيله هي ان تعطوه السلاح ٠٠ فقد شكاله جمال عبد الناصر من الحصار الذى أحكمه الامريكان والانجليز عليه فجيش مصر بلا سلاح ٠٠ في وضع صعب عليه وعلى بلده وعلى جيشه ٠٠ وفي ذلك الوقت كان ستالين قد توفي من سنتين ، اى اختفى الرجل المتزمت جداً الشيوعي جداً ، المتسلط جداً ، وظهرت قيادة حزبيه جديده في روسيا واختفى خليفة ستالين : مالنكوف ٠٠ وظهر خروشوف الذى أعلن في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي ان ستالين هذا سفاح وخائن ٠٠ وانه يجب اقتلاعه من التاريخ الشيوعي ونزع تماثيله من كل ميدان وشطب اسمه من كل كتاب وقد حدث ذلك كله بالحرف الواحد وهذا سلوك شيوعي عادى جداً ٠٠ فالتقال السلطه عن الشيوعيين لا يتم الا بالعنف : منذ ايام لينين حتى اليوم ٠٠٠ ستالين نزعوه ٠٠ قلعوه ٠ مسحوا به شوارع روسيا وشوارع كل الدول الشيوعيه الاخرى ، ولقى خروشوف نفس المصير ايضاً ٠٠ بل ان وزير خارجية روسيا على ايام خروشوف كان اسمه شبيلوف ، ولا أعرف اين ذهب الآن ٠٠ لابد انه ناظر محطه او حارس دورة مياه في سيبريا ٠٠ وهذا طبيعي وهذه هي نهاية كل حاكم في روسيا اذا اختلف مع الذى هو اقوى منه ٠٠٠ بل انهم بعد الحرب كان

لديهم قائد عظيم جداً هو زوكوف .. هذا الرجل بالمقاييس العسكريه يعتبر أعظم من أيزنهاور ومنتجومرى . لأنه قد اكتسح أوربا الشرقيه حتى المانيا الغربيه وأبواب برلين .. هذا الرجل فوجيء وهو في زيارة ليوغوسلافيا بأنه مطرود ، وعليه أن يخلع ملابسه وأن يسلم نياشينه .... وأصبح لا شيء ولما مات وجدوه جالساً على دكه خشبيه في أحدى الحدائق فسقط ميتاً كقطعة خشب كانت تجلس على قطعة خشب .. وتكوم على الأرض انسان كان عظيماً ... ولكن لا عظمه ولا قيم ولا انسانيه عند الشيوعيين ؟

ولكن اذا نظرنا الى مايحدث في الدول الغربيه نجد أن التغيير أو التبديل ديمقراطي .. ففي أمريكا أرغموا نيكسون على الاستقالة .. فاستقال ببساطه ، وبعد ذلك يجيء نائبه ويحلف اليمين ويصبح خلفاً له وكذلك جونسون .. أتوا له بقاض ، وكان القاضي سيده . حلف أمامها اليمين وبعدها بلحظه واحده أصبح رئيساً للدوله ويمسك في يديه كل مفاتيح القنابل الذوريه .. ولم أكن أعرف مالذى يجرى لأى مسؤول سوفيتي يغضبون عليه الا من صديقي وزير الدفاع جريتشكو الذى توفى أخيراً فالوزير في روسيا عنده شقه وفيلات على البحيرات وسيارات .. فاذا غضبوا عليه سحبوا كل شيء من تحته : السياره والسرير .. ثم المقعد الذى يجلس عليه فاذا هو جثه هامده على الأرض دون أن يهتز عصب واحد لأى انسان .. فالوزير قد كان ثم هان .. ثم اختفى .... أما شبيلوف هذا فقد كان وزيراً لخارجية روسيا وكان أنيقاً .. انه أول روسي أراه يضع المشط في جيبه ويخرجه كلما ظهرت كاميرا في يد أحد المصورين وقد قابلت هذا الرجل في الحفلة التي أقامتها السفارة السوفيتيه في القاهره وكان صديقاً ، وكان يعرفنا جميعاً .. ويجب أن يسمعنا وأن يسأل عنا .. لأنه يريد أن يعرف أو يساعد .. أولعه أراد أن يوجه بلاده الى ناحية تنفعهم في علاقاتهم معنا .. أو في علاقة السوفيت مع الثورة الجديده في مصر أو في المنطقة كلها .. ويقابل شبيلوف هذا وزير خارجية أمريكا : دالاس ، وهذا الرجل الأمريكي قريب الشبه بستالين .. انه هو أيضاً متعصب متزمت متشدد ومتسلط أيضاً ، ويريد أن يقدم لنا المساعده

بشروط .. وهـذه الشروط هي أن يسيطروا علينا .. وكان من رأى دالاس أن نظرية الحياد الايجابي نظرية لا أخلاقيه لأن الأخلاق تقول : أن الانسان اما أن يكون أمريكياً أو شيوعياً .. ولا يوجد شيء وسط .. أو بعبارة أخرى .. أن الحياد الايجابي هو نوع من السفاله السياسيه ... وهذا رأى غريب كأن من المفروض الا يكون الانسان وطنياً ، محباً لبلده حريصاً على مصالحه .. مع أن من الممكن بل الطبيعي جداً أن أكون مصرياً وطنياً وعربياً أي مصرياً وعندي أمنيات قوميه ، أريد أن أحقق لمصر كرامتها ورخاءها وفي نفس الوقت أحرص على سلامة العرب ووحدتهم وعزة الجميع ، أننا لا نرى في ذلك أي تناقض ، ولا أية سفاله سياسية .. بل من السفاله وليس من السياسة الا يكون الانسان وطنياً قومياً في وقت واحد .. ولكن الأمريكان كالروس تماماً : يضيقون بكل ما هو وطني وما هو قومي .. ولهذا السبب أتخذ دالاس هذا الموقف العدائي من أول لحظه .. وكانت لدالاس نظرية في ذلك الوقت أسمها : حافة الهاويه : أي دفع الموقف حتى يشتعل .. وهنا فقط يستطيع أن يفعل شيئاً .. أو ينهار الموقف تماماً فلا يجد نفسه في حاجة الى أن يعمل أي شيء ودالاس طبعاً يريد أن يدفعنا الى الهاوية أو الى حافتها فاذا سقطنا كان ذلك بين ذراعيه أو تحت قدميه ، ولكن دالاس لم يفهمنا فهذه الهاوية لا تهمنا .. لأننا لا يمكن أن نخسر أكثر مما خسرناه ، ولا يمكن أن نصل الى أدنى مما وصلنا اليه .. فنحن في جميع الاحوال لن نفقد شيئاً ولذلك لا تهمنا نظرية حافة الهاويه ... وكان دالاس هذا وزير خارجية أيزنهاور .. وكان أيزنهاور يعيش على أمجاد الحرب العالمية الثانيه وانتصاراته فيها ولما رأس الحكومة الأمريكية كان ذلك تكريماً له وثمره لأعماله العسكرية المشهورة .. وهو رجل يلعب الجولف معظم الوقت وبين الحين والحين تجيء له مكالمة تليفونيه .. فيترك أرض الجولف ويمسح عرقه والناس من حوله تحييه ويمسك سماعة التليفون ويقول : أوكي .. أو لا يرد ويقفل السكه .. ويكون اقفاله دليلاً على الرفض .. ومن ضمن المكالمات العاديه أن تحدث اليه دالاس وسأله عن حكاية مصر ، وكان رأى أيزنهاور لدالاس

أوكي .. استمر ... أما ماهذا الذى وافق عليه وطلب من دالاس أن يستمر فيه فهو .. أن دالاس عندما قال له : أن مصر دوله مفلسه وليست قادره على تمويل السد العالي .. ومن رأيي الا نشترك في ذلك .. كان رد ايزنهاور أنه لاداعي لذلك .. وانتهت مكالمة عابره أدت الى تغيير معالم الشرق الأوسط كله :::

فأمريكا اذن قد رفضت أن تمدنا بالسلاح . ورفضت أن تعيننا على بناء السد العالي .. وأعلنت في بيان دالاس الشهير أننا دوله مفلسه وقبل ذلك اشترطت لكي تساعدنا أن تشرف على استخدام السلاح حتى لا تحارب دوله صديقه .. اسرائيل .. طبعاً ثم انها أخيراً لن تشارك في تمويل السد العالي وأعلنت أيضاً بأشكال مختلفه أن الوضع كله يحتاج الى تغيير .. أى مطلوب منا أن نغير الحكم وشكله وفي هذه الحالة أو بعدها تساعدنا أمريكا .. وأصبح معروفاً أن دالاس قد أوفد هندرسون ليوجه انذاراً لجمال عبد الناصر وكان هندرسون في تركيا وتحفز جمال عبد الناصر لطرد هذا المبعوث الأمريكي فنحن لا نهاب أمريكا ولا يمكن أن تدفعنا أمريكا الى أسوأ مما نحن فيه ولكن فجأة تغير الوضع وتلقى هندرسون تعليمات بأن يكون ألطف وأرق وقابل عبد الناصر وسأله جمال عبد الناصر عن الانذار فأجاب الرجل : انه لا انذار ..... وانما جاء هندرسون يطلب من مصر أن تلغي صفقة الأسلحة من روسيا أو تؤجلها .. فقد حدث فجأة أن أعلن الروس في سبتمبر ١٩٥٥ موافقتهم على اعطاء صفقة سلاح لمصر من روسيا ومن تشكوسلوفاكيا بموافقة موسكو .. وكان ذلك حدثاً مدوياً ... فقد جاءنا السفير السوفيتي في ذلك الوقت وقال أن لديه تعليمات من حكومته بالموافقه على امداد مصر ... أى بكسر احتكار بريطانيا وأمريكا للسلاح .. واتسعت المعركة بين مصر والولايات المتحده وبريطانيا .. فقد اتجهنا الى المعسكر الاشتراكي نطلب السلاح وقد أعلن الروس موافقتهم على ذلك ... وفي ذلك الوقت .. في يوليو ١٩٥٦ انتخب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية - أول رئيس جمهوريه

بالانتخاب ـ لأن محمد نجيب عين رئيساً للجمهورية بقرار من مجلس قيادة الثورة سنة ١٩٥٣ ٠٠ ومضينا بعد ذلك نواصل دراسة مشروع السد العالي والسد العالي بمشاريعه وهندسته مختلف تماماً عن سد أسوان الذى ليس الا جداراً متواضعاً اذا ماقورن بهذا الجبل : السد العالي فالسد العالي يقوى على مواجهة القنابل الذريه ٠٠ وقد نوقشت كثيراً فكرت ضرب السد العالي بالقنابل الذريه ويؤكد الخبراء العالميون انه يستطيع أن يتحمل ذلك ٠٠ ومن المناسب أن أذكر أن عدداً من كتاب الغرب ومن الكتاب اليهود قد طرأت عليهم هذه الفكرة عندما رأوا السد العالي فالكاتب الفرنسي أندريه مالرو وزير الثقافة السابق قد ذكر في كتابه المشهور ((الذكريات المضاده)) أن القنابل الذريه اذا أصابت السد العالي فسوف تغرق مصر كلها ٠٠ كما أن كاتباً يهودياً ألمانياً اسمه حاييم ميخائيل قد ألف رواية بعنوان ((مياه أسوان)) تخيل فيها انهيار السد العالي ونسفه بالقنابل الذريه والالغام وغرق مصر ٠٠ وقال : في هذه الحالة ننتقم من مصر ٠٠ فهي التي قالت لليهود في أغانيها : في البحر حدد فلكم ٠٠ ولاكن في هذه الحالة سوف نأتي للمصريين بالبحر ولن ندفنهم وانما سننقذ المصريين كما أنقذ نوح البشريه ٠٠ وأحدث رواية ظهرت عنوانها ((الخط ٣٤ شرقاً)) أى شرق السويس من تأليف الفريد كوبل ٠٠ وهو قد فكر أيضاً في ضرب السد العالي واغراق مصر ٠٠ بل أن مؤلف رواية ((مياه أسوان)) كان أكثرهم صراحه فهو الذى قال : يجب اغراق مصر قبل أن يستعد أنور السادات ٠٠٠ الخ ٠٠٠

وفي ذلك الوقت جاءنا مهندس يوناني اسمه دانيلوس ٠٠ هذا الرجل قد درس مشروع السد العالي ودرس طبيعة أرض مصر كلها ٠٠ وجاء مهندسونا أيضاً ودرسوا المشروع جيداً ٠٠ في نفس الوقت الذى قيل فيه عن هذا الرجل اليوناني انه مجنون ، وهي صفة يشترك فيها مع كل أصحاب الافكار الجديده الجريئه في التاريخ ٠٠ وانتهينا من دراسة المشروع في سنة ١٩٥٦ وكل ماتحتاج اليه هو التمويل وماتحتاج اليه حوالي

٤٠٠ مليون جنيه ولابد أن يساعدنا البنك الدولي وتساعدنا أمريكا وبريطانيا ورد علينا البنك الدولي بأنه اذا ساهمت أمريكا فسوف يساهم مباشرة وانجلترا قالت اذا اشتركت أمريكا فسوف نشترك أيضاً .. الموقف بوضوح هو : اذا ارادت أمريكا انفتح الطريق أمامنا في كل شيء أما مساهمة انجلترا في هذا المشروع فقد أعلنت انها على استعداد لدفع خمسة ملايين جنيه .. وهو مبلغ تافه جداً ولكن انجلترا تريد أن تساهم .. أى تحشر أنفها في المشروع أو تضع قدمها في المنطقة بصورة أو أخرى وهذا يذكرنا بما فعله دزرائيلى عندما دخل بكل قوته في شراء أسهم قناة السويس عند انشائها وافتتاحها .. وفي ذلك الوقت كنا نتجه الى أمريكا وكان دالاس يحاور ويناور .. تاره يقول : انه يدرس ، وتاره يطلب التأني والصبر .. واصبح واضحاً لدينا انه يكسب الوقت ويضيعه علينا انه يستعد لشيء لم نعرفه بوضوح لكن لا نستبعد وقوعه حتى كان يوم ١٩ يوليو سنة ١٩٥٦ واصدار بيانه الشهير الذى شهر فيه بمصر معلنا افلاسها وعجزها عن بناء السد وامتناع أمريكا عن المساهمه بشيء .....

وبالتالي : البنك الدولي وبريطانيا ... وفجأة ـ وهذا شيء غريب وعجيب التقط الاتحاد السوفيتي الكرة واعلن موافقته على تمويل وبناء السد العالي واقول : غريب وعجيب لأن الروس عادة ليس عندهم رد فعل سريع وانما رد الفعل عندهم بطيء جداً .. ولا يتخذون اى قرار الا بعد مناقشات ومشاورات وقرارات على كل المستويات ، وتردد وتشكك .. ولكنهم هذه المره قرروا بسرعه وتجربتي الطويلة معهم ، والتي لا تزال مستمره ، تؤكد لي انهم ينتظرون عادة بالسنوات دون أن يفعلوا شيئاً وقد شكا جمال عبد الناصر كثيراً من هذا التباطؤ في الفعل ورد الفعل ، وانا قد عايشت هذه التجارب المريره .. فلم يحدث قط شيء كهذا الذى فعله الروس هذه المره والمره السابقه ...

اولاً : عندما وافقوا على مدنا بالسلاح .. وهكذا فجأة .....

وثانياً : عندما اخبروني في الحفلة التي اقامتها السفارة السوفيتيه أن التعليمات الوارده من موسكو تعلن أن الروس وافقوا على تمويل السد وبنائه شيء غريب .. لم يتكرر بعد ذلك ، ولن يتكرر ....

وكانت فرحتنا الكبرى ، وكان ذلك سداً عظيماً لثورتنا وفي احتفالات ٢٣ يوليو اشترك معنا وزير خارجية روسيا شبيلوف والقائد البريطاني الذى اتم معنا اتفاقية الجلاء ، وفي حفلة ام كلثوم كان لكل شيء طعم جديد .. ولكن القائد البريطاني قد سمع باذنيه كل الشتائم في بريطانيا .. فاغانينا كلها طويلة اللسان ، وهذا طبيعي ان يهاجم الفن الاستعمار والمستعمرين ... وتصاعدت المشاعر الوطنيه وازدادت المسافة اتساعاً بيننا وبين امريكا وتقاربت المسافة بيننا وبين روسيا فما كان من جمال عبد الناصر الا ان اعلن يوم ٢٦ يوليو في الاسكندرية ((تأميم قناة السويس)) . هنا احس دالاس بانه قد طعن على مرأى من العالم كله وكان دالاس هذا يصف عبد الناصر بانه ((صداع)) المنطقة .. فاذا ذهب الى مكتبه يسأل : الا توجد اخبار عن هذا الصداع؟ وكان الرد على موقف مصر هو ما حدث في ٣٠ اكتوبر عندما تآمرت بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر ... فكان العدوان الثلاثي .. وقد اشتركت هذه الدول الثلاث لاسباب مختلفه .. وان كان الهدف في النهاية واحداً .. فرئيس وزراء فرنسا جي موليه هدفه : ضرب ثورة الجزائر التي تساندها مصر ، وكان من رأيه ان ضرب مصر هو اجهاض لثورة الجزائر .. اما بريطانيا التي تراس وزراءها ايدن خلفاً لتشرشل فهي تريد العوده الى المنطقة كلها .. اما اسرائيل فهي الى جانب رغبتها في توسيع رقعة ارضها .. وابعاد الخطر عنها الى ما اسمته بعد ذلك بالحدود الآمنه .. فهي تريد ان تشارك في ضرب مصر قبل ان تستوعب السلاح السوفيتي الجديد .... لانه من المعروف في ((الفقه العسكرى)) ان القوات المصريه او اية قوات تحتاج الى سبع سنوات لكي تستوعب نظرية جديده في السلاح .. فنحن لم نعرف كيف نفهم ونستخدم السلاح الجديد الا بعد سبع سنوات كانت نهايتها سنة ١٩٧٣ .. فقد كنا نحتاج الى مثل هذا الوقت لكي نغير عقيدتنا او فلسفتنا العسكرية من الغرب الى الشرق ....

وكان العدوان الثلاثي .. فقضى على سلاح الطيران المصرى تماماً .. وان كان جمال عبد الناصر قد بذل جهداً هائلاً لكي يقنع الناس بان العدوان قد حطم الطائرات الهيكلية .. وليس هذا صحيحاً فقد سحقوا كل طائراتنا

وجمال عبد الناصر قد أعلن انه أرى من فوق بيته أنواع الطائرات التي هاجمتنا ٠٠ لقد كانت انجليزية وفرنسيه ، ولذلك عرف من الذى يحاربنا فأصدر قرار الانسحاب المشهور ٠٠ وكان قراراً رائعاً أدى الى انقاذ ثلثي القوات المصريه وكان هذا القرار ((ضربه حظ)) فقد صادفه الحظ السعيد في ذلك ٠٠ ولم يكن قراره مثل ذلك القرار الذى أصدره المشير عبد الحكيم عامر سنة ١٩٦٧ نموذجاً للاضطراب والفوضى فقد تحقق لجمال عبد الناصر الانسحاب في ثلاثة أيام ٠٠٠ ولكن الصحف المعاديه أعلنت أن الجيش المصرى كله قد أبيد تماماً أو انه اذا كانت هناك قوات فهي رمزيه ولذلك دعونا الملك سعود والملك حسين الى عرض عسكرى في العاظه ٠ وعرضنا عليهما فرقة مدرعات كامله ٠٠ تكذيباً لما تقوله دول العدوان الثلاثي من انهم قد قضوا علينا نهائياً والى الابد ٠٠٠

وهنا كان للروس موقف نذكره لهم ٠٠ فالعدوان الثلاثي لم يفلح في القضاء علينا ولم يحطم تلك العلاقه الجديده بيننا وبين الروس ٠ ويسرعه أيضاً باع لنا الاتحاد السوفيتي أسلحة جديده تعويضاً عن الذى خسرناه ٠٠ ويوم انسحبت دول العدوان الثلاثي من بور سعيد في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ برزت عندنا مشكلة صارخه عاجله : نحن في حاجة الى القمح والادويه ومواد ضرورية كثيره وفي ذلك الوقت كان الحصار علينا شديداً محكماً خانقاً وكنا في حاجة الى معونه سريعه ورفضت أمريكا ٠ وبذلك تم احكام الخناق على أيدينا وعلى أعناقنا وعلى بطوننا وان لم يكن هناك خناق على افواهنا وارادتنا ٠٠ وبادر الاتحاد السوفيتي بسرعه واعطانا القمح وهذا قرار ادهشني أيضاً ٠٠ مع انني طلبت منهم اشياء كثيرة ولا ازال ، ولكن أحداً لا يرد ٠٠ وقد مضت على هذا الصمت الرهيب سنوات ولا أعرف سبب هذه المبادره السريعه ربما كان سبب ذلك انهم كانوا ايامها طالعين في الميدان الدولي وكانوا في حاجة الى ان يظهروا في موقف أحسن وأن تتحسن سمعتهم لدى الشعوب العربيه فتلتف حولهم بلاخوف ٠٠ ومثل هذه المبادره السوفيتيه بتحويل أحدى السفن المحمله بالقمح لتتجه الى مصر كان له صدى عظيم وأرسى للروس قواعد عميقه متينه في المنطقة وفي ١٩٥٧ حشدت تركيا تحت ضغط أمريكي قواتها على حدود سوريا ٠٠ وفوجيء

دالاس وزير خارجية أمريكا بأن القوات المصريه قد وصلت الى اللاذقيه بدون أن يدرك الأسطول السادس الأمريكي شيئاً من ذلك وكانت ضربه مباغته ٠٠ وكان هذا الموقف المصرى أحد أسباب الوحده مع سوريا بعد ذلك ٠٠ وقبل ذلك كان جمال عبد الناصر قد واجه التحدى الأمريكي وكان قد كسر الاحتكار ثم انتصر على العدوان وأمم قناة السويس ٠٠ ولذلك أصبح أسطورة في العالم العربي كله وفي سنة ١٩٥٨ فوجئنا بأن الاتحاد السوفيتي قد اتخذ موقفاً معادياً ٠٠ فالاتحاد السوفيتي ضد الوحده مع سوريا ٠٠ أى ضد هذا المد القومي في المنطقة : ضد الوطنيه وضد القوميه ٠٠ وبسرعه هاجم خروشوف الوحده مع سوريا وهاجم جمال عبد الناصر ٠٠ فما كان من جمال عبد الناصر الا أن قبل هذا التحدى ، تماماً كما قبل التحدى ضد دلاس وفي ذلك الوقت ألقى الاتحاد السوفيتي ثقله مع عبد الكريم قاسم قائد الثورة العراقيه ٠٠ وكان عبد الكريم قاسم شيوعياً ، وكان اسمه مدرجاً في جداول التنظيم الشيوعي ٠ وبنفس الغباوه السياسيه التى دفعت بالروس أن يقفوا وراء عبد الكريم قاسم وقفوا في مصر بعد ذلك وراء على صبرى وشعراوى جمعه وغيرهم من التافهين ولا يدرك الروس الا بعد وقت طويل أن الناس الذين اعتمدوا عليهم لا وزن لهم ٠٠ ولكن هذه طريقتهم في فهم الناس والاستعانه بهم ٠٠٠٠ وثار جمال عبد الناصر وراح يهاجم الشيوعيه ويقاومها ويفند مزاعمها ويكشف عملاءها في مصر والمنطقه ٠٠٠٠

من " أوراق "

الرئيس السادات

الجليد ... يذوب :

بين موسكو والقاهره :

٣

وتعرضت العلاقات المصريه السوفيتيه الى هزات عنيفه بعد الوحده السوريه وبعد الثورة العراقيه وبعد الانفصال وفي نفس الوقت مضى السوفيت يساعدوننا في بناء المصانع والسد العالي ((ومركسه)) ميثاق العمل الوطني ... وتفاصيل أخرى كثيرة يرويها الرئيس السادات في ((تأصيله)) للاشتراك والجليد على الطريق بين القاهره وموسكو ....

وكانت الحفاوه العظيمه في الاسكندريه بداية النهايه لخروتشف ....

((علاقتنا)) بالسوفيت غريبه كانت ولا تزال وسوف تبقى ٠٠ لماذا ؟ أن الاسباب كثيره جداً ٠٠ والقليل من هذه الاسباب هي التي نعرفها ولكن في النهايه نحن دائماً أمام لغز لا نعرف له أولاً ولا أخراً فمرة نحس أن كل شيء انتهى أن الجيد الذى بيننا قد ذاب ٠٠ وانه يمكن للانسان أن يخوض في الطريق الطويل الممتد بيننا وبينهم ٠٠ مرة نحس أن الجليد قد ذاب ولكن هذا الجليد لم يكن سوى سطح بحيره عميقه جداً ٠٠ فأن الجليد قد ذاب ليخلي مكانه لعائق مائي هائل ٠٠ ومره ثالثه نحس أن الجليد قد ذاب ولكنه تحول الى انهيارات جليديه اكثر خطورة من السير على الجليد وأصعب على النفس من الانتظار الطويل حتى يذوب الجليد ٠٠٠ ومره نحس أن الافضل أن يظل الجليد على ماهو عليه ٠٠ فهذا أوضح لانك ترى أمامك طريقاً صحراوياً أبيض ٠٠ أو ترى أمامك جبلاً من الجليد يعترض طريقك فتدور حوله ٠٠ أو تتفاداه ٠ ولكن الانسانيه قد عرفت وبصورة عنيفه جداً ماذا حدث عندما أصطدمت السفينه الهائله تيتانيك بجبل من الجليد في المحيط الاطلسي ٠٠ فعندما أصطدمت به فوجئت بأن هذا الجبل قد ظهر ربعه على سطح الماء أما بقية الجبل فقد كانت تحت الماء فقد ظهر الجبل كله وأغرق السفينه ٠٠ يومها فقط ٠٠٠٠ وبثمن فادح جداً عرف الناس أن الجليد اذا كان جبلاً واضحاً فأن الجزء الاكبر منه مايزال خافياً تحت الماء ٠٠٠ ومن قراءة تاريخ الحروب في روسيا نجد أن الجليد هو المنقذ الاعظم ٠٠ فهو الذى أنقذ روسيا من قوات نابليون ٠٠ بل أن الجليد هو الذى دفن قوات نابليون في الغلاله البيضاء ٠٠ وهو أيضاً الذى دفن قوات هتلر مرة أخرى ٠٠ أن الجليد صديق الروس دائماً وفي الحروب يوصف الشتاء بأنه ((الجنرال)) فيقولون : جاء الشتاء أعظم الجنرالات ٠٠ أى اذا جاء الشتاء فقد انحسم الموقف لصالحهم ٠٠ والشتاء جنرال لانه يملأ الجو بالبروده لصالح الروس ٠٠ فاذا كان الشتاء جنرالاً فأن الجليد ماريشال ٠٠ ولكن يبدو أن الجليد الذى يتزحلق عليه الناس ويجعلونه كرات يلعبون بها ٠٠ ماتزال له صور أخرى يصعب فهمها ٠٠ ولكن أبناء الجليد وخصوصاً الروس يجيدون اللعب بها وعليها ٠٠ من ذلك لعبة أخرى لا أعرف كيف أسميها ٠٠ وأن كنت

اختار لها اسماً موقتاً هو ((غليان الجليد)) .. فاللعبة بيننا وبين السوفيت هي انهم كانوا يحاولون ان يقدموا لنا الجليد وهو يغلي .. شيء غريب .. فهو جليد ولكن يريدون ان يجعلوه يغلي ويحتفظ في نفس الوقت بكل صفات الجليد البارده .. كيف ؟ هذه هي براعتهم في ابقاء الجليد جليداً ، وفي نفس الوقت يغلي دون ان يذوب وهي لعبه من اقس ماعرفت في تاريخ العلاقات بين موسكو والقاهره ... ولي تجربه خاصه لا انساها : كان ذلك في سنة ١٩٥٦ وكنا قد اممنا القناة .. واهتز العالم العربي والدول الغربيه تربص بنا الاستعمار وكان ماكان مما هو معروف لدينا جميعاً .. ولكن في ذلك الوقت قد سافرت الى باكستان وكانت باكستان تتهيأ لتغيرات عنيفه في السلطه فكان على راس باكستان غلام محمد كان مريضاً مشلولاً وكانوا يفسرون مايقوله بالنظر الى حركة شفتيه وكان معروفاً ان الرجل لا يستطيع ان يستمر في هذا الوضع لظروف عنيفه والتغيرات مطلوبه والرؤوس تطل من كل مكان تريد ان تقفز الى مقعد الرجل او تلقي به ويقعده وتاتي بجديد من المقاعد او من الناس وقد حدث ذلك .. فوزير الداخليه في ذلك الوقت هو اسكندر ميرزا كان صديقي كما ان غلام محمد كان صديقي ايضاً .. وقد تقابلنا قبل ذلك بعام في المؤتمر الاسلامي واستولى الجنرال اسكندر ميرزا على السلطه وكان ذلك طبيعياً ويوم حلف اليمين وصلت انا الى باكستان .. وكانت باكستان قد وجهت الدعوه الى السوفيت لحضور حفلة حلف اليمين واوفد السوفيت ميكويان وكانت فرصه ان التقي به وان اشرح قضيتنا من جديد فنحن في حاجة الى ان نشرح وان نقول وان نعيد ونزيد وتم اللقاء بيننا وكان ذلك في مبنى السفارة السوفيتيه وكما هي عادتهم دخلنا باباً من وراء باب .. والابواب كلها بسرعه تنفتح وبنفس السرعه تنطبق وراءنا .. وهذه عادتهم لا يقابلون احداً خارج السفارة ولا يتصلون باحد وكان عندي تصور عام لموقفنا ولموقف السوفييت وكان من الضروري ان اطالبه بان يكون للروس موقف واضح : فالوضوح مشكله المشاكل بيننا وبين السوفييت انه ليس ضباباً ذلك الذي بيننا انه الجليد بمعانيه وصورة واشكاله واحجامه المختلفه المحيره .. وقلت لميكويان ايضاً اننا في حاجة الى تاييد السوفيت وان يكون التاييد واضحاً للعالم كله .. وبدون هذا التاييد

سيزداد موقفنا صعوبه ٠٠ وتزداد علاقتنا تعقيداً وغموضاً وكنت أطمع في أن أحصل على مجرد ((أعلان)) عن هذا التأييد من السوفيت ٠٠ فقط ((الاعلان)) وطبعاً مفهوم أن السوفييت اذا اعلنوا فلابد أن يكون هذا الاعلان له مضمون أي ليس المطلوب مجرد الكلام وانما اعلان عملي وبذلك يصبح دورهم نشيطاً معنا أو في المنطقة كلها ٠٠ ولكن الذي سمعته من ميكويان هو انه لا مانع من مجرد ٠٠ ((اعلان)) أي مجرد النيه الطيبه ولا شيء بعد ذلك ٠٠ ولكني كنت أتصور في ذلك الوقت انه ليس من المعقول أن يجيء الاعلان فارغاً ٠٠ أن يجيء الاعلان بياناً أجوف ٠٠ فقد تمنيت أستدراج السوفيت الى اعلان وعلى السوفيت أن يواجهوا العالم بعد ذلك وعليهم وحدهم أن يجيبوا على تساؤلات العالم كله : هل هو اعلان فقط ؟ هل هي مناوره ؟ هل السوفيت يلوحون ويهوشون ؟ هل هم جادون ؟ ٠٠ ولكن ميكويان ، كأي سوفيتي كبير مسئول فاهم سياسة بلاده ومناوراتها لم يوافق على هذه الفكرة ، ورغم ذلك فقد أصدروا بيانات تأييد لها كلمات تطن ولها عبارات ترن ٠٠ هذا كل مايريدون وكنا نطمع في أن يذهبوا الى أبعد من ذلك أو حتى يتورطوا الى أعمق من ذلك ٠٠ ومن المؤكد انني لم أطلب من السوفيت أن يتورطوا الى درجة أرسال قوات سوفيتيه تحارب معنا انا اعرف أن ذلك مستحيل ولكن كنا نتمنى أن يعلنوا عن فتح باب تطوع المسلمين في داخل الاتحاد السوفيتي ففي روسيا جمهوريات أسلاميه فلو سمحوا لابنائها بالتطوع للوقوف الى جوارنا لكان موقفنا مخيفاً لخصومنا وفي ذلك الوقت كنا قد أشترينا السلاح الروسي وبدأنا نتدرب عليه والتدريب شاق وطويل وكنا في حاجة الى طيارين فلو جاءنا طيارون مسلمون لكان ذلك عوناً لنا في موقفنا الصعب ٠٠٠٠٠ ويبدو أن هذه المطالب لم تكن مقبوله من أولها لآخرها وعدت أطلب من ميكويان في جلستنا التي أطالت أن يعلن الاتحاد السوفيتي ((فقط)) عن فتح باب تطوع المسلمين أو انه لا يمانع في ذلك وأكدت لميكويان أن هذا الاعلان سوف يكون عنصراً جديداً يهز المنطقة حولنا ويرهب المعسكر الغربي ويهدد بعمليات حربيه أكبر أو بمواجهة بين المعسكرين ، فكل ماطلبته هو مجرد أن نرفع درجة حرارة الجو السياسي والعسكري ٠٠٠ ومن المؤكد أن السوفيت لو وافقوا على فتح

باب التطوع لجاءنا الكثيرون ولكن ميكويان رفض التطوع ورفض فكرة الاعلان عن ذلك ولابد لي أن أتساءل عن مثل هذه المفردات التي يسرف السوفيت في استخدامها مثل : الصداقه .. والدعم .. والتعايش السلمي .. والسلام .. ومساندة الاشتراكية والوقوف بصلابه في وجه المحاولات الامبرياليه لاحتواء الثورات الشابه .. الى آخر مثل هذه المفردات .. وبعد ذلك لابد أن أتساءل ماالذى فعلوه .. وماالذى كان في استطاعتهم أن يفعلوه ثم عدلوا عنه .. والمراجعات المستمره لسلوكهم العام .. وأين هم من الاصدقاء وأين نحن من أعدائهم؟ أعود مرة أخرى الى ماكان بين السوفيت وجمال عبد الناصر وهواشد عنفاً من هذا وان كان المعنى واحداً والسلوك واحداً ونوعيات الجليد المستخدمه على كل الطرقات من كثافه واحده .. فخروتشيف قد هاجم الوحده بين مصر وسوريا التي تمت في ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ ومن المنطقي ـ ماركسياً ـ أن يفعل ذلك .. فهم ـ أى الشيوعيون ـ ضد القوميه وهم ينادون بتذويب القوميات أى بالقضاء عليها تماماً .. أى بتذويبها أو تمييعها أو اعدامها في بناء ((أممي)) ((شعوبي)) واحد كما يقولون وكان موقف خروتشيف عجيباً فقد جاءت عباراته عنيفه .. وكانت مفاجأة لنا .. والذى أصاب الرجل ؟ ماهي الجريمه التي ارتكبتها مصر ؟ أو ارتكبها ملايين المصريين والسوريين ؟ أليست هذه الوحده ضد الاستعمار ضد الغرب .. أليست هذه ثورة وراء ثورة ضد الامبرياليه .. أليس هذا سداً منيعاً ضد الغرب الذى طرد من هذه المنطقة .. ثم من الذى يمكن أن يستفيد من الثورات الشابه بالمعاونه والمصادقه والرعايه .. شيء عجيب .. ولكن بدأنا نتعود على العجائب في علاقتنا مع السوفيت .. ومن المناسب أن أتراجع الى الوراء قليلاً لأرى الصورة أوضح .. فقد كانت حملات خروتشيف في سنة ١٩٥٩ . ولكن شيئاً حدث في صيف ١٩٥٨ يستحق التسجيل والتأمل أيضاً .. ففي صيف ١٩٥٨ سافر جمال عبد الناصر على ظهر السفينه ((المحروسه)) الى يوغوسلافيا وكانت معه أسرته والدكتور محمود فوزى انتهت الزيارة في هدوء وعاد جمال عبد الناصر مستريحاً بمناقشاته مع تيتو ولكن عند عودته مراً بمحر الادرياتيك اتصل به الرئيس تيتو وأخبره أن ثورة اندلعت في العراق وأن البحر الابيض لم يعد أمناً وخير له أن يعود

وتناقش جمال عبد الناصر مع د ٠٠ محمود فوزى وقرر أن يعود الى يوغوسلافيا ومنها الى موسكو ٠٠ وركب جمال عبد الناصر أحدى المدمرات اليوغوسلافيه التي كانت تحرسه وعاد بها الى ميناء بولا اليوغوسلافي وركب طائرة نقلته الى موسكو ٠٠ ومفهوم طبعاً أن سفر جمال عبد الناصر الى موسكو هو سفر صديق الى الدوله العظمى الصديقه فهو يريد أن يعرض وجهة نظره وأن يطلب من السوفيت المساندة والوقوف وراء التطور الجديد في المنطقة ٠٠ ولم تكد الطائره تصل الى حافة مطار موسكو حتى انتقل جمال عبد الناصر بعيداً عن العيون الى خارج موسكو وهناك التقى بخروتشيف في فيلا أو شاليه يسمونه ((داتشا)) وفي هذا المكان الهادئ الجميل الانيق أجتمع جمال عبد الناصر بخروتشيف أكثر من ١٦ ساعه ولم يتعب جمال عبد الناصر مع شرح كل شيء لخروتشيف ٠٠ ذلك الحليف الذى يساند مصر فشرح له الانظمه الموجوده في المنطقة الانظمة التي يخشى منها على ثورة العراق ويخشى أن تصبح هذه الانظمه نقطاً للوثوب والانقضاض على الثورة العراقيه الجديده ففي لبنان كان كميل شمعون وهو عميل انجليزى وفي الاردن الملك حسين ابن عم الملك فيصل ملك العراق الذى قتل في الثورة ٠٠ وكانت هناك وحدة قامت بين العراق والاردن رداً على وحدتنا مع سوريا ولم يترك جمال عبد الناصر شيئاً في نفسه لم يقله لخروتشيف ٠٠٠ وعاد جمال عبد الناصر من موسكو الى دمشق واحتشدت الجماهير لتعرف ماذا حدث وعلى ماحدث واين مصر من هذا الذى حدث في العراق وما موقف الدول الكبرى وجاء جمال عبد الناصر واعلن من شرفة قصر الضيافه في دمشق انه لا خوف على ثورة العراق ولا هم يحزنون وان الاتحاد السوفيتي كعهده دائماً يقف وراء انتفاضات الشعوب وان الوقوف وراء ثورة العراق هو وقوف ضد الاستعمار الذى يريد أن يخنق الشعوب وفي نفس الوقت ضد الاحلاف الغربيه العسكرية التي تريد تطويق الاتحاد السوفيتي ٠٠ وكانت فرحة الجماهير العربيه لا توصف فقد ذهب جمال عبد الناصر وقال وسمعوه ووعدوه وعاد ملئ القلب والجيب بكل امكانيات السوفيت بعمل شيء من أجل سلامة ثورة العراق التي قامت ضد الرجعية العربيه ومتأثره بثورة مصر وعلى منوالها ٠٠ هذا هو الذى رآه الناس في الشرق والغرب والذى

أعلنه جمال عبد الناصر بحماس شديد من شرفة قصر الضيافه فجمال عبد الناصر وأي زعيم عربي لا يطمع في أكثر من هذا الذى حصل عليه من السوفيت ولكن الحقيقه غير ذلك تماماً ؟؟ .. فجمال عبد الناصر عندما كان يؤكد للناس أن يطمئنوا لم يكن هو نفسه كذلك وعندما راح جمال عبد الناصر يزف للأمة العربيه موقف السوفيت الصلب وراءهم كان يزف دماً .. فلاشيء من هذا الذى قاله واعلنه صحيح .. وعليك أن تتصور شكل زعيم يواجه الملايين ويقول ويصفقون له ويصرخون من شدة الفرحه وهو يعلم والسوفيت يعلمون أن هذا كله لا أساس له من الصحه أو الصدق . ؟ .. وأنا سمعت تفاصيل ماجرى في الـ (١٧) ساعة من جمال عبد الناصر شخصياً فقد قال لي جمال عبد الناصر انه حاول اقناع السوفيت بالوقوف وراء ثورة العراق وأن هذه الثورة هي كسر لحزام الأمان الذى وضعه الأمريكان حول الاتحاد السوفيتي وأن هذه الثورة قد قامت ضد سياسة الاحلاف .. ضد أحتواء الغرب لروسيا .. ولم يشعر جمال عبد الناصر بمرارة وتعاسة في حياته كلها .. كما شعر بعد واثناء الـ ((١٧)) ساعه التي أمضاها مع خورتشيف في أجمل مكان في روسيا .. كل شيء كان حول عبد الناصر مخطفاً عنه : كان ثائراً صارخاً ((والداتشا)) هادئه كان واقفاً .. والماء في البحيرة ساكن كان في حالة من الفزع والوجوه حوله جامده كان يقول .. وكأنه لا يقول .. ولم يفلح جمال عبد الناصر في أن ينقل مخاوفه الى خروتشيف أو مساعديه فقد كان هناك خوف على ثورة العراق .. كان هناك خوف أن تلقى عليها أنظمة عميله أو يحدث انقلاب في العراق أو تمرد .. أو تمزق .. وبعد ١٧ ساعه مريره أطول ١٧ ساعه في حياته كما قال لي بالحرف الواحد هز خروتشيف رأسه وأحس جمال عبد الناصر أن خروتشيف سوف يقول شيئاً يريحه بعد المرافعه الطويله ولكن خروتشيف قال له : ممكن وتساءل جمال عبد الناصر : ماهو هذا الممكن ؟

قال خروتشيف : أن نتخذ موقفاً .

قال عبد الناصر : الحمد الله ماهو ؟

قال خروتشيف : نستطيع أن نحشد قواتنا .

قال عبد الناصر : عظيم ؟

قال خروتشيف : على حدود تركيا ..

قال عبد الناصر : على حدود تركيا ؟.. ولكن لماذا ؟

قال خروتشيف : للتخفيف الضغط ولتحويل الانظار .. مارأيك ؟..

ولم يكن لجمال عبد الناصر رأى بعد هذا كله .. فلم يكن يتوقع بعد هذه المرافعات والمحاكمات والاستعراضات والصرخات والنداءات والتوسلات أن تسفر كلها عن مظاهره عسكرية .. أى عن قوات روسيه تتحرك في داخل روسيا لتقف على حدود روسيا تدعيما لثورة العراق .. هل هذا كل مايستطيعه الروس وتساءل عبد الناصر : لا شيء أكثر من ذلك ؟..

وكان رد خروتشيف : لا شيء أكثر من ذلك .

قال عبد الناصر : ورغم كل الذى قلت وشرحت ..

وكان رد خروتشيف : رغم كل ذلك ..

وعاد عبد الناصر يقول : انها فرصه أمام الاتحاد السوفيتي للقضاء النهائي على العملاء وعلى أعوانه .. ثم انها خطوة تجذب كل شعوب المنطقة فتلتف حول روسيا .. انها فرصه لايمكن تعويضها .. ولكن خروتشيف هز رأسه وازداد وجهه احمراراً وعيناه ايضاً .. وحرك يديه الصغيرتين .. وقال .. فهمت .. وسألة عبد الناصر لآخر مره : ماالذى فهمت؟

وكان الرد الاخير : انه لابد من مظاهره عسكرية على حدود تركيا لمساندة ثورة العراق ضد الاحلاف الامبرياليه ؟.. وفي شرفة قصر الضيافه في دمشق واجه عبد الناصر الملايين واخفى جرحه ومرارته وقال شيئاً آخر ولم يشأ أن يكشف عن هذه الطعنه التي اصابته في أعمق أعماقه ولكنه أدركها لما بعد .. وكان خروتشيف هو البادئ بعد ذلك .. فعندما تمت الوحدة مع سوريا .. وعندما انكشف الوجه الحقيقي لثورة العراق علم يكن عبد السلام عارف هو الثورة أو هو الثائر .. وانما كان هناك عبد الكريم قاسم .. وكان شيوعياً معروفاً مسجلاً في قوائم الحزب الشيوعي هنا فقط أدرك الاتحاد السوفيتي من هو رجلهم في بغداد أو في المنطقة .. ووقف الاتحاد

السوفيتي وراء عبد الكريم قاسم .. وهاجم مصر بوضوح واعلن خروتشيف استخفافه واستهجانه لهذه ((الوحده)) بين مصر وسوريا .. هذه الوحده ((العربيه)) وان هذا مظهر من مظاهر التكتلات البدائيه الساذجه المتخلفه .. فالعرب مايزالون اطفالا .. يجتمعون تحت كلمة اللغه او الدين او القوميه الى آخر هذه ((الهلوسات)) السياسيه كما يقول خروتشيف .. اما جمال عبد الناصر فقد قبل هذا التحدي الصريح من الاتحاد السوفيتي وهاجم الاتحاد السوفيتي وطلب مني جمال عبد الناصر وكنت ايامه رئيسا للاتحاد القومي ان اشرح للناس في مصر ابعاد هذه المهزله والماساة معا وذهبت اخطب الناس من القاهره الى اسوان وحاول الامريكان في ذلك الوقت ان يتصلوا بجمال عبد الناصر في دمشق ولكن المعركة انتصرت مصريه ضد السوفيت .. وبالبحث هذه المعركة ان هدأت .. وانخفضت درجة الحرارة .. زال البخار والذهاب معا .. ووضح الطريق وتوقفنا عن مهاجمة روسيا وامسك خروتشيف لسانه .. ولكن هذا الهدوء كان نسبيا لم يطل .. وكان الطبيعي هو ان يكون خلاف ويتبلج في علاقة تنمو مع السوفيت .. ولا اعرف الان بوضوح ان كانت ((شعرة)) معاويه بن ابي سفيان يمكن ان تكون وسيلة للاتصال بيننا وبين السوفيت .. لمعاويه هو الذي قال : لو كانت بيني وبين الناس شعره ما انقطعت ؟ كيف ؟ .. يشرح معاويه ذلك وهو رجل سياسي داهيه ؟ اذا شدوها ارخيتها ؟ واذا ارخوها شددتها . وهكذا تظل ((شعرة)) الصداقة او المصلحة لا تنقطع .. مهما بلغت درجة شدها او درجة تركها ولكن يبدو ان هذا كلام يقال .. ولكنه عمليا شيء صعب جدا وخصوصا اذا كان طرف الشعره يمسكه السوفيت .. والادله على ذلك كثيره ، كما سنرى .. واول مايصادفنا بعد هذا الهدوء ان وقع الانفصال بين سوريا ومصر سنة ١٩٦١ وقع الانفصال وبدأ انطلق لسان خروتشيف وهو لسان طويل ويبدو ان هذا الرجل لم يطق صبرا على هذا الصمت المريب الرهيب .. وخروتشيف هو اول زعيم في العالم يخلع جزمته ويدق بها منصة الامم المتحده .. في حالة غضب .. ويبدو انه من ذلك الطراز من الناس الذي لا يعرف كيف يخفي لسانه او حذاءه اذا ما اتيحت له الفرصه وجاءت ..

الفرصه انفصلت سوريا عن مصر واعلن خروتشيف : الم اقل لكم ايها العرب السذج ؟ .. وكان يقصد جمال عبد الناصر طبعاً .. ودخلنا في معركة جاده مع السوفيت .. فقد كان جمال عبد الناصر في حالة اليمه فالوحده قد انهارت فجاة والسوفيت شامتون الى هذه الدرجه وغير السوفيت في مصر وفي البلاد العربيه .. ولم يستطيع جمال عبد الناصر ان يبتلع هذه المراره ولا ان يسكت عليها .. وفي مواجهة هذا الانهيار من الخارج والتمزيق من الداخل كان لابد من اقامة بناء فكرى يمسك مصر ويهدى خطاها نحو العمل الوطني وبناء حاضرها ومستقبلها : فجاء ((الميثاق)) في مايو سنة ١٩٦٢ واحتوى الميثاق على نظرية محدده لبداية مرحله جديده في العمل الداخلي .. وطرأت على الميثاق تعديلات كثيره ولكن الذى يهمنا الان ونحن نتابع العلاقات السوفيتيه ان نذكر انه حدثت اجتهادات ومزايدات وتزييفات كثيرة للميثاق وما جاء فيه ... واصبح الميثاق لعبه جديده يتسلى بها الماركسيون في مصر فقد استغلوا بعض العبارات التي تحدثت عن ((الاشتراكيه العلميه)) وجعلوا الميثاق من اوله الى آخره نوعاً من ((البيان الشيوعي)) الذى اعلنه كارل ماركس وانجلز في منتصف القرن الماضي وقالوا : انه ماركسي صميم ، وقالوا .. اشتراكي علمي معتدل ، وقالوا .. اشتراكي اسلامي .. وقالوا .. بل اشتراكي عربي وحدوى .. وطبيعي جداً ان يسعد السوفيت بالتفسيرات الماركسيه للميثاق .. ولذلك كان السوفيت يشجعون جداً هذه الالعاب ... البهلوانيه .. التي تقدم بها الماركسيون في تفسير الميثاق وتحميله اكثر مما يطيق .. وترنحت مصر بين هذه الآراء التي لخبطت عقول الناس وبدأ الخوف يساور الجميع : اين نحن من هذه الماركسيه ؟ اين تقاليدنا ؟ اين ديننا ؟ اين كل ماضينا ؟ وما قد ساتنا امام هؤلاء المبشرين الجدد .... ولكن ظل الميثاق بتفسيراته الجديده سيفاً على رقاب الناس والناس معذورون في هذه الحيره .. وفي ذلك الوقت قامت ثورة اليمن بعد عام من وقوع الانفصال في سوريا الانفصال كان في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦١ والثورة اليمنيه في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ وساعدنا الاتحاد السوفيتي على تدعيم الثورة

اليمنيه وكانت دموع الانفصال واحزانه قد تلاشت من النفوس واتجهت الانظار الى شيء جديد في اليمن .. ومضى السوفيت ايضاً يساعدونا في بناء صرح الصناعه المصريه ومضى ايضاً في بناء السد العالي .. لم يتوقف عن تزويدنا بالمصانع الثقيله ولا عن ارسال الادوات والمعدات لبناء السد العالي .. كل شيء مستمر البلبله الماركسيه في مصر وتوريد السلاح وبناء المصانع وبناء السد العالي ... كل شيء نشيط على جميع الجهات .. وعلى الانسان ان يجدد حيرته وقلقه اذا كان قد نسى ان يفعل ذلك .. وكان من الطبيعي ان يحدث شيء آخر في مصر في داخل مصر والذي حدث يمكن اعتباره تحولاً داخلياً فقد اختار جمال عبد الناصر رئيساً للوزراء علي صبري وعلى صبري كان مديراً لمكتب جمال عبد الناصر وبحكم هذا المنصب يعرف الكثير من الاخبار والاسرار وبحكم هذا المنصب يقرأ كل الاوراق ذهاباً واياباً .. وبقي علي صبري رئيساً للوزارة من سنة ١٩٦٢ حتى سنة ١٩٦٥ وفي هذه الفترة بدأنا نضع الخطط الطموحه للصناعه المصريه الثقيله وفي نفس الوقت كان يقوم هو وآخرون ((بمركسة الميثاق)) حتى يصبح اسم الميثاق ((الميثاق الماركسي للعمل الوطني)) او ((الميثاق الوطني للعمل الماركسي)) .. او ((الميثاق الماركسي)) فقط ... والغريب ان علي صبري هذا لم تكن له علاقه بالماركسيه لا تفكيره ولا نشأته لقد كان ابعد مايكون عن الماركسيه ولكن الضرورة لها احكام ومن احكام الضرورة ان يكون ماركسياً او داعيه لها .. والتف حوله كثيرون من الماركسيين ولم يكتف الماركسيون بالدوران حوله : وانما تسللوا الى اماكن كثيرة ومراكز رئيسيه واكثر من ذلك اقيمت المعاهد الماركسيه .. وعلى الرغم من ان جمال عبد الناصر قد عارض الماركسيه واكد ان بيننا وبينها فوقاً جوهريه كثيرة وانا اؤكد انه لم يكن ماركسياً ولا كان قد اعلن ذلك : لانه رجل شجاع ولكنهم اخذوا من الميثاق مايعجبهم وبالغوا فيه وتركوا مالا يعجبهم او مايخدمهم وبالغوا في عدم اهميته ومن الفروق الواضحه التي اشار اليها جمال عبد الناصر في الميثاق ثلاثه :

اولاً ـ اننا نرفض سيطرة طبقة على طبقة كما تريد نا الماركسيه التي تنادي بدكتاتوريه الطبقة العامله وسيطرتها على كل الطبقات.

وثانياً ـ أن لدينا ديناً سماوياً ٠٠ وأن حرية العقيده الدينيه يجب أن تكون لها قداستها في حياتنا الجديده وأن القيم الروحيه الخالده النابعه من الأديان قادره على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبه ٠٠ وأن رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات انسانيه استهدفت شرف ٠٠ الانسان وسعادته وأن واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته ٠٠٠

وفي الميثاق أعلن جمال عبد الناصر أيضاً : أن جوهر الرسالات الدينيه لا يتصادم مع حقائق الحياة وانما ينتج التصادم في بعض الظروف من محاولات ٠٠ الرجعيه أن تستغل الدين لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهيه الساميه ٠٠ فقد كانت جميع الأديان ذات رساله ساميه تقدميه ولكن الرجعية التي ارادت احتكار خيرات الارض لصالحها وحدها اقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيه مايتعارض مع روحه ذاتها ٠ لكي توقف تيار التقدم ((أن جوهر الأديان يؤكد حق الانسان في الحياة وفي الحرية بل أساس الثواب والعقاب في الدين هو فرصه متكافئه لكل انسان أن كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها اعماله باختياره الحر ولا يرض الدين بطبقه تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم ٠٠ أن الله ـ جلت حكمته ـ وضع الفرص المتكافئة أمام البشر أساساً للعمل في الدنيا وللحساب في الآخره)) ٠٠٠

وعلى الرغم من هذا السلاح الشديد في الميثاق على قداسة الدين والايمان بالله وتقديس القيم الرفيعه فأن دعاة الماركسيه قد طمسوا هذا الميثاق وحولوه الى وثيقه شيوعيه ملحده ٠٠ والفارق الثالث بيننا وبين الشيوعيه الذى ذكره الميثاق أيضاً هو : لا ملكيه في النظام الشيوعي فكل شيء تملكه الدوله ٠٠ والناس جميعاً خفراء وبوابون على كل شيء ٠٠ ثم أن الدوله تملك كل وسائل الانتاج ولكن نحن نقول أن الدوله تسيطر على وسائل الانتاج وفارق كبير جداً بين أن تملك الدوله كل وسائل الانتاج وبين أن تكون

لها سيطره عليهـــا ٠٠ وبعد ثلاث سنوات من رياسة علي صبرى للوزارة ضجت الدوله كلها وصرخ الشعب ٠٠ فقد شكك هـذا الرجل في كل شيء وراح يستعدى الناس بعضهم على بعض ويقلب ويؤلب الطبقات ٠٠ انه هو أيضاً يريد أن يجعل الجليد يغلي ٠٠ أو يدفع البلد الى حافة الهاويه أو الى الهاويـــة تحت قدمي السوفيت ولما تعالت الأصوات من هذا التضليل في الصحف وأجهـزة الاعـلام والتجمعات السياسيه والمعاهد الاشتراكيه التي جعال عبد الناصر بزكريا محي الدين رئيساً للوزراء بدلاً من علي صبرى ولكن في سنة ١٩٦٤ أى قبـل تلحية علي صبرى زارنا خروتشيف في الاسكندريه ٠ ورأى الرجل مالم يكـــن يتوقعـــه من حفاوة المصريين وعـاد الى بلاده ليجد شيئاً آخر لم يكن يتوقعـــه ٠٠ أنزلوه مـن فـوق العرش الأحمـر ٠٠ وأجلسوه تمشياً مع تقاليد هم المعروفه على دكـة خشبيه في حـديقه مهجـوره ٠٠٠ حتـى المـوت ٠٠٠

من " أوراق "

الرئيس السادات

الجليد .. يذوب :

بين موسكو والقاهره :

٤

يقترب الرئيس السادات في ((أوراقه)) من المواقف الحاسمه والمواقع المتفجره في العلاقات السوفيتيه المصريه .. ويسمها برفق .. وهو يسجل كل ذلك للتاريخ ...

وواضح مما يقوله الرئيس السادات أن سلوك السوفييت له ملامح واحده ، تتكرر في أى وقت وفي أى مكان ....

وعلى الرغم من أن الرئيس السادات قد تأمل في ذلك كثيراً فانه قد استبقى الحكم على هذه العلاقات ((المتشنجه)) بسبب مافيها من شده وحدة ، الى الذين يدرسون التاريخ أملاً في أن يفيدوا ويستفيدوا .....

ثم بدأ السوفيت يشكون

في كفاءة قواتها المسلحه !! ..

((من)) الضروري انه اتجه الى طبيعة العلاقات السوفيتيه المصريه من حين الى آخر .. فهي من ذلك النوع الذى يقتضيك أن تلتفت وراءك كلما مضيت فيها قليلاً أو كثيراً لكي تعرف أين ذهبت وكيف اتجهت .. لانها لم تمش في خط واحد أو حتى خط مستقيم .. وهو خلاف .. أساسه كما قلت أكثر من مره ، يرجع الى طبيعة السوفيت أنفسهم والى طبيعتنا .. والى سوء ظنهم الدائم بغيرهم من الناس .. وسوف التفت ورائي فوراً وأطيل النظر والانتظار لنعرف أين نحن قبل أن انتقل الى محطة هامه أو منعطف خطير في علاقة السوفيت بنا والشرق العربي كله .. فنحن لا نزال في عصر خروتشيف الذى زار مدينة الاسكندريه في أواخر أيامه .. وكان يتوقع شيئاً آخر غير الذى رآه فقد استقبله الشعب بحراره شديده .. وكانت مفاجأة كبرى لخروتشيف هذه المفاجأة دلت أيضاً على فارق واضح بين فهم الجماهير للأمور وفهم القيادة السوفيتيه أيضاً . ولا بد أن خروتشيف قد كان سعيداً بهذا الاستقبال بقدر ما كان مندهشاً .. ولكن لا سعادته طالت ولا دهشته انتهت .. انما هذه هي نهايته الحقيقيه فعندما عاد الرجل الى بلاده ومعه أقلام الاستقبال والحفاوه تحركت القلوب ضده وتلاقت وراء ظهره الخناجر وأطاحوا به .. وأحس الزعماء السوفيت أن الرجل الذى ازاح مالنكوف وأخرج ستالين من قبره ومزقه وازال تماثيله واتهمه بالخيانه العظمى وهذا الرجل يريد أن يكون ستالين جديداً .. يريد أن يكون الواحد الاوحد في الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشيوعي في العالم .... فقد أصبح خروتشيف نجماً عالمياً فمواقفه مع جون كنيدى ومعاركه ومناقشاته الحاده وسخرياته اللاذعه .. وملامحه الروسيه البحته .. والصور التي حرصت صحف الغرب على أن تنشرها له كالدب الروسي .. أو كالامبراطور الاحمر لقد جعله الغرب نجماً عالمياً أذاقوه بالرئيس الامريكي كنيدى الذى قتل في نوفمبر ١٩٦٣ وقد لحقه خروتشيف في العالم التالي .. والسوفيت لم يقتلوا خروتشيف وانما خلعوه بعنف والقوا به الى النهايه المعروفه والمعترف بها عندهم : اسقطوه من العرش والابهه والفخامه ووضعوه بمنتهى الهدوء والبرود على دكه خشبيه في حديقة مهجوره ينتظر الموت ولكن نهايه خروتشيف

هـذه شيء طبيعي كما قلت من قبل ولكن عصر خروتشيف ترك اثراً بالغاً على علاقتنا بالسوفيت وعلى علاقة السوفيت بالشرق الاوسط ولذلك ارى أن اقف وانظر ورائي واطيل النظر قبل أن ادفع بالاحداث او تدفعنا الاحداث الى علامات جديده في هذا الطريق ... من المعروف أن وفاة ستالين قد احدثت تغيراً كبيراً في سياسة السوفيت في الشرق الاوسط فقد كان لهم دور في الصراع العربي الاسرائيلي عندما اتخذوا جانب العرب بشكل ما . ولكن هذا الشكل لم يتضح الا بعد أن قام خروتشيف بتنحية مالنكوف رئيس الوزراء السوفيتي في فبراير سنة ١٩٥٥ ... وبين ستالين وخروتشيف خلافات كثيره في الشخصيه واسلوب العمل وأن كان الاثنان لهما منطلق واحد فستالين كان يرى الدنيا كما قلت معسكرين اثنين فقط كتلة شيوعيه وكتله راسماليه ولكن خروتشيف يختلف عنه قليلاً فهو يرى الدنيا ثلاث كتل كتلة شيوعيه وكتله راسماليه وكتلة العالم الثالث وكان يرى انه من السهل احتواء العالم الثالث عن طريق المعونات العسكريه والاقتصاديه وهذا تصور هو الذى كان مصدر المتاعب للسوفيت ولنا وللعالم الثالث .. ومن سخرية القدر أن يكون وزير خارجية امريكا الجديد فوستر دالاس من رأى ستالين وليس من رأى خروتشيف فهو ايضاً يرى الدنيا كتلتين : الراسماليه والشيوعيه ولا ثالث لهما اما معه . او ضده . وكان على هذين الرجلين دالاس وخروتشيف أن يعاملا ويتفاهما ويقسما السياسه الدوليه وفي نفس الوقت الا يدفعهما الخلاف الى المواجهة العسكرية او التصادم في المناطق الساخنه او الباردة من العالم .. ولذلك عندما حاول دالاس أن يضم بعض الدول العربيه في حلف عسكرى ضد الروس ادى ذلك الى صدام مع هذه الدول العربيه ولكن عقلية دالاس لا تستطيع أن ترى وسيله اخرى لتكتيل المعسكرات غير ((حشر)) الدول كلها في سلتين : السله الشيوعيه والسله الراسماليه ولذلك استحق دالاس من الرئيس الامريكي ايزنهاور أن يصفه بانه اعظم السياسيين الامريكان !! .. وغلطه اخرى وقع فيها دالاس ايضاً انه في هذا التحالف العسكرى ـ حلف بغداد ـ كان قد ضم بريطانيا وهي الدوله الاستعماريه التي تحركت الدول الشابه في المنطقة للتخلص منها واحلافها .. ومعنى ذلك أن ..

الامريكان قد جمعوا الحمل مع الذئب في حلف عسكرى ضد روسيا في حين ان ٠٠ العرب تحالفوا ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي في المنطقة ٠٠ وقد اثار جمال عبد الناصر على هذا الحلف كما ذكرت وكما هو معروف واتجه لشراء السلاح من روسيا وصفقة السلاح هذه محطه وقوف وتأمل في الطريق بين موسكو والقاهره فالروس وافقوا على بيع السلاح ليكون لهم مكان جديد في الشرق الاوسط ومن هذا المكان يمارس السوفيت سياسة تدخل جديده في المنطقة وفي المياه الدافئه مياه البحر الابيض والاحمر ٠٠ وكان بيع السلاح لمصر ولغيرها بداية معضله وقع فيها الروس فالدول التي تشترى السلاح لا تشترط معها تدخلاً سوفيتياً ولكن السوفيت لا يرون ذلك ولا يتصورون انهم يبيعون وبعد اتمام الصفقه ينتهي كل شيء بل ان هذه الاسلحه قد تدفع الدول التي اشترتها الى مغامرات حربيه لا يستطيع السوفيت منعها او التحذير منها بل ان هذه المغامرات ٠٠٠ العسكريه قد تهدد السوفيت انفسهم بمواجهة عسكرية مع الامريكان فالسوفيت اعطوا السلاح ودخلوا المنطقة ولكن ليست لهم قدره على السيطره على الزبائن الجدد وقد احس السوفيت عن حرب ١٩٥٦ اى ايام العدوان الثلاثي على مصر ٠٠٠ وكان وضعهم اشد حرجاً مع حرب يونيو ١٩٦٧ فقد ارسل السوفيت شحنات من الاسلحة الى مصر قبل نشوب حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ٠٠٠

وواجه السوفيت مشكله اخرى فبعد اعطاء مصر المعونات العسكريه والاقتصاديه والمساعده الادبيه لمصر بعد تأميمها قناة السويس اعلن جمال عبد الناصر تحريم اى نشاط شيوعي ووضع الشيوعيين في السجن وكان واضحاً من ذلك ان جمال عبد الناصر لا يخلط بين السوفيت كدوله عظمى صديقه وبين النشاط الشيوعي الذى يهدد الامن والحكم في مصر واعلن جمال عبد الناصر في ذلك الوقت : انه لا شيء يهدد تدعيم الصداقه المصريه السوفيتيه حتى لو حاكمنا كل الشيوعيين في مصر واودعناهم السجون !! ٠٠ هذه المواقف كلها كانت خيوطاً متينه التفت حول عنق خروتشيف وجاء خصومه وشدوها بعنف ٠٠ ثم رموه وعلقوه منها والنهايه معروفه وقد شكا خروتشيف من محاولة الحزب الشيوعي في مصر فخروتشيف على راس الشيوعيه الدوليه ولا يستطيع

أن يسكت عن هذا الذى جرى في مصر .. ومن واجبه حماية أى شيوعي في مصر ولكن جمال عبد الناصر استنكر هذا التدخل السوفيتي في شؤون مصر الداخليه وساءت العلاقات وانخفضت الارض تحت المشاة في طريق موسكو ـ القاهره وكذلك كان الحزب الشيوعي السورى حجراً ثقيلاً في طريق خروتشيف ففي سنة ١٩٥٧ بدا للروس أن الشيوعيين سوف يقبضون على السلطه في سوريا وقد نشط هذا الحزب وجمع صفوفه واتجه بدعايته الضخمه الى دمشق خصوصاً بعد سقوط الشيشكلي سنة ١٩٥٤ فقد كانت الحكومة السوريه مواليه للروس وكانت الزيارات المتبادله بين سوريا وروسيا واضحه واعلنت الصحف الامريكية كلها أن سوريا على ((حافة الهاويه)) السوفيتيه ـ اى انها سوف تسقط في المعسكر الشيوعي .. عندما حدث شيء هز القيادة السوفيتيه واثبت خطاها في الحساب واحرج خروتشيف حرجاً فظيعاً .. لقد اعلنت سوريا الوحده مع مصر في دوله جديده اسمها الجمهورية العربيه المتحده .. وكما دخل الشيوعيون المصريون السجن لحق بهم الشيوعيون السوريون ايضاً ونزل تحت الارض الحزب الشيوعي السورى اقوى الاحزاب الشيوعيه في المنطقة وجاءت هذه الوحده انتصاراً للقوميه العربيه والجمال عبد الناصر وصدمة للشيوعيه الدوليه وهزيمة للقياة السوفيته .. ثم استحكم الصراع بين القوميه العربيه والشيوعيه عندما سقط نظام نورى السعيد الموالي للغرب في يوليو سنة ١٩٥٨ وانضم الى المد القومي الذى بلغ اوجه بالوحده بين سوريا ومصر وعلى الرغم من محاولة جمال عبد الناصر ان يحصل من السوفيت على مساندة للنظام الجديد في العراق فان عبد الكريم قاسم قد اسفر عن وجهه الحقيقي فيما بعد فهو رجل شيوعي ولذلك ساعده السوفيت وقدموا له معونات عسكرية واقتصاديه وباعدوا بينه وبين المد القومي وان كان عبد الكريم قاسم فيما بعد قد استخدم الشيوعيين ضد الناصريين في العراق ليضعف الاثنين معاً ولكن السوفيت ساندوا عبد الكريم قاسم في حرصه المستمر على الانفصال عن المد القومي بزعامة جمال عبد الناصر فكتبت صحيفة برافدا في مارس ١٩٥٩ تقول بسخرية شديده ما معناه ((ان بعض الشخصيات في المنطقة تدعو الى وحدة الدول

العربيه كلها معاً وحدة ميكانيكيه فوريه ،سواء رغبت هذه الدول أو لم ترغب فاذا لم توافق هذه الدول على الوحده بالأكراه اتهموها انها شيوعيه أو .. صهيونيه .. أو معاديه للشعب العربي - والمقصود - بهذا كله طبعاً جمال عبد الناصر !!!! .. وعلى الرغم من محاولات خروتشيف للتقارب مع مصر وتذويب الجليد أو كنسه من الطريق في سنة ١٩٦٠ فقد أصطدم خروتشيف في مايو سنة ١٩٦١ بوفد برلماني مصرى كنت أرأسه وكنت وقتها رئيساً لمجلس الأمه وكانت مناقشة حادة بيننا وأصر خروتشيف على موقفه كراس للشيوعيه الدوليه فقال .. اذا أردتم الاشتراكيه فلا تعارضوا الشيوعيه !! .. وقال أيضاً : أن القوميه العربيه ليست قمة السعاده وقال أيضاً : أن الحياة نفسها سوف تفرض عليكم الشيوعيه !! .. وأصيبت العلاقات السوفيتيه المصريه بصدمه عنيفه وتمزقت وعلى الرغم من مساندة السوفيت للعراق عسكرياً واقتصادياً فأن عبد الكريم قاسم أراد أن يستقل بسياسته هو أيضاً ثم أبعد الشيوعيين عن السلطه حتى سقط عبد الكريم قاسم سنة ١٩٦٣ وحوكم مئات الشيوعيين واتجه السوفيت بعد ذلك الى بلاد عربيه أخرى يحاولون أن يعوضوا المواقع التي خسروها في مصر وسوريا والعراق .. وهذه قصة أخرى تستحق المتابعه والتسجيل ولكن لا أريد أن أبعد كثيراً عن الهدف الذى حددته منذ البداية وهو : رسم الطريق الذى بيننا وبين موسكو بكل ضيقه واتساعه وانخفاضه وارتفاعه ومنعرجاته صعوداً وهبوطاً .

ولا بد أن خروتشيف قد نظر الى المنطقة فوجد انجازات اشتراكيه عديده ، وبعد أن أممت مصر القناة وأممت جانباً من صناعاتها وبعد الانفصال وبعد الذى حدث في الجزائر والعراق ولا بد أن خروتشيف قد اقتنع أخيراً بأنه من الممكن أن تتجه الدول الى الاشتراكيه دون مساعدة من الأحزاب الشيوعيه في المنطقة وقال بعض المؤرخين في ذلك الوقت : أن خروتشيف قد أحس بأن ماقاله في موسكو قد تحقق وأن العالم العربي في طريقه الى الشيوعيه .. ولكن لم يطرح خروتشيف من المسألة أمام القيادة الحزبيه كيف يساعد السوفيت دوله كمصر رغم ماتفعله بالشيوعيين وهنا أخترع فلاسفة الحزب الشيوعي تغيرات جديده لوصف مايجرى في الشرق الأوسط فقد وصفوا نظاما في مصر بأنه ((الطريق اللاراسمالي))

او ((الديموقراطيه الثوريه)) وكانوا يقصدون بذلك نوعاً من الاشتراكيه تتحقق بشكل مادون معونه من الاحزاب الشيوعيه ولكن قرر خروتشيف ايضاً انه على الشيوعيين المصريين ان يتسللوا الى السلطه والى الاتحاد الاشتراكي لتوجيهه من الداخل وصدرت التعليمات الى الحزب الشيوعي المصرى وهو تكوين هزيل بان ينشط في داخل التنظيمات الشعبيه والسياسيه في مصر ليبدأ السوفيت بعد ذلك سياسه جديده هي سياسة الاتصال المباشر مع مصر .. حزباً لحزب .. اى مندوبون من الحزب الشيوعي يزورون مصر ويعقدون جلسات عمل مع مندوبي الاتحاد الاشتراكي في مصر .. وكان من رأى خروتشيف ان مثل هذه العلاقات سوف تجعل باندفاع الاحزاب الاشتراكيه ودحرجتها على طريق الشيوعيه ولكن عدداً من الشيوعيين العرب قد استنكر هذه السياسة السوفيته الجديده ودارت مناقشات حاده حول هذه التعبيرات الجديده التي صدرها السوفيت الى المنطقة وفي هذه الاثناء جاء خروتشيف لزيارة مصر ليرى بنفسه ماالذى يجرى في هذه البلاد التي ساعدها السوفيت ويبنون لها السد العالي وجاءت هذه الزيارة تؤكد ان خروتشيف لم يستطيع ان يفهم شيئاً .. وقد اندهش خروتشيف جداً عندما صفقت الجماهير لعبد السلام عارف وهو يردد آيات من القرآن الكريم ...

وقال : اعترف بانني لااستطيع ان افهم العرب ...

وقال ايضاً : لا توجد وحده واحده استطيع فهمها سوى وحدة الطبقة العامله . ولكنه في نفس الوقت لم ينس ان يفعل مايدعم ((وضعية)) الاتحاد السوفيتي في مصر عندما تبرع بمزرعة ميكانيكية هذه المزرعه خلقت لنا عدداً من المشاكل لم تنته الا اخيراً جداً وعلى ايامي انا .. وقيل في ذلك الوقت انها نموذج لمزارع الدوله اى ان المزارع يجب ان تكون للدوله لا يملكها احد فالدولة هي التي تملك .. والناس جميعاً عمال زراعه وانفقنا على هذه الارض حوالي سبعين مليون جنيه ولكن احداً لم يتقدم لهذه الارض ولا يعرف ماالذى يمكن عمله .. لان هذه الارض كما قيل وقتها - انها مزارع دوله .. وان .. الميثاق الذى ((مركسوه)) في ذلك الوقت ينص على ذلك .. وبدلاً من ان .. نستفيد من هذه الارض ظلت كما هي .. وحاول سيد مرعي وكان وزيراً للاصلاح

الزراعي أن ينقذ هذه الأرض من التفسيرات العجيبه للميثاق وعلى الرغم من انه حصل على موافقة جمال عبد الناصر فانه لم يستطيع أن يذهب الى أبعد من ذلك فقد ثارت عليه مراكز القوى ، وثار عليه ((دراويش)) الاشتراكيه ثم عاد سيد مرعي وكرر المحاوله وهو نائب رئيس الوزراء وعلى شخصي أيضا واقترح أن تتولى هذه المزرعه بعض الشركات ولكنه لم يوفق أيضا .. وظلت هذه الأرض على ماهي عليه لا يربها أحد حتى طرت فوقها ورأيتها وقررت استغلالها وتوفير التكنولوجيا الحديثه لها وبذلك تنتج أربعة أو خمسة أمثال ماتنتجه الأرض بالطريقه العاديه فهذه الأرض مزوده بكل ماهو ضروري .. موجوده ومبطنه بالاسمنت والأرض مستصلحه والمياه قد ركبتها وبها ثلاث محطات رفع .. ولو زرعت هذه الأرض التي مساحتها حوالي ٧٠٠ ألف فدان لكانت قد حلت لنا مشكلة الطعام فلا يتبقى لنا غير القمح الذى نستورده .. فهذه الأرض انتزعناها من الصحراء شمال مديرية التحرير والمريوطيه وهي من أجود أرض وادى النيل وبقيت على هذه الحال حتى سنة ٩٧٥ لا يقترب منها أحد والسبب هو هذا التفسير الماركسي للميثاق .. ولكن الأرض قد أعطيت لشركات تحسن استغلالها في وزارة ممدوح سالم .. وكان نصيب هذه المزرعه أن ظلت بائره : خسارة فادحه على مصر بسبب هذه البلبه الماركسيه التي حدثت أيام وزارة علي صبري التي أقلقت الناس وأفزعتهم على مستقبلهم .. وقبل تنحية علي صبري سافرت مع جمال عبد الناصر وزكريا محي الدين الى موسكو وكان ذلك في سبتمبر ١٩٦٥ .. في هذه السنه حدثت تغييرات في العالم فبعد اغتيال كيندى في ٩٦٣ جاء جونسون رئيسا لأمريكا وفي فبراير ١٩٦٥ قرر الرئيس جونسون أن يدخل معنا في مواجهة ونحن نعلم يقينا أن جونسون قد باع نفسه لاسرائيل وهو أيضا قد أتى بالاخوين ((روستو)) وجعل أحد مهما في وزارة الخارجيه والثاني في الأمم المتحده وكلاهما صهيوني وهما المحركان لسياسته الخارجيه .

وأول محاوله للتحدى أو المواجهة معه أن أرسل لنا في مارس ((تالبوت)) أحد رجال وزارة الخارجيه ومعه انذار الى جمال عبد الناصر .. الانذار يقول أن القوات المصريه يجب الا تزيد عن عدد معين وانه لابد من اجراء

تفتيش على استخداما للطاقه النوويه ٠٠ ولم يكن لهذا سوى تفسير واحد ٠٠ هو ان امريكا تريد استدراجنا الى مواجهة معها فالرئيس جونسون يعلم مقدما ان مثل هذه الطلبات او هذا الانذار سيرفضه جمال عبد الناصر ورفضه بالفعل ٠٠ وكانت النتيجة التي تريدها امريكا : قطع المعونه الامريكية عن مصر وكنا قد اتفقنا على هذه المعونه مع الرئيس الراحل جون كنيدى ٠٠ وكانت اتفاقية كنيدى وعبد الناصر لمدة ثلاث سنوات وهي اتفاقية لم يوقعها كنيدى الا مع دول المعسكر الغربي فقط ٠٠٠ وكانت هذه المعونه تستوعب السنوات من ٦٢ الى ٦٥ وهي سنوات حكم علي صبرى التي اتت على الاخضر واليابس ٠٠ فجاء انقطاع المعونه كارثه اخرى على مصر فقد كنا بمقتضى هذه المعونه نشترى القمح بالجنيه المصرى اما العملات الصعبه فنوفرها لعمليات البناء ٠٠ وكانت حرب اليمن تقتضينا في ذلك الوقت تكاليف فادحه ٠٠ ووصلنا في سنة ١٩٦٥ الى اسوأ حال يتمناه لنا اشد الناس عداوه وشماته في مصر !!! ٠٠٠ في شهر سبتمبر من هذه السنه سافرنا الى الاتحاد السوفيتي وكانت القيادة السوفيتيه قد تغيرت ذهبت قيادة خروتشيف في ١٩٦٤ وجاءت قيادة جديده من بريجنيف وكوسيجن وكان ميكويان مايزال رئيسا للدوله ولم يكن بود جرني قد حل محله ٠٠ وان كانوا يجهزونه لمنصب الرئاسه وذلك بان قدموه في الحفلات العامه على انه هو الرجل القادم بعد ذلك ٠٠٠ وصلنا يوم السبت ونقلونا فورا الى ((الداتشا)) التي يخصصونها للقادة السوفيت وهي تبعد عن موسكو حوالي ٥٠ كيلو مترا ٠٠ المكان جميل جدا والبحيرات جميله وفيها يتوالد البط الذى يجيء لنا هنا في مصر وهذا البط موجود هنا لصيده واكله على مدار السنه وحول الداتشا توجد مصايد للاسماك وغابات للخنزير البرى كل شيء في غاية الجمال والروعه ٠٠ اما جمال عبد الناصر فقد انفرد به بريجنيف وكسيجين اما زكريا محي الدين وانا فقد تركونا مع ميكويان ٠٠ ودارت الاحاديث السبت والاحد بين جمال عبد الناصر مع الزعيمين السوفيتيين برجنيف وكوسيجين ٠٠ وعرفت من جمال عبد الناصر شخصيا موضوع هذه الاحاديث وكانت القيادة السوفيتيه مشغوله جدا بشوان لاى ٠٠ فقد مكث شوان لاى في القاهره ثلاثة اسابيع وكان شوان لاى متجها لحضور مؤتمر عدم الانحياز في الجزائر ولما وقعت الثورة هناك تخلف في القاهره

والسوفيت يعلمون جيداً أن شوان لاى صديق لجمال عبد الناصر ثم انه هو الذى تنبأ له بأن يكون نجماً صاعداً وهو الذى طلب الى الروس أن يدركوه بالسلاح قبل أن يتجه وجهة أخرى على نحو ماذكرت في حلقة سابقة وكان الخلاف بين السوفيت والصين قد بدأ قبل ذلك بخمس سنوات ولكنه في تلك السنه بلغ القمه وكان السوفيت يريدون أن يحرفوا الكثير عن شوان لاى ٠٠ ولذلك كانت محادثاتهم مع جمال عبد الناصر ذات أهمية بالغه ٠٠٠ وطبيعي أن يشرح جمال عبد الناصر للقيادة السوفيتيه المأزق التي وقعت فيه مصر بعد أن قطع الأمريكان المعونه عنا ٠٠ وأن خططنا ومشاريعنا في غاية الطموح وأننا مضطرون الى وقف هذه المشاريع وأن هناك مشاريع قد توقفت عند منتصفها أو ثلثها ٠٠٠٠٠ وأن مصر تريد أن تكمل مابدأت ودارت مناقشات طويله ٠٠ ولابد أن السوفيت كانوا يعلمون الكثير من التفاصيل عن مصر وكان من مطالب مصر أن يعطينا الاتحاد السوفيتي ((فترة سماح)) من تسديد الديون المستحقه علينا لمدة خمس سنوات وفي فترة السماح هذه لا ندفع الأقساط المستحقه على معونة السد العالي وقيمة المصانع التي نبنيها وثمن السلاح الذى اشتريناه ٠٠ وفي الاجتماع الذى انعقد يوم الاثنين وقف كوسيجين وقال اننا درسنا الوضع تماماً ونريد أن نقف الى جوار مصر وعلى ذلك فقد قررت الحكومة السوفيتية والمكتب السياسي بعد مناقشة هذه الموضوع : أن الاتحاد السوفيتي يوافق على حذف نصف مديونية مصر أى ٢٠٠ مليون جنيه استرليني وعلى ذلك فسوف تنخفض الاقساط الى النصف فالروس قد وافقوا على التخفيض ولكنهم لم يوافقوا على تأجيل الاقساط وكان ذلك قراراً حاسماً ومن العدل أن نذكر هذا الموقف للاتحاد السوفيتي ٠٠٠ وحتى بعد أن ذهبت حكومة علي صبرى ظلت التيارات التحتيه تلعب وظلت ((الدروشه الاشتراكيه)) أو ((مركسه)) ميثاق العمل الوطني مستمره ٠٠ والشيوعيون قد تسللوا الى مواقع شديدة الحساسية تمشياً مع نداء خروتشيف بمساندة الديموقراطيات الثورية حتى تنضج وتسقط تحت أقدام الشيوعيه الدوليه ٠٠٠ الى أن كانت ١٩٦٧ ووقع لنا ماوقع وانهدم على رؤوسنا الكثير مما أقمناه في عقولنا وقلوبنا فعاد الاتحاد السوفيتي يلعب أيضاً لعبة قديمه وهي مساندة بعض الدول ضد مصر أو بعض النظم ضد مصر ٠٠ فكما ساند عبد الكريم قاسم ضد جمال عبد الناصر

فعل نفس الشيء مرة أخرى فساعد ((الرفيق)) صلاح جديد في سوريا ضد جمال عبد الناصر وكان صلاح جديد شيوعياً مستغرقاً في ذلك وأخذ من الشيوعيين الاسم ولذلك كانوا يلقبونه بالرفيق وكان حريصاً متشرفاً بهذا اللقب وأخذ من الشيوعيين الى جانب اللقب كل شيء وظل هذا هو عمال صلاح جديد وكذلك حزب البعث السوري الى أن جاء حافظ أسد وقام بثورته التصحيحيه سنة ١٩٧٠ وكان حزب البعث السوري قد ((تمركس)) أضعاف مصر .. وبدأ الاتحاد السوفيتي يطبل ويزمر لصلاح جديد الوجه الجديد والزعيم النموذجي وأن صلاح جديد هو الدوه وأن العرب يجب أن يمشوا وراء صلاح جديد فهو الاصلاح الجدد لكل الانظمه في المنطقة .. ولم يستطع جمال عبد الناصر أن يهضم مثل هذه الاستفزازات ولا هذه العبارات التي أعتبرها نوعاً من النقد العنيف له ولاسقاط على حكمه ، أو دعوة لاسقاط حكمه .. وحدث أن كنت في مايو ١٩٦٧ على رأس وفد برلماني يزور موسكو وهناك أبلغوني رسمياً أن اسرائيل قد حشدت أحد عشر لواء على حدود سوريا وأنهم قد نقلوا هذا الخبر لجمال عبد الناصر ودخلت في نقاش وجدال عنيف وكان واضحاً جداً أعجابهم الشديد بصلاح جديد وقد صارحتهم في ذلك بأن صلاح جديد هذا سوف ينكشف لهم وسوف يصابون بخيبة أمل أخرى كالتي أصيبوا بها مع عبد الكريم قاسم ولها نفس اللعبه وسوف تكون لها نفس النهايه وقلت أيضاً ليست هذه نبوءة ولكن هذه حقيقه .. وانتم لا تعرفون كيف تقرأون التاريخ العربي .. فنحن شعوب لنا أصاله .. وأنتم لا تفهموننا .. وسوف ترون أننا لن نتغير وأننا نقول ما نعمل .. نعمل ما نقول .. ولما عدت الى القاهره تحققت من أن السوفيت قد أخبروا جمال عبد الناصر بكل شيء وكنا في مأزق فاذا نحن سكتنا عن مساعدة سوريا قيل : تركوا السوريين حتى ضربتهم اسرائيل وسوف يشنع علينا السوفيت في المنطقة .. ثم أن بيننا وبين السوريين معاهده دفاع مشترك وجمال عبد الناصر رجل اذا قال فعل .. واذا وعد فانه يفي بوعده .. فلا مفر من القتال فأصدر أمره الى عبد الحكيم عامر بدخول الحرب وكانت هزيمتنا في ٥ يونيو ١٩٦٧ تلك النهاية المريره على نفوسنا جميعاً واذكر في صباح ٥ يونيو انني عرفت بموعد الهجوم وقلت كما قال كل مصري .. أن اليهود سوف يذوقون الهوان والهزيمه في هذه الحرب .. لا شك في ذلك فنحن

على استعداد لكل الاحتمالات هذا مؤكد .. وفي ذلك اليوم خرجت من بيتي متجهاً الى القيادة .. الطريق من الهرم الى القيادة مارا بشارع صلاح سالم يستغرق حوالي نصف ساعه وعندما اقتربت من القيادة وجدت امامي سيارة السفير السوفيتي .. طبيعي لابد انه جاء للتهنئة وقابلت عبد الحكيم عامر وكان في حالة سيئة جداً فالقصة مصروفه لقد ظل معلقاً في الجو بطائرته وعندما نزل بها كان الطيران المصرى كله قد ضرب على ارض المطارات الى آخر القصه الحزينه التي اوجعت كل قلب في مصر وعلى مصر ايضاً .. ولم اجد السفير السوفيتي امامي لقد ركب الاسانسير ونزل الى جمال عبد الناصر في المخبأ التحتاني وكانت الحقيقه شيئاً آخر تماماً فهذا السفير السوفيتي لم يجيء من نفسه مهنئاً وانما جاء مدعواً فقد استدعاه عبد الحكيم عامر لانه اعتقد ان الامريكان هم الذين ضربونا وحطمونا وكانت غلطة من عبد الحكيم عامر لان استدعاء السفير السوفيتي هذا قرار سياسي وليس قراراً عسكرياً وكان ذلك سبباً في مناقشة حاده عنيفة بينه وبين جمال عبد الناصر ومما قاله جمال عبد الناصر لعبد الحكيم عامر في ذلك الوقت ليس هذا شأنك .. هذا شأني .. ثم ارني ذيل طائرة امريكية وانا اعلن ذلك للعالم كله ـ واقطع العلاقات مع امريكا فوراً ولكن الذى اراه حتى الآن هو انه عدوان اسرائيلي بحت !!! .. وطلب جمال عبد الناصر من السفير السوفيتي ان يبحث لنا عن طريقه لوقف اطلاق النار وان يمدنا بالطائرات بدلاً من التي تحطمت على الارض .. وانصافاً للحق وللتاريخ اقول ان الاتحاد السوفيتي لم يكن في استطاعته ان يمدنا بهذه السرعه فاين تهبط طائراته اذا جاءت .. فالمطارات كلها مضروبه ولا يوجد مطار واحد مؤمن في مصر كلها وبعض الناس يتهمون السوفيت بالتقصير ولكن انا ارى انه ليس كذلك فلم يكن في وسع السوفيت ان يفعلوا شيئاً بهذه السرعه المطلوبه : صحيح انني احمل السوفيت مسؤولية اشياء كثيره وقعت في مصر ولمصر ولكن في هذه الظروف لم يكن في وسع السوفيت ان يفعلوا شيئاً بهذه السرعه التي نريد هنا وفي ذلك الوقت سادت موجة عنيفة تتهم السلاح السوفيتي بانه هو سبب النكسه ولكن ليس هذا صحيحاً ـ وكان ذلك رأى جمال عبد الناصر ورأيي ايضاً

.. فلا عيب في السلاح انما العيب فينا .. في هذا الانهيار القيادى وبسبب الامر الخاطيء بالانسحاب ... واذكر ان خبيراً عسكرياً زار اسرائيل بعد النكسه فقال لهم : ان الهزيمه ليس سببها شطارتكم ولكن خيبة المصريين !! .. فانتم لم تفعلوا شيئاً وانما المصريون هم الذين استداروا وانهاروا !! .. طبعاً شيء آخر مختلف تماماً هو الذى حدث في حرب اكتوبر .. عشرات الاشياء الجديده والمبادرات والابتكارات واختيار كل شيء والتخطيط والدراسة والحسابات الدقيقه الصورة مختلفه تماماً .. ولذلك كانت النتيجة مختلفه ايضاً .. ودخلت علاقتنا مع السوفيت في منحنى جديد .. واتذكر الآن اجتماعاً في قصر القبه كان فيه بودجرني رئيس الدوله وزخاروف رئيس الاركان السوفيتي الذى توفى اخيراً اقترب مني زخاروف قائلاً .. لو كل السلاح معكم اطلق طلقه واحد لانتهت الحرب ضد اسرائيل ولكنكم لم تفعلوا شيئاً !! .. الى هذه الدرجه كان السلاح في ايدينا كافياً ولكن الحرب ليست السلاح في الايدى فالسلاح وحدة لا يحارب والحروب لا يكسبها السلاح وحده .. وانما السلاح والرجال والخطه والاعداد والاستعداد . ومعرفة ماسوف يحدث في اية لحظه وتأمين كل خطوة قبل واثناء وبعد الحرب وتأمين طريق الاوامر وتنفيذها .. انها الاستراتيجيه العلميه السليمه وحسن استغلال كل ما هو متاح .. وغير ذلك هو الذى يدير الحرب لصالحنا .. ومن المناسب ان اسجل للسوفيت موقفاً فاثناء القاء جمال عبد الناصر لوثيقة التنحي جاءة خطاب من قادة السوفيت وهذا يفسر توقف جمال عبد الناصر لحظات عن المضي في القاء خطابه واتجه بعينه الى اليسار وفي الخطاب يطلبون اليه الا يتخلى عن السلطه وانهم سوف يعوضونه عن كل خسائره في الحرب .. ولكن جمال عبد الناصر اكمل خطابه .. وبناء على خطاب القادة السوفيت هذا بدأ الكوبرى الجوى والبحرى .. الطائرات تهبط في القاهره والسفن ترسو في الاسكندريه تحمل العتاد الى مصر تعويضاً عن الذى خسرناه في حرب يونيو ١٩٦٧ .. وهذا موقف رائع من السوفيت .. لا شك في ذلك واقمنا مراكز للتدريب فوراً حتى تستوعب قواتنا الاسلحه الجديده .. وكان الروس يقدرون فترة الاستيعاب من سنة ونصف سنه الى سنتين .. فاذا فعلنا ذلك تكون قد حققنا معجزه غير ان جنودنا وكادراتنا قد استوعبت ذلك في سنة ولكن الروس اعتبروا ذلك استعجالاً للامور .. وانه

يستحيل علينا أن نستوعب هذه الأسلحه المعقده المتطوره في هذه الفترة القصيره .. وأن الذى فعلناه هذا ليس الا لعباً ولهواً .. وأننا اذا اكتفينا بهذا القدر من التدريب فسوف نلقي المصير السابق اذا دخلنا اى اشتباك ولم يتصور الروس أننا نجحنا في اقامة خط دفاعي بعد خمسة شهور من الهزيمه ومع الهزيمه والشعور بالمراره والهوان والفتور بيننا والشماته العامه بدأ الجليد يتساقط بكثره على الطريق بين موسكو والقاهره .. بل قد اضيف الى الجليد المزيد من الضباب والشوك ... والشك .. فالروس يسخرون من المقاتلين المصريين انهم لا يقولون ذلك صراحه ولكن التعامل مع القوات المصريه يؤكد كل يوم ذلك المعنى الاليم ... ودخلنا مع السوفيت في مرحله معناها .. عدم الثقه في قدرتنا العسكرية على عمل اى شيء .. ابتداء من فهم السلاح وحمله حتى الاستعداد او الاعداد لاية معركة .. واشد . ذلك ايلاماً للنفس انهم يؤكدون لنا أن هذه هي النهايه .. وانه افضل أن نبتلعها على مهل .. وأن هذه حدودنا وحدود قدرتنا .. كأنهم يطلبون منا أن نشكر اسرائيل على انها قد دلتنا على وزننا الحقيقي !! .. ليس اشد من ذلك اهانة الانسان .. ولا اقس من ذلك أن يهون الانسان على نفسه .. وفي يوم ١٠ اغسطس سنة ١٩٦٧ كان الرئيس تيتو في الاسكندريه وكان جمال عبد الناصر في اسوأ حالاته النفسيه بل انني استطيع أن اقول انني لم ار جمال عبد الناصر في كل التسعة عشر عاماً من صداقتنا كما رأيته بهذا الاسى والمراره في ذلك اليوم .. انفجر جمال عبد الناصر وهو يقول لتيتو : ارجو أن تسافر من هناك الى هناك وأن تخبر السوفيت انني تعبت .. مللت .. انني ضقت بهذه المعامله الفظيعه التي يتبعها السوفيت معي .. احمل رساله مني .. وقل لهم أن قواتنا استوعبت السلاح في هذه الفترة القصيره .. وأن هذا حدث .. وانا على يقين من ذلك .. وانني لو قلت للشعب انني لن اقدر على استيعاب هذا السلاح الا بعد سنتين فسوف يثور الشعب ويهدم البلد علينا بعد ما انهدمت. وقال له جمال عبد الناصر : كان من الضرورى اقامة خط دفاعي وقد قام .. ومن الضرورى أن تكون حرباً نشطه حتى لا يلتقط العدو انفاسه ويقوم يتدعيم لخطوطه ومواقعه ويحصل على تعويضات سريعه من امريكا .. وطلب اليه أن يقول للسوفيت انني ارفض هذه المعامله المهينه وانا كفرت بكل شيء .. فليحتل اليهود مصر وجاءت هذه العبارة اعلاناً لبداية التواء جديد في الطريق بيننا وبين موسكو ..

من " أوراق "

الرئيس السادات

الجليد .. يذوب

بين موسكو والقاهره :

٥

نظرة بسيطه الى الرجل الذى يعمل في طرق الحديد .. انه يضع الحديد في النار ويدقه حتى يلتوى في يديه .. ثم يغمسه في الماء البارد ليثبت الحديد على وضع .. ثم يعيده الى النار ويسحبه ليدقه من جديد .. ويلقي به في الماء .. حتى تتغير معالم الحديد وحتى ينسى الحديد - أو أى انسان - ماهو أو ما معناه .. أو ينسى اسمه ورسمه ..

- هكذا يصف الرئيس السادات تلك المحاولات المستمره للتسخين والتبريد في العلاقات السوفيتيه المصريه ..

لقد فعلوا ذلك مع الرئيس جمال عبد الناصر

ثم أعادوا ذلك مع الرئيس السادات ...

في الصباح قالوا : نعم

وفي المساء قالوا : لا ندافع عن مصر :

مازالت .. العلاقات مع السوفيت متطرفة ـ اى انها تبدأ مع طرف لتندفع الى الطرف الاخر . بشده وحدة . ولايملك الانسان امامها الا ان يظل في حالة ذهول لايعرف له راساً من رجلين . ما هو المعنى ؟ ما هو الهدف؟ يصعب على الانسان ان يعرف ذلك . ولكن احاول ان اوضح ذلك لنفسي ـ وللتاريخ . ويكفي ان يتامل الانسان ماذا جرى لجمال عبد الناصر . وكان في قمة الاسى والحزن بعد النكسه . وكيف ان السوفيت اعطوه السلاح عن الطريق الكوبرى الجوى والبحرى .. وكيف انهار . او كاد ينتابه بالفعل وهو يتحدث الى تيتو . وكان ذلك يوماً مشهوداً . لم ار جمال عبد الناصر في حالة اسوأ من ذلك .. وكان مرض السكر قد هد حيله .. فقد انفلت السكر في جسمه ولم يعد في استطاعته ان يتحكم فيه .. اى ان جمال عبد الناصر لم يكن في حاجة الى مزيد من المرض او التعاسه الشخصيه او القوميه . واذا كان السوفيت جادين حقاً في مساعدته وايقافه على قدميه فامامهم مالا نهايه له من الفرص . في استطاعتهم ان يفعلوا كل شيء اذا ارادوا . فهي مشكلة قدره . وبعد النكسه مباشرة اصبحت سماء مصر مكشوفه . او عاريه . لايوجد غطاء جوى لمصر . ومعنى ذلك ان في استطاعة الطيران الاسرائيلي ان يفعل مايشاء كيف يشاء ومتى يشاء . وقد حدث ذلك كثيراً . وبصوره مروعه . وسماء مصر كانت مكشوفه منذ ١٩٦٤ . فالسوفيت اعطونا صواريخ سام ١ وسام ٢ . وهي صواريخ لحماية مصر اذا اغارت عليها طائرات عاليه . اما اذا جاءنا الطيران الاسرائيلي منخفضاً . فلا يمكن مواجهة ذلك .. فالسماء مسدوده من فوق مفتوحه من تحت . وهو وضع عجيب وغريب محزن . وليس من المعقول ـ طبعاً ـ ان يجيء الطيران الاسرائيلي مرتفعاً لكي يكون هدفاً لنا . او لكي يعطينا فرصه اصطياده واسقاطه . لان صواريخنا لاتستطيع الا الضرب العالي : ولو عرف الشاعر الذى قال عن مصر انها ((مفتوحه كالسماء)) معنى هذا ـ التعبير الذى راه مدحاً لمصر وصفاء مصر وبساطة اهل مصر ، ورحابة قلوب المصريين ، لعدل عن هذا التعبير الرهيب . وفي استطاعتك ان تتحدث في ذلك مع اى رجل من قواتنا المقاتله وتقول له : هل تحب ان تكون السماء فوق راسك مفتوحه ؟ ان الجواب على ذلك سيكون صراخاً عالياً .. لان السماء المفتوحه هي التي تخلو من وسائل الدفاع عنها . ووسائل الدفاع عنها هي

الصواريخ والطائرات والمدافع •• وكانت سماوئنا مفتوحه لليهود• صواريخنا لاتضرب الا الطائرات الماليه ، واليهود يستخدمون الطيران المنخفض هربا من هذه الصواريخ • وحتى لاتكون سماوئنا مفتوحه ايضا لابد من الطائرات المقاتله • لانك لاتستطيع ان تغطي بالصواريخ سماء مصر كلها • من الاسكندريه الى اسوان • وحتى اذا استطعت ان تغطي سماء المدن الكبرى فسوف توجد هناك فجوات تتسلل منها الطائرات المعاديه • فاذا دخلت الطائرات المعاديه من هذه الفجوات خرجت لها طائرتنا المقاتله ، او انطلقت عليها المدافع التي تستخدم الرادار •• وقد عرف اليهود مواصفات صواريخنا سام ١ وسام ٢• واصبح من المؤكد لديهم ولدينا ايضا انهم اذا دخلوا فلا حيله لنا في ذلك • ومعنى هذا اننا امام هذه السماوات المفتوحه عاجزون عن فعل شيء••

ولم يكن غريبا في ذلك الوقت ان يعلن اليهود ان الجيش المصرى قد اصبح في اخر غلقائمه التي تبدا حسب القوة الاساسية : الجيش الاردني ثم الجيش السورى واخيرا الجيش المصرى ـ منتهي الهوان والاهانه لنا حكومة وشعبا وجيشا •• فما اقسى ذلك على لافوسنا في اى وقت : ومن المؤكد ان الامريكان قد عرفوا هذه الصواريخ السوفيتيه في فيتنام وعرفوا عيوبها ، وعرفوا كيف يمكن الافلات منها والتغلب عليها • وهذه الدروس المستفاده من الشرق الاقصى قد لقنوها لليهود في الشرق الاوسط • وكانت النتيجه هو كل ما اصاب مصر بعد ذلك •• وكان من الطبيعي جدا ان يطلب جمال عبد الناصر من بود جورني وزخاروف في اجتماع القبة ان يقوم السوفيت بانقاذ الموقف • اى بسد السماء المفتوحة ، او تغطيه مصر التي تعرت سماوءها وطلب بصراحه : لماذا لايتولى الاتحاد السوفيتي الدفاع الجوى عن مصر : وكان جمال عبد الناصر يحاول بهذا الطلب ان يتفادى مشكلة الفتره المطلوبة للتدريب على الاسلحه السوفيتيه • فالروس عندهم ((لازمة)) اذا طلبنا منهم سلاحا يقولون لك : حالا •• حاضر •• بعد شهر •• بعد شهرين•

وبعد ذلك يجيء السلاح على فترات وبكميات صغيره • ويقولون لك : انتم في حاجة الى فتره تدريب •• سنة او سنتين •• فاذا قلت لهم : اننا قد

تدربنا جيدا ٠٠ وأن هذه الفتره طويلة ٠ وفي أستطاعتنا أن نستوعب السلاح في فتره أقصر ٠٠ وقد حدث ذلك ونحن مطمئنون الى النتيجه ٠ فهذه بلادنا وهذه حياتنا وهذا شعبنا ولايمكن أن نفرط فيه ٠٠ ونحن حريصون على كل شيء أكثر منكم ٠٠ يكون الرد التقليدى : ليس بعد ٠٠ أنتم تتعجلون كل شيء ٠٠ لابد أن يكون هناك وقت ٠٠ لاتتسرعوا ٠٠ وتقول لهم : لايمكن أن نتعجل ذلك ٠٠ لأننا نعرف النتيجه ٠٠ ونحن لانريد ماحدث في ٦٧ أن يتكرر مرة أخرى ٠٠ فنكسة واحدة في العمر كله تكفي ليتعلم منها شعب عريق مثلنا ٠ ويجيء الرد من كل واحد وعلى أى مستوى وفي أى موقع وفي أى مكان تلتقي بهم في مصر أو في موسكو : أتفقا : ثم يكون لهذا الاتفاق معنى أخر غير الذى خطر على بالك ٠٠ والذى يحدث عادة أنهم اذا قالوا اتفقنا أن تشعر أنت ـ بالسعاده المطلقه ٠ فنحن أناس عاطفيون ٠ وبعد ذلك يجيء الرد هكذا : اتفقنا على أن نختلف معك في الرأى ٠٠ أو اتفقنا على ألا نتفق معك ٠٠ ويكون هذا الرد والرد السابق عليه مثل واحد يأخذك من تحت الغطاء الدافيء ويلقي بك في الماء البارد ٠٠ أو ينقلك من الثلاجه ويرميك في اناء يغلي ٠٠ هذه هي الدوخه في علاقتنا بالسوفيت ٠ سواء ما حدث لجمال عبد الناصر أو ما حدث لي بعد ذلك ٠ وما يمكن أن يحدث مرة أخرى لمصر أو لغيرها من الدول ـ الأخرى ٠٠ ولذلك كانت فرحة جمال عبد الناصر لايمكن أن توصف يوم أعلن بودجورني وزخاروف الموافقه على أن يتولى السوفيت الدفاع الجوى عن مصر لاأستطيع أن أصف سعادة جمال عبد الناصر وسعادتي ٠ لقد وافق الروس على تغطية مصر ٠٠ وسد الفجوات في سمائها ٠٠ وبذلك لن يفزع جندى اذ اسمع في الراديو الاغنية التي تقول :: مفتوحه كالسماء ٠٠ لايهم بعد ذلك أن تتردد هذه الاغنيه ألف مرة في اليوم الواحد ٠ فالروس يغطون هذه السماء فلا تكون مفتوحة الا للشعراء والمطربين ٠٠ أما بالنسبة للعسكريين فسوف تكون مسدودة بأحكام ٠٠ ولن تنفذ منها طائرة يهودية ٠٠ فالروس سوف يأتون بالصواريخ الأخرى التي تضرب الطائرات المعاديه اذا جاءت منخفضه ٠

وأنا أعترف بعجزى عن وصف درجة سعادة جمال عبد الناصر في ذلك اليوم ٠ تماما كما عجزت عن وصف تعاسته يوم وصف للرئيس تيتو مدى الهوان الذى لحقه من معاملة الروس له ٠٠ ويوم حاول تيتو أن يهدىء

جمال عبد الناصر ، وأن يطالبه بمزيد من الصبر والاحتمال . فتيتو أيضاً قد ذاق المر في علاقته بالسوفيت ، وهو أكثر الناس معرفة بهم ..

ويوم سافر تيتو عائداً الى بلاده .. لا أنسى ذلك اليوم . الموسيقى تعزف . والرجل وجهة مشرق . وأمالنا معلقة بصدقه وقدرته على اقناع السوفيت بأن يتحركوا من أجل أن نقف على أرجلنا ، وانقاذ هذا الرجل جمال عبد الناصر الذي وصل الى أقصى درجات التعاسه واليأس .. لقد أحسست يومها أن قلبي يكاد ينخلع وتيتو يغادر الشواطئ المصريه . فهذا الرجل في القلب حقاً . وفي كل مرة ألتقي به أؤكد له هذا المعنى ، مع أنه ليس في حاجة الى ذلك . ولكن هذا هو شعوري ، وفي كل مرة أعانق تيتو أقول له هذا الشعور : انني لا أنسى يوم عاونتنا وقلمنا صلقه بك . أن تيتو رجل عظيم بكل المقاييس الوطنيه والعسكريه والسياسيه .. اذن لقد كانت سعادة جمال عبد الناصر أعظم وأروع من أن توصف . وقلنا يومها لابد أن السوفيت جادون في المساعدة الحقة وفي انقاذنا والوقوف معنا ووراءنا الى نهاية المدى . لأنه لايمكن أن يعلن بود جورني هذه الموافقه الواضحه دون تفويض من القيادة السوفيتية . لأن أحداً في روسيا لايستطيع أن ينفرد برأي . وانما هو متحدث باسم القيادة . ولاينطق عن الهوى . وانما هم في موسكو يقولون وهم هنا يرددون . هذه قاعدة . وبعد اللقاء مع بود جورني وزخاروف عاد جمال عبد الناصر الى بيته في منشية البكري ، ورجعت الى بيتي في الهرم وفي الليل دق جرس التليفون وكان المتكلم جمال عبد الناصر قلت له :

ـ خيراً ..

ـ لاخير . وانما شر وشر ..

ـ ماذا جرى ياجمال ؟

ـ الجماعة غيروا رأيهم ..

ـ كيف ؟

ـ اتصل بي بود جورني وقال لي لابد أن أقابلك فوراً . وجاء وقال انه اتصل بموسكو بشأن الدفاع الجوي عن مصر وطلب مصر أن يكون قائد الدفاع الجوي

سوفيتياً ، فرفضوا .. وانا اسف لذلك ..

وسألته : هذا رأيهم النهائي ؟ فأجاب : نعم .. والله لقد .... وللحق اقول ان كلمة ((والله)) هذه من عندى انا .. فما الذى يمكن ان يقال عن حالنا بعد هذا الموقف : انهم في الصباح قالوا : نتولى الدفاع عنكم .. وفي المساء لانستطيع الدفاع عنكم . وليس من المعقول ان يتطوع رجل بنزن برد جورني فيقول : نعم .. ثم يقولون له : قل لهم لا .. فيقول لنا : لا .. ولكن المعقول ان هذه هي سياستهم العامه معنا : وهذه ((الرجة)) او (الصدمه) التي يصاب بها الانسان من هذا الاسلوب المتطرف من الممكن ان يصيبه بالسكته فيقع ميتاً . وقد يؤدى ذلك الى حل .. او الى اتخاذ موقف جديد .. ولكن الذى اصيب بالسكته في ذلك الوقت هم الروس انفسهم .. ففي شهور الصيف في يوليو واغسطي يتركون موسكو ويذهبون الى شواطىء القرم على البحر الاسود . والانتقال الى القرم في قاموسهم ، معناه الانتقال الى العالم الاخر .. فلا احد يرد عليك ولا احد يسأل عنك .. فكنا نتصل بهم ونصرخ ويكون الرد : ان الزعماء في القرم .. ثم من هو الذى يرد عليك ؟ انهم سكرتيرو الزعماء او مديرو المكاتب . فما داموا قد ذهبوا الى القرم ، فلا شيء يمكن ان يحدث ، او لا شيء يمكن استعجاله مهما كان هاماً او خطيراً .. وعليك ان تعتمد على مدخراتك من الصبر ، وان استطعت ان تقترض الصبر من احد فافعل . انهم في القرم .. ولكننا لم نفقد روح القتال ، ولا روح الثأر ولا الحرص الشديد على استرداد كرامتنا .. تلك ايام عصيبة قلى النفس ، على مصر وعلى الامة العربية . وهذه حقيقة . ربما خفتت الوانا قليلاً وجفت دماؤها ودموعها ، ولكنها في القلب في اعماقه الموجعه . وكانوا هناك في القرم ، وكنا نحن هنا في مصر نعاني حرارة حقيقية : حرارة الصيف والغيظ معا .. ويكفي ان يتذكر الانسان وهو يستعرض تلك الايام الاليمه ماحدث في راس العش في ٦ و ٧ يوليو ١٩٦٧ ، اى في نفس عام النكسة وبعدها بشهر واحد ، قام طيراننا بما تبقى لديه من طائرات الميج ١٧ واغار على

الضفة الشرقية وعاد سالماً • ولكن هذه الغارة التي لم يتقبلها النـــاس في ذلك الوقت على انها حدث عظيم ، وان لها فعل السحر عند العسكريين •• اما الناس ـ العاديون ـ فلم يشعروا بها •• فهم معذورون فاليأس قد اغرقهم في المرارة ، والمرارة قد اسلمتهم للتشاؤم • فلم يعد احد يصدق مايـــرى او مايسمـــع • انهـــم معـــذورون فالذى اصاب مصر لم يكن شيئاً هيناً ولسنوات طويلة • وفي ذلك الوقت حاول اليهود دخول بور سعيـــد اكتساحاً لراس العش • وواجههم اللواء احمد اسماعيل الله يرحمه • وضربهم ودفع دباباتـــه • واوقفهـــم • كان اليهود قد اتوا بكاميرات تليفزيونيـــه معهـــم • لتصوير هذا المشهد • الى هذه الدرجه هان امرنا على اليهود فكـــل اشتباك معنا هو شيء بسيط • ويمكن الدخول والخروج فلا احـــد امامهـــم • ويوم تقدمت قواتنا صرخوا وقالوا : ان التليفزيون الذى امامكـــم امريكـــاني •• فاياكم ان تمسوه : غرور اليهود وغطرستهم ، واستخفافهـــم بنا ـ هذا الذى يمزق القلب حقاً • وفي نفس الوقت تجيء الينا اخبـــار من كل اتجاه ، ومن وكالات الانباء ومن الامم المتحده ومن الاذاعـــات العالميـــه • الاخبار كلها ذات معنى واحد ، رغم انها من مصادر مختلفه •

اذن هو خبر صحيح : ان قوات يهودية سوف تهجم علينا فما الذى ـ يمكننا ان نفعله امام حرب الاعصاب هذه امام من المؤامرة العالميـــه علينا •• ونحن ، كما هو معروف ، قد اصبح حالنا بهذا السوء •• والقياده المصريـــه عند قاع اليأس من الصديق ، وعند قاع المهانة من العدو ••

والاخبار تجيء من روسيا ومن امريكا ان اليهود يتحركون بلواء مدرع في اتجاه القنطرة شرق • فالقنطرة شرق قد استولى عليها اليهود بقـــوات خاصـــة • وليست بها قوات مدرعه كافيه • وتتوالى الاخبار بان اللـــواء المدرع يتجـــه من العريش على الشريط الساحلي جنوباً • وانه شوهـــدت معدات العبور • ومثل هذا التحرك الكبير يمكن معرفته • وفي استطاعتنا ان نعرفـــه او نجمع معلومات عنه قبل اقترابه والاستعداد لمواجهتـــه والاخبار تنهال علينا من كل اتجاه • هـــل من تهديد ؟ هل تخويـــف؟

هل هو لعب بالأعصاب ؟ هل هو استخفاف بنا ؟ .. هل هي حلقة من سلسلة المحاولات المستمره لهز اعصاب مصر او كهربة الجو العام لاسقاط ماتبقى في مصر ؟

وتأكدت هذه المعلومات كلها عند القائد العام محمد فوزى . واتصل محمد فوزى بالقائد الاعلى جمال عبد الناصر . واخبره ان هناك قوة يهودية . وان هذه القوة سوف تعبر . وفي انتظار الاوامر . وفي مثل هذه الحالات يجب الا نترك هذه القوه تتحرك او تتقدم دون ارهاق لها .. وهذه بديهيات في الفقه العسكرى .. ووافق جمال عبد الناصر على وجهة نظر محمد فوزى . وكان ذلك في يوليو ١٩٦٧ . فاصدر القائد العام امرا للطيران بالتصدى لهذه القوات الزاحفة . ولكن بعد ثلاث ساعات اتصل محمد فوزى بجمال عبد الناصر يخبره بان الطائرات في الجو ولا تستطيع ان تفعل شيئا . فالضباب كثيف على هذه المنطقه . ضباب في يوليو ؟ حدث كثيرا . واذكر انني بعد ذلك عندما تحدثت عن ((الضباب)) ، تصورت مراكز القوى في مصر ان هذا تعبير مجازى او انه تعبير رمزى . اى انني في مثل هذه المواقف الحاسمة في تاريخ امتنا ، تحولت فجاة الى شاعر او الى رسام سيالى . وان الموقف يحتمل مثل هذا اللعب بآمال الشعوب ، والعبث بمقدراتها . ولم يكن الضباب الذى تحدثت عنه الاضبابا خفيفا يغطي ارض هذه المنطقة في الصيف .. وتوهم بعض الناس انه كالضباب الذى حدث في الحرب العالميه الثانيه . عندما تنبأت الارصاد الجوية الالمانية بان بحر المانش سوف يغطيه الضباب فتمكنت بعض القطع الحربيه الالمانية من الهرب من الرقابة الانجليزية وافلتت الى المحيط الاطلسي ومرت بجبل طارق واتجهت الى الاسطول الفرنسي في مارسيليا .. اى ان هناك توافقا بين الضباب وبين الهروب تحت ستاره .. لم يكن شيئا من ذلك ، كما توهمت بؤر مراكز القوى وفلاسفة الهزيمة في مصر . انه ضباب حقيقي : بخار من الماء يظل عالقا في الهواء كستائر كثيفة حجبت الرؤية عن الطيارين فلم يفعلوا شيئا ، رغم صدق النية وروح التحية .. والغى جمال عبد الناصر

القرار الخاص باستخدام الطيران في ضرب القوات المدرعة الاسرائيلية التي وصلت وتمركزت . ولم يكن في استطاعة الطيارين ان ينخفضوا خوفاً من الصواريخ .. وحتى لو فعلوا فلم يكن احد يستطيع ان يرى شيئاً . وجاء هذا الحادث عبئاً على الشعور العام الذى لم يكن ينقصه شيء ليزداد سوءاً . فالاعصاب مرهقة . والنفوس مشدودة والسماء ماتزال مفتوحة . وكل شيء ضباب اكثف من الذى غطى القناة في ذلك اليوم . واكثر الناس قدرة على الرؤية لايستطيع ان يرى ابعد من انفسه . ولكن الذين يتفلسفون في مصر كثيرون . ولذلك كثرت الوساوس والاوهام والمخاوف . والخلاصة ان الناس قد تعبوا . والسبب هو : فشل القيادة المصرية في ذلك الوقت .

ومن مظاهر الفشل سوء تقدير الموقف . فقد اقتنع القادة بان السلاح الروسي هو الذى فشل . او هو الذى كان سبب الفشل ، وليس هذا صحيحاً . فلا عيب في السلاح ، ولكن العيب في الرؤوس التي ادارت هذا السلاح .. فالسلاح الروسي لم ينهزم ، وانما الذين امسكوا السلاح هم الذين انهزموا .. ومن طبيعة المهزوم ان يتبرأ من فشله . وان يلقي بالهزيمة على الآخرين . ويخرج من الموقف بانه هو المجني عليه .. ومعنى ذلك اننا لم ننهزم ، وانما هم الذين هزمونا . اما من ((هم)) الذين هزمونا ؟ لابد ان يكون الجواب : هم الروس والسلاح الروسي : وهذا ضد الواقع وللتاريخ اقول انها القيادة المصرية الفاشلة التي لم تحسن استخدام السلاح ولم تحسن الاعداد والاستعداد ولاتقدير الموقف ولا ادارة الاحداث بعد ذلك .. والمثل الذى يقول : ان الهزيمة طفل يتيم ، وان النصر له الف اب ـ مثل صحيح . فهذه الهزيمة طفل ليس له اب ولا ام ولايريد احد ان يتبناه . فهل من المعقول ان يكون هناك طفل بلا اب ولا ام : والجواب : نعم انه الهزيمة .. اما النصر فله اب وام واقارب لاقارب .. انه ابن من اكبر عائلات التاريخ . اليس نصراً ؟ اليس عظمة وكبرياء وكرامة وعملا باهراً ؟ وقد رأينا ذلك بعد انتصارات اكتوبر .. وذقنا مرارة اليتيم ونحن ننظر الى الطفل

المنبوذ المشوه الذى يبتعد عنه الناس خوفاً من العدوى : الهزيمة : وكان لا يوجد ايف السفير السوفيتي في ذلك الوقت حزيناً بسبب ماتنشره الصحف في مصر . وبسبب الشوك والطين الذى يرمون به السلاح السوفيتي . ولم يتسع وقتي ولاصدرى في ذلك الوقت لاقول له هذا الذى اسجله الآن . وانما كنت اكتفي بان اقول له : انها الهزيمة . وقد جربتم ذلك في حروب كثيرة وقرأنا في التاريخ : الويل للمهزوم .. والويل من المهزوم ايضاً .. فالمهزوم يعلن الآخرين دائماً : وكان هذا السفير يتردد على بيتي كثيراً وبانتظام . ولايكف عن الشكوى . واحاول ان اجد ما اقوله . ولكن الذى اقوله كان يشبه القاء قطعة سكر صغيره في بحر مالح . فلا انا قادر على ان اغير طعم الماء في فم الرجل ، ولاهو مقتنع بما اقول . ولا انا توقفت عن ((تحلية)) الماء المالح في فمه ، ولا هو سكت عن الشكوى . وفجأة ارسل الاتحاد السوفيتي الى القاهره ياكوب ماليك ، وهو من اقدر الدبلوماسيين السوفيت وكان من حين الى حين يلتقي بجمال عبد الناصر . ولابد ان السوفيت قد ارسلوا هذا الرجل ليرقب الوضع كله عن قرب . وليكون الى جوار جمال عبد الناصر يواسيه ويخفف عنه . ويبصره بالامور الدوليه وموقف السوفيت . وليناقش معه احتياجات مصر الى السلاح . لابد ان يكون هذا هو السبب في ايفاد رجل بهذا القدر العظيم عندهم . فالسفير السوفيتي وحده لايكفي لمعالجة الموقف ، او حتى ليكون محطة انذار مبكر لنا . او علينا . فياكوب مالك كان مندوبهم في الامم المتحده ، وقد تمرس في السياسة الدوليه ورصد الاحداث قبل وبعد وقوعها .. ولم يطل انتظاره فقد بدأ ينشط . وكان اول نشاط له ان طلب مقابلة جمال عبد الناصر لامر هام . والتقى به جمال عبد الناصر فقال له ياكوب ماليك : جئتك بنبأ هام . هل انت على استعداد لسماعه . قال له جمال عبد الناصر : اعصابي ماتزال قوية واستطيع ان اسمع منك اى شيء قال له : هناك مؤامرة :

ـ مؤامرة على من ؟

ـ عليك يوم السبت القادم ٠٠ أى بعد يومين ٠ فهل أنت جاهز؟ :

ـ لاتخف من هذه المؤامرة أو من هذا الانقلاب ٠٠ فنحن نرصد كل شيء وقد ظننت أنك جئت لشيء أخطر من ذلك ٠

ـ هل هناك ما هو أخطر من انقلاب عليك يطيح بك ٠٠ ويعاقبك على هذه الهزيمة ٠٠ ويكون العقاب من شعبك :

ـ نعم هناك ماهو أخطر من ذلك وهو أن تبعثوا لنا بسلاح نواجه به العدو ٠٠ ونعيد للناس كرامتهم ٠٠٠ فاذا حدث ذلك فلا خوف من انقلاب ٠٠ فالناس يتعجلون النصر ٠٠ ويريدون القتال وروحهم المعنويه لم يزهقها اليأس بعد والحقيقة كان الضباب يلف الناس جميعا ٠٠ وكلهم يتخبطون بعضهم في بعض وكانت الثغمة السائده في ذلك الوقت : السلاح السوفيتي هو الذى هزمنا السلاح السوفيتي الذى انهزم امام السلاح الامريكي المتفوق ٠٠ اننا لم ننهزم وانما هم الروس قد سقطوا امام الامريكان ٠٠ فليست معركة يونيو ٦٧ الا معركة لتجربة السلاح الامريكي والروسي ومعرفة ايهما اقوى وليس المصريون واليهود الا فئران ((المعامل)) وقد اجريت علينا التجربة بمنتهى القسوة ٠ وانهزت الميج امام الفانتوم ٠ واعاد جمال عبد الناصر على ياكوب ماليك كل ما في نفسه ٠٠ فلا الروس ارسلوا سلاحا ٠٠ ولا الروس بعثوا بصواريخ لمواجهة الطيران المنخفض ٠٠ ولا ادركوا من صمودنا في معركة راس العش ان روحنا المعنويه ماتزال قوية ٠٠ ولا ادرك الروس ايضا ان استعدادنا لمواجهة اللواء المدرع الذى زحف على القنطرة شرق يدل على ان رغبتنا في القتال ماتزال قوية وصادقة ٠٠ لاشيء من ذلك قد زحزح الروس عن موقفهم ٠٠ ولا حتى استجابوا لرغبتنا في ان يتحرك اسطولهم الكبير في البحر الابيض نحو مدينة بور سعيد ٠٠ او قطعة واحدة ٠٠ لعل وجودها هناك ان يخيف اليهود او يردهم ٠٠ او ان الوجود السوفيتي هذا يعطي معنى او بعدا اعمق ٠ لاشيء من ذلك ٠٠ وظلت اسرائيل في غطرستها واسرفت في ذلك ٠

ورغم كل مايقوله وما يفعله اليهود فانهم لم يفلحوا في ان يـــــردوا قواتنا الى ما وراء راس العس وظل هذا الموقع في ايدينا منذ ذلك الوقت ٠ الا يدل هذا على شيء ؟ لا يجد الروس في ذلك اى معنى لصمودنا او اصرارنـــا ومع اننا لم نطلب من الروس ان يدافعوا عنا بحرا ، وانما فقط ان تظهـــر قطعة عسكريـــه لهم عند بور سعيد ٠ فقط مجرد ظهور فلم يفعلوا شيئا مـــن ذلك الا في سبتمبر ٠٠ جاءت قطعة ٠ ووقفت ٠ وجاء وقوفها عند بور سعيـــد بالضبط في الوقت غير المناسب ٠ فلم يعد لدينا اى امل في ان يفعلـــوا شيئا ، وحتى اذا فعلوا فلا قيمة ولا اهمية ولا فعالية لذلك : وكان اللـــه سبحانة وتعالى اراد ان يؤكد للروس وغيرهم ان رغبتنا في القتال وفـــي الانتقام وفي استرداد الكرامة رغبة حقيقية صادقه ٠ فحدث ذلك الشيء الجليل في تاريخنا وفي تاريخ البحرية في العالم كله ٠ اقتربت المدمرة الاسرائيليـــة ((ايلات)) من بور سعيد فضربها زورق طوربيد مصرى : صاروخا فـــي قلبها والثاني اجهز عليها واغرقها تماما ٠ وهنا يجب ان يتوقف التاريـــخ والمؤرخـــون طويلا ٠ وندع الكلام عنا للمحررين العسكريين الغربيين والامريكان حتى لايكون كلامنا عن انفسنا نوعا من الغرور او نوعا من تعويض الهزيمة السابقة باغراق انفسنا في المديـــح ٠٠ فهذه اول مرة في التاريخ البحرى ، او فـــي تاريخ المعارك البحريـــه ان تطلق مصر صاروخا بحريا موجها فيكون لـــه دوى عالمي ٠٠ او ان هذه هي اول مرة ينطلق منها صاروخ بحرى موجه في العالم كله عند كل الدول التي لها اساطيل بحرية ٠٠ والمعنى الثاني والهام جـــدا ه وليس هذا كلامي وانما هو كلام المؤرخيـــن العسكريين الاجانب جميعا لان السفن الحربية الكبيرة لم تعد لها فاعلية امام الزوارق الصغيره حاملـــة الصواريخ ٠ فقد كانت ايلات مدمرة ضخمة ٠ وقد اضافوا اليها تعديلات فـــي انجلترا حتى جعلوها ترسانة بحرية ومفخرة للبحرية اليهودية ٠ فلما اصابهـــا الصاروخ الاول شطرها نصفين وجاء الثاني اغرقها ٠ ولم تكن بعد ذلـــك في حاجة الى صاروخ ثالث ٠٠ وليس من قبيل التواضع ان اتوقف عن وصـــف

واحصاء ماحدث في العالم كله • وانما من باب الدقة وتسجيل التاريخ اترك الكلام للمؤرخين العسكريين وللمعاهد الاستراتيجية وحدها ان تقول وتصول وتجول • وخلاصة ما حدث بعد ذلك ان تغيرت الاستراتيجيه البحريه العالميه واتجهت العيون الى زوارق الطوربيد الصغيره التي تحمل طاقما من ١٧ فردا القادرة على اغراق مدمرة بها ٥٠٠ فرد ومليئه بالاسلحة والذخيرة وتكلفت عشرات الملايين من الجنيهات •• وبعدها باربعة ايام اغار اليهود على السويس وضربوا مصانع تكرير البترول في ((الزيتية)) •• اى اننا ضربنا لهم هدفا عسكريا فاصابوا هدفا مدنيا ـ منتهى السفالة والخسة • ولكن اليهود دائما هكذا • معاركهم بلا شرف •• واشتعلت النار في معامل التكرير طبعا والتقطوا لها الصور واذاعوا واشاعوا في العالم ان الانتقام كان صاروخا ملتهبا ••

وان النار ظلت مشتعلة في السويس شهورا •• الى اخر الاكاذيب التي يتقنها اليهود ويعيشون عليها ويصدقونها ـ مثل اكذوبة ان فلسطين وطنهم الذى ذكرته كتبهم المقدسة • مع ان كاتبا يهوديا كبيرا قد اصدر كتابا منذ شهور يقول ان اليهود لاحق لهم في فلسطين • وانهم ليسوا ساميين اسيويين كما يدعون • المؤلف اليهودى الذى كان صهيونيا وشيوعيا ايضا اسمه ارثر كيستلر • والكتاب اسمه ((القبيلة الثالثة عشرة)) •• وغيرها من الاكاذيب التي تحتاج الى دراسة ومتابعة • واعتقد ان من واجب المفكرين والمؤرخين ان يعنوا بذلك • فهذا انفع لهم ولنا من موضوعات تافهة يرددونها دون ان يتوقفوا عندها لحظة ليتساءلوا : لمن يكتبون ذلك ؟ وما هي الفائدة التي يجنيها القارئ من ذلك ؟ او ما هو الشيء الذى يضيفونه الى الفكر الايجابي ـ المصرى او العربي ؟ وجاءت الغارات على الزيتيه ، كاية غارة حدثت في اية حروب في الشرق او الغرب • ولم تستطيع هذه الغرات ان تمسح من كتب التاريخ حادثة ايلات الفريدة في البحرية العالمية • ولكن هل حادثة المدمرة ايلات وانتصار البحرية المصرية بالسلاح السوفيتي قد غير شيئا من موقف السوفيت لم يتغير شيء • هل يصدق الروس ان احدا يصدقهم في مصر ؟ لقد كانت

ازمة صدق وتصديق • لاهم يصدقوننا ولا نحن نصدقهم • ومن الضرورى ان نتعامل معهم • وان نبقى العلاقات اقوى • وان يبقى الطريق مفتوحا ذهابا وايابا بحرا وجوا • ولكن كيف ؟ فبعد خمسة شهور جاء شهر نوفمبر وفي اليوم الثاني والعشرين منه بالضبط قام عندنا اول خط دفاعي • ولابد ان اؤكد هنا ان ذلك قد حدث بعد مائة وخمسين يوما • وكان السوفيت يؤكدون لنا اننا لن نستطيع استيعاب سلاحهم الا في ضعف هذه المدة •• وفي ذلك الوقت كنت رئيسا لمجلس الامة • وكان جمال عبد الناصر يحب ان يفتتح الدوره الجديدة بخطبة • فالشعب ينتظر منه ذلك والامة العربية والسوفيت والعدو ايضا • واخذت الحيرة جمال عبد الناصر وسارت به في متاهات ما الذى يقوله للشعب ؟ كيف يواجه الناس ؟ هل يضعف ؟ هل يجاهر بضيقة وقرفة ؟ كيف يفعل ذلك وهو يعلم ان القوات المسلحة ماضية في الاستعداد والدفاع ليلا ونهارا ؟ • هل يصارح الناس بحقيقة السوفيت ؟ واذا فعل فما الذى يجنيه من وراء ذلك ؟ وما هو البديل لكل هذا ؟ وقال لي جمال عبد الناصر يومها : انا لا استطيع ان اغير لهجتي • ولا ان اغير لساني مالم يكن لدى ما اقوله •• فلن اتكلم •• اذهب وفتش على الخط الدفاعي فاذا كان كل شيء قد اكتمل تماما هنا فقط استطيع ان اتحدث الى الشعب من مجلس الامة •• وسافرت الى القيادة • وقابلت احمد اسماعيل قائد الخط منطقة القناة • وسألته بوضوح يوم ٢١ نوفمبر : هل انت مستعد ؟

قال : نعم مستعد •

واعدت عليه السؤال مرة اخرى : هل انت مستعد تماما • ان الاجابة عن هذا السؤال يتوقف عليها الكثير •• ان جمال عبد الناصر سوف يخطب يوم افتتاح مجلس الامه •• ولابد ان يقول للناس • وكل كلمة تقولها انت محسوبة عليه وعلينا •• ان ردك عسكرى ولكن كلامه هو سياسي في الدرجه الاولى • واكد لي اللواء احمد اسماعيل ان الخط الدفاعي قائم على احسن وجه • اى ان قواتنا قد استوعبت السلاح السوفيتي تماما وقال لنا اول خط دفاعي من

بور سعيد للسويس • وصدقت احمد اسماعيل • وانا اصدقه واحبه واحمد اسماعيل دفعة جمال عبد الناصر • وكنا اصدقاء منذ ايامنا في منقباد • ورايت ((قرار)) احمد اسماعيل • فكان عند رايه وعند صدقه • ومما اعجبني في ذلك الوقت استعداد احمد اسماعيل وتصميمه • والقادة الذين معه ايضا • وقد رايت اشكالا للاستعداد والترقب والاستطلاع • فرايت قوات الصاعقة وقد تعلقت على الشجر ترصد العدو وتصيده عند اللزوم • واراحني ما رايت وما سمعت • وعدت الى القاهرة وقلت لجمال عبد الناصر : على بركة الله تستطيع ان تقول ما يرضيك عند افتتاح مجلس الامه •• وفي مجلس الامه اعلن جمال عبد الناصر عن رايه في المعركه • وانه لن يقبل اية تنازلات مهما كانت النتيجه التي وصلنا اليها ، او التي يمكن ان نصل اليها •• وما كان يستطيع جمال عبد الناصر ان يقف بهذه الصلابه ويقول ما قال ، لولا هذا الخط الدفاعي • فوراء هذا الخط علينا ان نجلس وان نلم الضيوف • وان ندرس ما كان وما يمكن ان يكون بعد ذلك • فالارادة موجودة والتصميم جاهز • ولكن السوفيت لم يفعلوا شيئا • فلا يزال الزعماء في شبه جزيرة القرم على البحر الاسود • ولا يزال السكرتيرون هم الذين يردون علينا •• او هم الذين لا يردون • وعندما عاد الزعماء من الشواطيء اخذوا يردون علينا ولكن طريقتهم في الرد هي نوع من الاستمرار في الصمت او عدم الرد •• ولابد ان تكون وجهة نظرهم في ذلك اننا رؤوسنا ((ساخنه)) •• ويجب ان يتركونا حتى تبرد درجة حرارتنا • فاذا بردت ابتلعنا سكوتهم واهمالهم لنا • ولتفسير ذلك يجب ان نلقي نظرة بسيطه جدا الى الرجل الذى يعمل في طريق الحديد فهو وحده القادر على ان يشرح لنا ذلك السلوك السوفيتي — ربما • فالحداد يضع الحديد في النار ويدقه ساخنا حتى يلتوى في يده •• ثم يضعه في الماء البارد فيتجمد • اى يثبت على الوضع الذى كان عليه فاذا اراد ان يقيم التواءه ، او يلوى استقامته اعاده الى النار •• ثم الى الماء ثم الى النار وهكذا •• حتى يفقد الحديد شكله او حجمه •• او يفقد الانسان

وعيه فلا يعرف له شكلا أو لونا أو أصلا .. وفي النهاية ينسى الانسان نفسه واسمه والقضية التي جعلته يقبل دخول النار ، ويحتمل الماء البارد .. لقد حاول الروس مع جمال عبد الناصر ، وأعادوه معي . حتى دخلنا حرب الاستنزاف : ..

من " أوراق "

الرئيس السادات الجليد .. يذوب :

بين موسكو والقاهرة :

٦

للروس طريقة خاصه في تعليم الدب كيف يرقص على صفيح ساخن اثناء عزف الموسيقي .. وهي طريقه ناجحه مع حيوانات كثيرة . ولكن لم يكن من السهل ترويض القيادة المصريه على الرقص بمجرد أن تعزف الموسيقى اى لحن .. ولذلك يروى الرئيس السادات في ((أوراقه)) وللأمانة التاريخيه كيف تعذب الرئيس جمال عبد الناصر ذهابا وايابا ، وكيف أن السوفيت اعادوه عشرين عاما الى الوراء من شدة الفرح ، ثم ألقوا عليه عشرين عاما أخرى من شدة الحزن . غير أن الرئيس السادات قرر أن يمسك ، حرصا على المصلحه الوطنيه العليا ، عن ذكر تفاصيل ما دار في الكرملين يوم بلغ اليأس بجمال عبد الناصر منتهاه ..

لم يحتمل عبد الناصر كل هذا العذاب :

•• علـــى •• الرغـم من هذه الحالـة النفسيه الرهيبة التي نعانيهـا على مستوى القيادة في مصر ، كان علينا أيضاً أن نبقى على الروح المعنوية عاليـه في الجيش الذى يتدرب باستمرار وينتظر السلاح ، وأن نؤكد للشعب الذى طحنته الهزيمـة أننا جادون •• وفي نفس الوقت أن نواجه الغطرسه الاسرائيليه ورعـونة القياده عندهم •• ونحن نعلم علم اليقين أنهم متفوقون عسكرياً • واذا كنا نحن متفوقين عليهم بالمدفعيه دائماً فلديهـم الطائرات التي بدأوا يستخدمونها بدلاً من المدفعيـه •• وقد زادت غطرسـة اليهود وعربدتهم في سمائنا • وكان ذلك نوعاً من العذاب والهوان ينزل على رؤوسنا من السماء • والروس لا يساعدوننا على مواجهة هذا التحدى العنيف لنا ولكبريائنا وآمالنا في أن تكون في وضع أحسن • واذا كانـت السماوات المفتوحة تعبيراً مخيفاً عند العسكريين • فأن الليالي القمريـه أشد بشاعة من ذلك •• فوسط المدافع والدبابات والصواريخ وانتظـار النار نطلقها وتنطلق علينا من الصعب أن يكون الانسان شاعراً رومانسيـاً يتغزل في السماء المفتوحه والليالي القمريه التي تنطلق منها طائرات الهليكوبتر من رأس محمد الى الصعيد • تلقي باليهود وبالمتفجرات على القناطر والسدود وأعمدة الكهرباء •• ولكن في ذلك الوقت صدر بيان ٣٠ مارس وتم الاستفتاء عليه • وكان ذلك تجميعاً للناس حول خطة عمل • وتوحيداً للآمال والأحلام فلا يبقى أمامنا الا أن نعمل كله من أجل التحرير واسترداد كرامة الشعب الجريح • وسافر جمال عبد الناصر الى مصحة أسخلطوبو للعلاج • وبقـى بعض الوقت • وشفى من أوجاعه • وكان ذلك الشفاء فألاً حسناً • وشفـى البلد أيضاً من بعض أوجاعه • وكان علينا أن نواجه العدو الذى أعطتـه الليالي القمريه ستاراً فضياً لا يمكن أن يكون شاعرياً ، للعربده في سمـاء مصر وفي الصعيد •• وكانت هذه الأعمال الاجراميه خطوة عنيفه فـي حرب الاستنزاف • واعتراف للتاريخ بأنها هزت النفوس ، وزعزعت الأيـدى على السلاح • فنحن بشر • ولكنها ضاعفت أصرارنا على التحدى والتصـدى

واوّل ما قام به اليهود في سماواتنا المفتوحه ولياليناالقمريه الصافيه أن نزلوا عند محطة الكهرباء في نجع حمادى وكوبرى قنا وقناطر نجع نجع حمادى ايضاً • والمسافه التي تقطعها الطائرة اليهودية من رأس محمد عند رأس مثلث شبة جزيرة سيناء الى قنا صغيرة جداً • ربما لايراها الانسان اذا نظر الى الخريطه • ومن هنا كانت مثل هذه العمليات سهلة التنفيذ والاخفاء ايضاً • ومعروف لنا وللعالم كله ماحدث عندما انزلوا بعض رجالهم عند محطة نجع حمادى التي تقع على اطراف المزارع والصحراء • وهناك ضربوا عشرة محولات لكهرباء السد العالي • هذه المحولات على عربات سكك حديديه وقد ذهبت في اليوم التالي مباشرة ورأيت بنفس ماحدث •• ثم انهم ضربوا ايضا كوبرى قنا وكان تحت الانشاء •• ثم ضربوا قناطر نجع حمادى • وهي احدى ثلاث قناطر في الوجه القبلى : قناطر ادفو ونجع حمادى واسيوط • وكل واحد تتحكم في رى نصف مليون فدان • وكان هذا معروف ومرصود في العالم كله •• وكانت الاصابات في هذه المنشآت المعماريه الهندسيه سطحيه وطفيفه لحسن حظنا وسوء بختهم • خصوصاً انهم بعد ان قاموا باعمالهم المسرحيه التلفزيونيه ابلغت طائراتهم ان مصر كلها غرقت • واعلنت القيادة في الاذاعه ان الارض قد غطتها المياه •• وانهم هم الذين اتوا بالطوفان •• وهذا هو احد احلام اليهود • فهم لم ينسوا ولن ينسوا ان مصر كانت تتغنى في المد القومي التحررى : في البحر حندفنكم •• اى ان المصريين كانوا يمنون انفسهم بدفن القوات اليهوديه في البحر •• وكان اليهود يمنون انفسهم بانهم هم الذين سيدفنون المصريين في البحر • تماماً كما حدث ايام موسى عليه السلام •• وقد ذكرت قبل ذلك ان بعض ادبائهم تخيل ان السد العالي قد نسفه اليهود فغرقت مصر ؟ : وبعدها يقوم اليهود بدور نوح عليه السلام فينقذون العالم كله بسفينتهم •• وطبعاً لن ينقذوا مصر — الى اخر احلامهم التي يتوهمون دائماً انهم اقتربوا منها •• وان ضرب القناطر والكبارى سوف يكون خطوه في طريق الى اغراق مصر • :

وكان من الطبيعي أن نعاود مناقشة الموقف بأكمله . هل نمضي في حرب الاستنزاف ؟ . هل نظل نضرب بالمدافعيه استحكامات العدو ؟ وبالصواريخ طائراته اذا جاءت عليه . لانه لاقدرة لنا على مواجهة الطيران المنخفض ؟ هل نظل نحارب بشرف وهم يحاربون بسفالة وخسة ؟ نضرب لهم العسكريين ويتجهون هم الى ضرب المدنيين ؟ وللتاريخ أعترف بأن الذى حدث في حرب الاستنزاف في أواخر ١٩٦٨ وأوائل ١٩٦٩ كان له أعمق الاثر في نفسي .. بل أن هذه المشاعل المضيئه التي كانت تلقيها الطائرات اليهوديه على خطوطنا فتجعل الليل نهاراً قد أضاءت لي أشياء كثيرة .. بل انني أقول للتاريخ أن قراري الذى أتخذته يوم ٨ يوليو سنة ١٩٧٢ بطرد الخبراء السوفيت قد ولد في ذلك الوقت .. ويومها لم يكن يخطر على بال أحد أن جمال عبد الناصر سوف يموت في سبتمبر ١٩٧٠ وسوف أتولى الحكم من بعده ولكن أعترف أن عقلي اشتغل بسرعة ، وأيقنت تماماً أن حالنا في الحضيض .. وأننا لايمكن لأى سبب ، أن نترك الصعيد عارياً ، ونظل نقذف العدو بالنار في الشمال .. وأكثر بلادنا بلا حماية ولا وقاية . وفي ذلك الوقت قال فلاسفة الهزيمة وبؤر مراكز القوى السامة : يجب أن نمضي في حرب الاستنزاف حتى النهاية لأنها مسألة كرامة .. يعني أنه من الكرامة عندهم أن نحارب في الشمال ، وأن نتركهم يغرقون مصر في الجنوب .. أى أنه مهم جداً عند ((هؤلاء)) أن نفرقع القنابل والمدافع على القناة ونشعلها ناراً ، الى أن تجيء مياه السد العالي والخزانات وتطفيء هذه النيران . مأساة لو فعلنا ذلك . أو اذا ظللنا باسم الكرامه الزائفه نترك أهدافنا الحيويه بلا حماية من الاعيب العدو .. وأين نذهب من التاريخ اذا نجح العدو في اغراق نصف مليون فدان أو مليون فدان .. أن مصر لا تقوى على احتمال الغرق بعد الهزيمة ، والجوع بعد الهوان .. صحيح أن شيئاً من ذلك لم يحصل . ولكن ماذا لو حصل ؟ انني اذكر انه في سنة ١٩١٣ لم يأت الفيضان بماء يكفي لرى مصر . فزرع المصريون نصف الارض . ولكن أحداً

لم يمت من الجوع في ذلك الوقت • لأن عدد سكان مصر كانوا سبعة ملايين •• ولكن الآن ونحن ٣٥ مليون ، ومساحة الأرض لم تعد تكفي لهذه الأفواه •• كارثة كبرى * لو حدث ما تمناه اليهود ، وما تخوفنا نحن من وقوعه • ولكن الروس لم يمكنونا من الدفاع عن أهدافنا الحيوية •• فما الذى يمكن عمله بعد ذلك ؟ وكنا قد أحصينا المراكز الحيويه في مصر التي يجب أعطاؤها الأولوية في الدفاع عنها ، فوجدناها ألفي هدف • وأنا أذكر هذا الرقم جيداً ، فقد كان أحد همومي الكبرى أن أدافع عنها جيداً قبل أن أبدأ معركة أكتوبر ١٩٧٣ • ومازالت حرب الاستنزاف مستمر ، ضرب من هنا ، غارة من هناك • مرة تشد ومرة تخف حدتها • ولكن الحرب على الجانبين لم تتوقف أعصاب مشدوده طبعاً ، انتظار للفرج •• والفرج لا يجيء من روسيا ببطاريات صواريخ للدفاع عن هذه الأهداف الاستراتيجية • وظلت مصر في هذا العناء والدوخه مع السوفيت حتى سنة ١٩٧٠ عندما قبل جمال عبد الناصر مبادرة روجرز أمام القادة السوفيت في الكرملين •• وقبل أن أمضي الى سنة ١٩٧٠ لابد أن أتوقف لأبدى بعض الملاحظات التي أراها ضرورية على حرب الاستنزاف وعلى ردود الفعل العامه لذلك •• ولو كان هذا التاريخ الذى أرويه موجهاً للعسكريين وحدهم ، لكان من السهل جداً أن أشير الى ذلك في سطور • ولكني أتوجه به الى شعبي والى الذين يقرأون التاريخ من الشباب لكي يتأملوا حتى يعرفوا الحقيقه • فهذه الحقيقه كانت وما تزال وسوف تبقى هدفي ، من أجل مصر وسلامة مصر ورخاء مصر • وسوف تجيء لحظات كثيرة أدوس فيها على كبريائي • وأبتلع كراهتي من أجل مصر • ومن هنا كانت المصارحه والصدق : أسلوباً وغاية من كل الذى أقول •• من هذه الملاحظات أن حرب الاستنزاف هذه تستهلك كميات هائله من الذخيره • ومن الملاحظات أيضاً أنها نوع من ((هز)) الموقف ولكنها لا تحركه وهي تأكيد مستمر للعدو ولأنفسنا أيضاً أننا في حالة صحو تام •• وإذا كنا وكان العدو في حالة من الصحو فإن هذا الصحو أقرب الى الأرق • وإذا كان الأرق طويلا هكذا ، فمن المؤكد أن الإرهاق هو النتيجه الطبيعيه لذلك

وليس الارهاق حالة تزول ، ولكنه حالة لا تزول .. فاذا اضفنا الى ذلك ما فعله اليهود في معركة الجزيرة الخضراء وما فعلناه نحن وجدنا موقفاً محشاً . اي انه موقف يخربنا بالاستمرار بل يدفعنا في الطريق الى الاستمرار في هذه الحرب ((القاعده)) او الحرب الجالسه على الضفه الشرقيه للقناة .. لاننا نضرب ونحن جالسون ، واليهود يضربون طائرين في الجنوب يفعلون ما يحلو لهم .. وكان ضربنا اليهود في الجزيرة الخضراء بعنف . وكل ذلك معروف لنا وللعالم كله .. وكان من الطبيعي ان يستمرئ اليهود الدخول والخروج والسخريه بنا امام العالم .. فتمادوا بعد ذلك عندما ضربوا ابو زعبل ومدرسة بحر البقر ودخلوا الى الاسكندريه وكان في استطاعتهم في ذلك الوقت ان يذهبوا الى ابعد من ذلك . ولم يتوقف هذا كله الا بعد ان امدنا الروس بصواريخ سام ٣ .. ولم تكن عندنا ((خطوط)) ذخيرة او ((وحدات دارية)) كما يقول العسكريون الان . ويظهر ان هذا هو اسلوب الدول الكبرى . فقد قرأت مناقشة الكنيست الاسرائيلي ووجدت موسى ديان يشكو من ان امريكا لم تمدهم بالسلاح المطلوب طبعاً هو يشكو ايضاً من ان السلاح اقل مما يحتاج اليه ولكن هناك فارقاً ضخماً بين موقف امريكا مع اسرائيل وموقف روسيا معنا .. فاذا امريكا اعطت اليهود ٩٩ مدفعاً وكان اليهود قد طلبوا مائة مدفع فانهم يصرخون .. ولكن اذا طلبنا من الروس ٩٩ مدفعاً واعطونا تسعة مدافع فقط وصرخنا فانده ش الروس لذلك .. اذ كيف نصرخ ولا نصبر عليهم سنة او سنتين ليكتمل هذا العدد .. وفي نفس الوقت يكون اليهود قد حصلوا من امريكا على اضعاف هذا العدد من الاسلحة الاكثر تطوراً : ولكن الدول الكبرى تعطي بحساب وان كان هذا ((الحساب)) يختلف من دوله الى دوله .. وفي ذلك الوقت تحرك الروس . وقالوا لجمال عبد الناصر ان يقوم بعملية ((تبريد)) عامه . اما ((التبريد)) المطلوب فهو وقف حرب الاستنزاف قليلاً .. اي مطلوب من جمال عبد الناصر ان ينهي هذه الحالة التي لا هي حرب ولا هي سلم .. وان يتفرج على اليهود على الضفه الاخرى من ارضه ويسكت

وأن يراهم يدخلون سماء مصر يفعلون بالسماء والجنوب مايحلولهم ويسكت • وأن يرى السلاح يتدفق على اليهود من أمريكا ويسكت • وأظن أن موسى ديان هو الذى قال أن وجود اليهود على الضفه الغربيه على مرأى ومسمع من المصريين سوف يصيبهم بهزات كهربائيه • بصواعق كهربيه • وأن المصريين لايمكن أن يعتادوا على هذا الهوان ولذلك سوف تؤدى صواعق الكراهيه والغيظ والهوان الى ثورة الشعب على حكامه وأسقاط النظام القائم في مصر • ولذلك كان همي الاول أن أدفع باليهود الى الوراء وأفتح القناة وأرد لمصر كرامتها • وبذلك تتأجج عند الناس مشاعر أخرى غير الهوان والهزيمة والعار والندم بل أن هذا الموقف دفع عدداً من الكتاب المصريين يقولون : كيف نترك أولادنا حملة المؤهلات يجلسون هناك على الرمال تحت الشمس •• دون عمل ؟ شيء غريب : كأن أداء الواجب الوطني والدفاع عن مصر ليس عملاً ؟ أو كأن الذى يحمل مؤهلات يجب أعفاؤه من هذا الواجب المقدس ؟ وكأن الدفاع عن مصر خاص فقط بالذين لم يتعلموا ؟ انه أسلوب عجيب ولا أعرف من أين أتوا به •• أو كيف نشروه على الناس • مع أن الدول الاخرى • شرقاً وغرباً قد دخل شبابها الحروب • ولا يوجد واحد لايضع في بيته أو في جيبه صورة له وقد أرتدى ملابس القتال • لأن هذه الملابس شرف والدفاع عن الوطن دين وقد وجهت لوماً عنيفاً الى هؤلاء الكتاب الذين يدعون الى التخاذل والهزيمه واليأس والذين يفرقون بين الذى يحمل مؤهلاً والذى لايحمل موهلاً في الدفاع عن مصر وشرف مصر • وأن الحرب هي أكبر بوتقه لتذويب مابين الناس من خلاف في الرأى أو في الطبقة أو في اللون • فكما أن النصر شرف عام فالهزيمة عار عام • ونحن جميعاً أمام النصر أو الشهادة سواء = هذا ماقوله لرجالنا الشجعان المقاتلين •• وأملي الا يعود كتابنا الى شيء من ذلك فقد ذهبت هذه الموجة السوداء المريرة الى غير رجعه أن شاء الله •• لأن واجبنا الآن أن نفرش الطريق بالأمل في حياة أفضل وواجب الكاتب

أن يدافع بقلمه وعلمه ووجدانه عن مصر • يدافع عنها اليأس ويحميها من الشك •• فالكاتب جندى ومهندس وطبيب وشعلة تضيء وتهدى الناس الى الطريق السوى • هذا واجبه وقدره • واستنزفنا حرب الاستنزاف • وتلاشت الذخيرة وراء مدافعنا • واعترف أن بعض المدافع عندنا تحولت الى قطع حديد بارد •• لأنه لاتوجد خطوط ذخيرة كافيه • ولم يتوقف جمال عبد الناصر ، ولا أنا بعد وفاته ، عن طلب المزيد من الذخيرة عن طريق الكوبرى الجوى أو الكوبرى البحرى •• ولكن الروس لم يفعلوا شيئاً • ومات الرجل ، ولكن الروس قد التزموا الصمت •• أو يقولون شيئاً كان الصمت أفضل منه •• ولم يعد سراً أن أقول مرة اخرى أن الذى طلبته أيام حرب الاستنزاف قد وصلنا عندما بدأت حرب أكتوبر ١٩٧٣ – وفي استطاعتك أن تضيف الى هذه الحقيقة المؤلمة ماشئت من علامات التعجب والاستفهام ؟ ، وقد اضطررت الى أن أحصل على أسلحة من سوريا ومن العراق قبل بداية حرب أكتوبر ١٩٧٣ • وسوريا والعراق على ما أقول شهيد • وفي نفس الوقت الذى كانت الذخيره مكدسة في سوريا كان وراء مدفعي خط ذخيرة واحد • بينما المدفع السورى وراءه من ثمانية الى أحد عشر خطاً • لا أحسد ولا أحقد على سوريا • طبعاً لا • انها دولة شقيقه • واتمنى لها ولنفسي القوة والمنعة • ولكن اذا وضعنا التمني جانباً يتبقى هناك شيء هام • : وهو أن يدلني أحد على معنى هذا كله ؟ ما معنى أن تعطى روسيا لسوريا ولا تعطي لمصر • مع أن القضيه واحدة • والسلاح الذى تحارب به واحد • واذا كنا نحن نحارب لانفسنا ، فمن المؤكد أننا نحمل السلاح السوفيتي في مواجهة السلاح الأمريكي •• واذا انتصر السلاح السوفيتي فهو انتصار لهم •• ثم هذه الوعود التي اغرقونا بها •• والانتظار الطويل والتأكيد المستمر بأن السلاح في الطريق الى آخر ما اعتاد الروس أن يقولون وما اعتدنا أن نصدقه أو نوهم انفسنا باننا نصدقه •• مطلوب أن أجد تفسيراً لهذا الذى يعمله الروس أن أجد معنى : للاسراف هناك والتقتير هنا •• التكدس هناك ، والندرة عندنا •• الكوبرى الجوى الذى لم يتوقف نزوله في سوريا ، والكوبرى الذى لم تقم له قائمة بيننا وبين روسيا

ولكني لا أعفى رجالنا العسكريين من المسؤلية ، كلها أو بعضها ..
فمثلاً عندما كان لدينا الصاروخ سام ١ و ٢ كان لابد أن يطلب رجالنا صواريخ لمواجهة الطيران المنخفض في سنة ١٩٦٤ . ولكنهم لم يفعلوا . أو لعلهم طلبوا . ولم يستجب لهم أحد .. أو أن الروس أجابوا بأن هذه الصواريخ التي تواجه الطيران المنخفض لا وجود لها عندهم . وهذه عادة سوفيتية معروفه . فهم يقولون لك . لا يوجد مع أن الذى لديهم كثير من كل نوع ، ومن كل الأسلحه المتطوره أيضاً وقد حصل اليهود على صاروخ هوك من الرئيس كيندى . ولابد أن الأمريكان ، كما ذكرت من قبل في هذه ((الأوراق)) قد واجهوا الصواريخ السوفيتيه التي تواجه الطيران المنخفض . أى أن اليهود لديهم معلومات كافيه عن الصواريخ السوفيتيه التي جربت تماماً في فيتنام ، فاذا أعطاها الروس لنا ، لم يكن ذلك مفاجأة تامة لليهود ولكن من المؤكد أنها سلاح خطير ومخيف . وقد حدث ذلك عندما أعطيت لنا صواريخ الارتفاعات المنخفضه أن توقفت العربدة والصعلكة الجويه اليهودية في سماوات مصر .. ولم نحصل على صواريخ سام ٣ الا في سنة ١٩٧٠ بعد غارات اليهود على أبو زعبل وبحر البقر . وهذه الصواريخ أوقفت ضرب اليهود للخط من بور سعيد الى السويس تماماً . وكان اليهود قد اعتادوا على الاغارة بمئات الطائرات من الشروق حتى الغروب . وأكرر مرة أخرى أنني لا ألوم المستشارين العسكريين السوفيت على أنهم لم يبصرونا بهذا الخطر الحقيقي . وانما ألوم العسكريين المصريين الذين لم يبادروا بطلب هذه الصواريخ .. وان كنت أجد بعض العذر للعسكريين المصريين الذين تعلموا العقيدة العسكرية السوفيتيه . فالذين ذهبوا الى روسيا ليتعلموا لم يحصلوا على كل شيء . ولا حتى على القدر المعقول المطلوب من التكنولوجيا الحديثة . فالروس يعلمونهم . ويوقفونهم عند حد معين . ويقولون لهم : هنا وقف : وفي نفس الوقت يكون الروس معقولين جداً عندما يقولون لنا بعد ذلك : ليس في استطاعتكم استيعاب الأسلحة الحديثة بسرعة . لماذا ؟ لأن رجالنا لم يتعلموا هناك بدرجة كافية . ويكون الرد المنطقي : ولكن لماذا لم تعلموهم بدرجة كافية حتى يسهل عليهم استيعاب أسلحتهم الحديثة . وبذلك نختصر الوقت .. وأهم من ذلك يتمكن رجالنا من استخدام السلاح السوفيتي ، والانتصار

به وهذا يخدمكم أكثر مما يخدمنا • ويكون ردهم عادة : معقول جداً • وهذا ما سوف نعمله • ولا يعملون شيئاً • أي لا يتركون أبناءنا يتعلمون بما فيها الكفاية ، ولا يبعثون بالسلاح الضروري لذلك • ويتجدد الموقف المعروف بيننا وبينهم : نحن نطلب وهم لا يردون • أو نحن نطلب ثم هم يردون • وإذا ردوا وعدوا • وإذا وعدوا وفوا بالوعد • وإذا وفوا بالوعد كان ذلك بعد فوات الأوان ؟ : ولكن لم يفقد جمال عبد الناصر الأمل في أن تتحسن هذه العلاقة بين مصر وروسيا • وأن كان قد شرب المر على أيديهم عاماً بعد عام • وفي أواخر سنة ١٩٦٩ عقد جمال عبد الناصر مؤتمراً عسكرياً • لم يحضره من السياسيين غيره وغيري • ودارت مناقشات في هذا المؤتمر • وحللنا الموقف • وأدرناه على جميع الوجوه • وكان يسطر علينا جميعاً أن اسرائيل سوف تتمادى في استخدامها الطيران الى غير مدى والى غير حد • ووصلنا الى رأي واحد • واقتناع واحد هو أن اذهب الى الاتحاد السوفيتي أطلب سام ٣ • ووافق السوفيت على ذلك • وسرعة أرسلنا أطقم هذه الصواريخ للتدريب على أن تعود جاهزة للعمل في أغسطس سنة ١٩٧٠ • وكانت هذه خطوة هامة • لا شك • وقبل أن يسافر جمال عبد الناصر في ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ الى مؤتمر القمة في الرباط في نفس اليوم حلفت اليمين كنائب لرئيس الجمهوريه • وكان ذلك قبل أن يستقل طائرته بخمس دقائق • وفي يوم ٢٥ ديسمبر ، وهو عيد ميلادي • كنت في ميت أبو الكوم • فقد اعتدت أن أقضي هذا اليوم بين أهلي من الفلاحين وفي قلب البيئة التي ولدت فيها • ولم أكد أستقر في مقعدي حتى جاء تليفون يصرخ قائلاً : الخط والع نار •• فسلاح الطيران اليهودي قد أغار على الخط من بور سعيد حتى السويس • من الثامنه صباحاً وقد أحصيت الطائرات المغيره فبلغت ١٨٠ طائره • وطائراتهم أبعد مدى من طائراتنا • ولا تكاد تنتهي ذخائر بعض الطائرات ، حتى تجيء من ورائها أسراب أخرى وهكذا • وظلت النار مشتعله حتى الرابعه مساءً • وكانت خسائرنا ضئيله جداً لم تتجاوز أربعة أو خمسة من القتلى وسبعة من الجرحى • فقد كان رجالنا يقفون وراء —

استحكامات منيعة • وجاءت الطائرات اليهوديه تلقى بيرانها على الرمال وعلى الاستحكامات • وكان هدف اليهود واضحاً هو ضرب بطاريات الصواريخ • فاذا اصابوها انفتح لهم كل شيء : السماء والارض معاً : وقد اصاب اليهود في ذلك اليوم عدداً كبيراً من بطاريات سام ١ و ٢ • وتناثرت قنابلهم شديدة الانفجار وقنابلهم الزمنيه ، التي ظلت تفرقع على فترات مختلفة • وبذلك يتحقق لهم ما يريدون وهو ان يظل النار والدمار والانفجار بلا توقف •• لا انسى ذلك اليوم من عمرى • وفي مواجهة هذا الموقف المفاجيء العنيف اصدرت امر للمهندسين ورجال الصواريخ بسحب كل الصواريخ الى الوراء • وقد صنع سلاح المهندسين المعجزات وسط الغارات العنيفه وقبل اول ضوء من يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٧٠ كانت جميع البطاريات سحبت الى الوراء ، وفي اماكن خفية • ولما جاء اليهود ليقضوا على ما تبقى من الصواريخ ، كانت غاراتهم تنصب على لا شيء : وقد اكتشفنا من هذه الغارات عليا اسلوب اليهود في القتال • فهم ((كتابيون)) — اذا صح هذا التعبير اى انهم يطبقون قواعد الكتاب العسكرى حرفياً • اى انهم محدود والاهداف يتدربون على الهدف ويخرجون اليه لضربه • واذا وجدوا انهم اخطأوا في تطبيق الكتاب او الخطه المحدده عندهم ، عادوا بسرعة • ولكنهم في هذه المرة وقعوا ضحايا لمدفعيتنا التي توارت وراء الاشجار وانطلقت عليهم ناراً ووبالاً •• ففروا هاربين •• وكلما جددوا الهجوم وفقاً لخطة محدده موضوعة ، وجدوا انهم ضحايا كمين جديد •• فاصابتهم مدفعيتنا وهربوا بما تبقى لديهم من طائرات •• ولما ايقن اليهود ان الموقف قد تغير تماماً على الخط في الشمال ، اتجهوا الى اساليب بهلوانيه اخرى على البحر الاحمر •• فانقضوا على محطة الرادار وحملوها وهادوا بها وهي غلطة اهمال حقيقيه — اى غلطتنا نحن • ولما عاد جمال عبد الناصر من مؤتمر الرباط سافر الى السودان ليشارك في عيد الاستقلال في اول يناير فوقف يلقي خطبة في هذه المناسبة • يحيى شعب السودان ويمجده • ويجدد

الصمود العربي ضد القوى الامبرياليه • ثم اتجه الى الرد على رئيس الاركان الاسرائيلي الذى كان قد اعلن يوم راس السنة انه العام القادم سوف يخضع الشعب المصرى تماما •• فقد حدث يوم راس السنة ان وقف رئيس الاركان الاسرائيلي في الكلية الحربية يقول : لقد انتهت مصر في ٦٧ وقضينا عليها تماما بحرب الاستنزاف • اما في سنة ١٩٧٠ فسوف يكون — ((الشعب)) المصرى طوع ايدينا •• اى انه يريد ان يقول : اننا اذا كنا قد هزمنا الجيش المصرى ، فلم يبقى امامنا الا ان نهزم ارادة الجيش وارادة الشعب المصرى •• ومعنى ذلك ان اليهود مؤمنون بان ((روح)) الشعب المصرى لم تنهزم بعد • وهذا هو الهدف المنشود عندهم • وقد تلقف جمال عبد الناصر هذا المعنى • واكد انهم لن يهزموا ارادة الشعب المصرى مهما تضاعفت غاراتهم قبل ذلك او بعد ذلك •• وقد زاد الشعور العام في مصر سوءا ، وان كان الشعور العالمي صار ضد اسرائيل •• فلم تكن غاراتها على الاهداف العسكريه وانما كانت على عطل ابو زعبل وعلى اطفال بحر البقر • واذكر ان جمال عبد الناصر كان في القناطر الخيريه وكانت الانفلونزا قد اشتدت عليه • وقال لي يومها : ان الذى توقعناه قد حدث • ان اليهود قد غاروا ودخلوا وقتلوا وخرجوا • وعادوا •• ولا احد يستطيع ان يوقفهم • ثم انهم اعلنوا وصولهم الى دمشور على مدى ربع ساعة من القاهرة • وهذا صحيح • وطلب مني جمال عبد الناصر ان اتصل بالسفير السوفيتي • ووجدت السفير السوفيتي فيلو جرادوف في المحلة الكبرى مع وفد برلماني سوفيتي • اتصلت به لكي يجيء فورا • ومعه كبير الخبراء العسكريين • وجاء الرجل • وكذا اربعة جمال عبد الناصر والسفير السوفيتي وكبير الخبراء وانا • وجلسنا في القناطر الخيرية • وطلب اليه جمال عبد الناصر ان يتصل بالقادة السوفيت وان يستوضحهم عما تم بشان ما اتفقوا معي عليه في ديسمبر — اى الاتفاق الخاص بارسال صواريخ سام ٣ ثم يسالهم عن مصير الاطقم المصرية التي سافرت يوم اول يناير اى من عشرين يوما •

ثم كلفه جمال عبد الناصر أن يخبر القادة السوفيت رغبته في أن يقوم بزيارة سرية لموسكو . فالموقف لا يحتمل التأجيل أو الانتظار . ولم يكن السفير السوفيتي في حاجة الى أن يوضح له جمال عبد الناصر أكثر من ذلك فالغارات اليهوديه واضحة . والضحايا المصريون كثيرون . والدار والحرائق والدخان والقنابل والشك والقرف واليأس وروح الهزيمة والضيق من الروس ومن أسلوبهم العجيب في التعامل معنا . قد عقد كل شيء .. وملأ السماء سحاباً . والارض غباراً ، والنفوس شكاً .. ويجب أن نفعل شيئاً لكي يفعلوا هم أي شيء .. وكان السفير السوفيتي فينوجرادوف من الدبلوماسيين الاكفاء وكان صديقاً للجنرال ديخول ، لأنه عمل سفيراً لبلاده في باريس ١٢ عاماً وكانت له صلات كثيره وعميقة . ولا بد أن الروس قد اختاروه لمصر ، لأهمية الوضع في مصر وفي الشرق الأوسط . وكان هذا الرجل حريصاً على أن يخدم القضية من كل قلبه . ولكن ما الذى يستطيعه أى فرد سوفيتي ، أيا كان وزنه وموقعه . مع القيادة السوفيتيه . أن الفرد لا رأى له ، وانما القيادة العليا الغامضه الشكل والرأى ، هي التي لها الرأى . وذهب فينوجرادوف وأبرق للقيادة بما قاله جمال عبد الناصر . وجاء الرد بالترحيب بهذه الزيارة وبعدها بأربعة أيام سافر جمال عبد الناصر سراً الى موسكو . وذهب جمال عبد الناصر الى موسكو والتقى بالقادة السوفيت . ولم يحن الوقت بعد لكي أروى تفاصيل ما حدث . وكل ما حدث سمعته من جمال عبد الناصر شخصياً . ولست أرى من المصلحة الوطنيه العليا رواية شيء من ذلك الآن .. فالذى قاله جمال عبد الناصر للقيادة السوفيتيه يدل على منتهى اليأس والقرف ، اليأس منهم والقرف من أسلوبهم .. بل ولا أكون مبالغاً ، وأنا أعرف بالضبط وزن كل حرف مما أقول ، أن جمال عبد الناصر قد بلغ أقصى درجات اليأس من الحياة نفسها . ومن دوره كزعيم لبلده . وأرى من واجبي أن أمسك عن الاستطراد في وصف الحالة التي تردى اليها جمال عبد الناصر وكان مريضاً جسمياً ومهدوداً نفسياً ، وجريحاً وطنياً ، وذبيحاً قومياً .. وأحس الروس من كلام جمال عبد الناصر انه صادق . وانه يعني ما يقول . وانها ستكون

طامة كبرى عليهم اذا انتقل جمال عبد الناصر من القول الى العمل هذا فقط وافقوا على ارسال الاطقم السوفيتية لصواريخ سام ٣٠٠ وهذه الحالة التي وصل اليها جمال عبد الناصر ، مع السوفيت ليست الاولى .. وانما الاولى كانت يوم فاجأ الروس بقبوله لمبادرة روجرز على مائدة الكرملن . والذى يقرأ التاريخ . ويعرف تكوين جمال عبد الناصر يدرك تماما أن اليأس قد بلغ مداه . وانه من موقع اليأس والضيق بكل ، قد اعلن الذى اعلنه .. فافزع الروس . واضطرهم الى أن يتقدموا بالمساعدة فورا .. ثم يتراجعوا انفسهم بعد ذلك ... ويحاولوا لعبة مد اليد وسحبها .. ثم مدها وسحبها . والتسخين والتبريد . ثم محاولة التسخين والتجميد ـ كما ذكرت وكما سوف نرى بعد ذلك ولما وافقوا على أن يبعثوا لمصر بالاطقم السوفيتيه ، علقوا ذلك على شرط . فقال لهم جمال عبد الناصر : انا اقبل الشرط : قالوا : أن تتولوا بناء قواعد صواريخ سام ٣٠

قال لهم : موافق فورا .

وهذا الشرط تقدم به السوفيت ظنا انهم سوف يضعون امامنا مشكلة .. او عقبه ونسوا اننا قد بنينا السد العالي .. او ان المصريين ابناء السبعة الاف ـ سنة قد بنوا الاهرام .. ولكن من عادة الروس اذا اعطوا أن يجعلوا ذلك شيئا صعبا . اى من الصعب أن يوافقوا على العطاء .. ومن الصعب أن يتقدموا بالعطاء .. ومن الصعب عليهم أن يستمروا في ذلك .. واصعب عليهم أن ـ يستعلجهم احد .. فلم يكن ـ اذن ـ هذا الشرط الذى طلبوه امرا صعبا ثم تقدموا بشرط اخر هو : اذا نحن اكملنا بناء قاعدة او موقع ، فان السوفيت سوف يرسلون الاطقم فورا . ومن الانصاف أن اقول انهم فعلوا ذلك . فلا يكاد الموقع يتم انشاؤه ، ويبلغهم بذلك حتى تجيء الاطقم فورا . هذا حقيقة نذكرها لهم . وكان الروس يتصورون أن بناء اى موقع سوف يستغرق ثمانية اشهر ، اى بالضبط الوقت الذى يعادل فترة تدريب ابنائنا في روسيا . ووقتها يحلها ربنا .. اى وقتها يفكر الروس مرة اخرى أن كانوا سيبعثون بالاطقم او سيعيدون الينا ابناءنا المدربين .. ومن العدل أن

نقول أن هذه المواقع التي تم انشاؤها قد توالت الواحدة بعد الأخرى . فقد استطاعت الهيئات المدنيه المصرية أن تنجز ذلك العمل العظيم . فلقد شارك المقاولون العرب وشركة حسن علام وغيرها من شركات الانشاءات المصريه الممتازه في بناء هذه المواقع . وبدأ حشد هذه الشركات من أول فبراير ودفعنا مليون جنية في اليوم لمدة أربعين يوماً . ويوم ١٥ مارس كان أول موقع في السلسلة بالاسكندرية . وقبل أن يتم اخبرنا الروس بذلك وفعلاً أرسل الروس الصاروخ سام ٣ ومعه الطاقم السوفيتي . وقد قام على بناء المواقع مهندسون وعمال مصريون ، ومما يشرفنا أن نقول أن خبيراً سوفيتياً لم يشارك لا في التصميم ولا في البناء . هذه حقيقه . وتناثرت قواعد صواريخ سام ٣ حول القاهرة والاسكندرية واسوان . وكانت هذه المواقع تتم بفارق يوم أو يومين .. وكان الروس يبحثون بالأطقم . وكان نشاطاً عظيماً هائلاً . كل شيء يتم بسرعة . وفي ١٥ مارس عرف العالم كله : أن الروس وصلوا أي أن صواريخ سام التي تصيب الطيران المنخفض قد ركبت . وفي انتظار أية طائرة اسرائيلية . ومنذ ذلك اليوم لم يعد الطيران الاسرائيلي يدخل الى عمق مصر .. واذا التفتنا الى حالتنا العامه أقول انها تحسنت فجمال عبد الناصر قد وعدوه باسلحه الردع ووعدوه بطائرات الردع التي تحمل الصاروخ الى مدى ١٥٠ ميلاً ، أي تستطيع وهي على ارض مصر أن تضرب الأعماق الاسرائيليه .. ووعدوه بالأطقم السوفية ، ونفذوا هذا الموعد وقد حدث يوم سفر جمال عبد الناصر الى موسكو أن اغارت الطائرة الاسرائيليه على جزيرة صخرية اسمها شدوان . ونزلوا عليها وأصدرت أوامرى بضرب الجزيرة الصخرية بالقنابل الثقيلة حتى هرب منها اليهود . وكان ذلك يوم مشهوداً . بل أن أحد الضباط الشجعان قد استدرج اليهود الى مخبأ في الجزيرة . وقد أوهمهم بأنه سيساعدهم على أن يستسلم بقية الجنود المصريين ثم أطلق عليهم الرصاص . فقتلهم وقتلوه . ولم انس هذا القرار ولا ذلك النصر العظيم فأصدرت قراراً بعمل نيشان يحمل اسم شدوان . ولو عدت مرة أخرى لوصف حالة جمال عبد الناصر عند عودته من موسكو مريضاً

لوجدت معنوياته في السماء • رغم ارهاق الرحلة ذهاباً وايابا ورغم الصعوبات التي واجهها • ولكن النتيجة كانت عظيمة •• ولم يكن امامه الا ان ينتظر نهاية يناير وفبراير ومارس •• ولم يصل رد من السوفيت• ولا جاءت طائرة الردع ولا شيء • وعلى جمال عبد الناصر ان ((يتواقق)) نفسياً اى يصبر نفسه بنفسه ، وان يصالح نفسه على نفسه • ويتجرع هذا الصبر المرير ويتذوقه ويعتاد عليه • ولم تصل رسائل تفيد ان شيئاً في الطريق الينا ، او سوفيكون • لا شيء : وكانت عند الروس حجة هي ان هذه الطيارة ذات الصواريخ بعيدة المدى تحتاج الى ان يتدرب عليها الطيارون ثمانية اشهر على الاقل • وهذه الكلمات تتوالى بسرعة • ولكن الوقت لم يكن يمضي بهذه السرعة ولا بهذه الخفة • ليت ذلك كان ممكناً • ولكن الوقت كان ثقيلاً كالجبال • وكان اثقل من الجبال على رجل مريض مثل جمال عبد الناصر كان عنده السكر والقلب ويجد مشقة في السير على قدميه وفي النوم•• وزاد ذلك كله ثقلاً ووجعاً عندما انتهى شهر مارس• وبعد مارس جاء ابريل •• وهذه معلومات اولية لاى طفل يذاكر توالي شهور السنة الميلاديه • ولكن اذا كان زعيماً مثل جمال عبد الناصر وعيده على اول مايو عيد العمال ، فما الذى يفعله؟ وما الذى يراه امامه ، وما الذى سوف يقوله ؟ اذا واجهته الناس وانتظرت كلمته وقد استبد بالناس الخوف واليأس ، وتعلق مصير الجميع بكلمة يقولها جمال عبد الناصر للمصريين وللعرب ؟ • ماالذى يفعله جمال عبد الناصر وقد ذهب وانفجر هناك وهددهم واتزعجوا ووعدوا ووفوا ووعدوا واخلفوا • واعطوا الامل في الكرطين وسحبوه عند المطار واعادوه الى شباهه ، عشرين عاما من شدة الفرح ، واضافوا اليه عشرين عاماً اخرى من شدة الاسى والحزن : ولما جاء يوم عيد العمال في شبرا البلد توجه جمال عبد الناصر بنداء الى ليكسون — ولاول مرة — وقد كانت علاقاتنا مع امريكا مقطوعة منذ العدوان على مصر سنة ١٩٦٧ • وطلب من الرئيس ليكسون صراحة ان يقول له : ماهو دوره ؟ وما الذى يستطيع ان يفعله • وجمال عبد الناصر يعلم علم اليقين ان ليكسون له دور • وانه القادر على حل المشكله • واراد جمال عبد الناصر

أن يعرف من نيكسون موقفه من هذه القضية • ولكن جمال عبد الناصر قد أعلن بصراحة : أن نيكسون يقدر لو أراد • بقى أن يعرف منه وأمام العالم كله انه يريد أن يفعل شيئاً : وتلقف نيكسون هذا النداء ، وبعد شهر واحد أرسل روجرز • فكانت مبادرة روجرز المشهورة في شهر يوليو • ورفض جمال عبد الناصر هذه المبادرة شهراً ثم سافر الى الاتحاد السوفيتي • وأعلن هناك قبوله لهذه المبادرة • وقبل السفر كانت أنا قد رتبت لهذه الزيارة مع السفير السوفيتي فينو جرادوف• وهو صديق • وكانت تربطني به صلة وثيقة • وكان يتردد على بيتي كل يوم اثنين الساعة الحادية عشرة بالضبط • وأخبرت جمال عبد الناصر أن كل شيء قد أعد تماماً • وهم مستعدون • وليس عليك الا أن تذهب لتجد كل شيء في انتظارك • ولكن بعد عودة جمال عبد الناصر قال لي :واحدة من اثنين اما أن يكون السفير السوفيتي فينو جرادوف لم يخبرهم بأى شيء واما انه فعل ذلك ولم يوافقوا على أى شيء • أنا زهقت وقرفت• وقد بقى جمال عبد الناصر في هذه الرحلة الى موسكو أسبوعين • وتعب كثيراً • وأسعفوه بالأوكسجين • ولكن عذابه النفسي كان أقسى من عذابه الجسدى وعاد جمال عبد الناصر يائساً تماماً •• ولابد انه هو أيضاً قد أدار الحوار في رأسه مرة أخرى ، واستعرض هذه العلاقة الطويلة المتشابكة المعقدة المتفجرة المتجمدة مع السوفيت • ومات الله يرحمه دون أن يصل فيها الى اقناع واضح • ربما كان الشيء الذى اهتدى اليه هو انه من الصعب أن يفهم أحد هؤلاء السوفيت • أو الذى فهمه من سلوكهم لم يقنعه ، أو لم يسترح اليه •• فكل شيء : أقله ورد وأكثره شوك وكل شيء عندهم مشروط أولاً ، ومشروط أخيراً •• وأن لم يصرحوا بذلك •• ومطلوب من الزعيم المصرى ، أى زعيم مصرى وطني أن يقبل ذلك والا فلا•• وقد أحس جمال عبد الناصر انه لا يستطيع أن يشارك في عزف اللحن السوفيتي •• حتى لو أعطوه النوته الموسيقيه أو دربوه على العزف لأن هذا يختلف تماماً مع تكوينه النفسي والعقلي ومع مبادئه الوطنيه ومع صدقه وأخلاصه

وكان الرجل صادقاً مع نفسه ، ولم يكن شيوعياً في أيّة لحظة . كما أنني لست شيوعياً ولن أكون . ويحضرني بمناسبة هذا المعنى أنني قرأت كيف يدربون الدب على الرقص .. يقولون أنهم يأتون بالدب ثم يضعونه على صفيح ساخن .. وفي نفس اللحظه التي يرفع فيها الدب بارجله من لسع الصفيح الساخن يعزفون مقطوعة موسيقية .. فيتعلم الدب بمرور الوقت ضبط حركة قدمية مع الموسيقى .. أي أن الدب لكي يتعلم يجمع بين الألم والموسيقى وليست حركات رجليه الا نوعاً من الألم الصامت تصاحبه الموسيقى .. فالموسيقى هي تنظيم للأيقاع الأليم لهذا الحيوان .. والسوفيت عندهم عالم كبير يضعونه في قمة العلماء في علوم الحياة والعلوم الاجتماعيه والسياسيه أيضاً هو : بافلوف .. هذا العالم بافلوف هو صاحب نظرية أسمها نظرية ((الفعل المنعكس الشرطي)) ـ ومعناها البسيط انه يمكن تعليم الانسان أو الحيوان أن يفعل أي شيء اذا دربناه على ذلك .. فاذا أعطينا الكلب طعاماً ـ وهذا رأيه ـ فأن لعابه يسيل .. واذا عزفنا قطعة موسيقيه اثناء تقديم الطعام فأن الكلب يتعود على أن يسيل لعابه عند تقديم الطعام ، ثم عند عزف الموسيقى .. دون أن نقدم الطعام .. وكذلك اذا وضعنا الدب على صفيح ولم يكن ساخناً وعزفنا له الموسيقى فانه يحرك رجليه ويرقص .. أروى هذه النظرية الشائعه عند الروس بمناسبة الوعود والوفاء بها وعدم الوفاء بها ثم الوعود .. وفي استطاعتك أن تستنتج بسهولة ما أردت أن أقول .. أما النتيجه فانه كان من الصعب على جمال عبد الناصر ، ومن الصعب علي أنا بعد ذلك ، أن نرقص مع شعبنا كله لمجرد أن تعزف الموسيقى في الكرملين :

من " أوراق "

الرئيس السادات

الجليد .. يذوب :

بين موسكو والقاهرة :

٧

... وبعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، كانت أمام الرئيس السادات مشاكل عسكريه وداخليه واقتصاديه ومواجهة أمريكا القادرة على الحل .. ولكن الذى لم يره بوضوح في ذلك الوقت ، ومنذ جائزة جمال عبد الناصر ، ذلك ((المنظر)) الجديد للوفد السوفيتي ، وتحركات مراكز القوى ضد مبادرة روجرز مما اضطر معه أن يخفى عنهم جزءا من بيانه الى مجلس الشعب .. وأخذت الصورة تتضح أمامه تماما ، وكان عليه أن يتحرك بحساب وبسرعة حاسمة قاطعة ..

وفي قمة غضبي يقدم السوفييت كما هي العادة بقائمة أسلحة لم نطلبها ولا نريدها ؟ :

... لقد .. كان من المنطقي أن يتجه جمال عبد الناصر الى أمريكا ، كما فعل في خطابه الأخير . وقد جاءت هذه الخطوه بعد عمليات حسابيه ومراجعة لتاريخ العلاقة السوفيتيه المصريه .. وفي نفس الوقت كان يرى موقف أمريكا من أسرائيل وتدفق السلاح عليها ، ويقارن ذلك بالتقتير الشديد عليه ووضعه أمام شعبة في أحرج المواقف .. وقبل ذلك عرف جمال عبد الناصر مساندة أمريكا لأسرائيل بصورة كاملة واضحه لكل العالم .. ويوم تحدد سفر زكريا محيى الدين لأمريكا لمقابلة جونسون في أخر مايو ١٩٦٧ ، سارع الرئيس جونسون بالأتصال بأسرائيل .. وأخبرها أنه في أمكان أسرائيل أن تنقض على مصر وبسرعة . وقد أعترف هو بذلك فيما بعد . وأعترف هو واليهود أيضاً ، أن خطة حرب ١٩٦٧ كلها قد وضعت في وزارة الدفاع الأمريكيه . وأن العسكريين والخبراء الأمريكان قد باركوها . وهم قد باركوها بعد أن تجمعت لديهم معلومات مؤكده أن مصر لن تقوى على فعل شيء . ولذلك تم الأتفاق على ضرب مصر وكل هذه حقائق تاريخيه معروفه . ولكن من المهم أن أرويها لأنها جزء لا ينفصل من الخلفيه التاريخيه لسلوك جمال عبد الناصر بعد ذلك تسبق هذا أيضاً التعبئه العدائيه لأمريكا في مصر وفي المنطقة . ولا شك أن جمال عبد الناصر قد أذكاها وساعد عليها وعلى أستمرارها . والأمريكان يعرفون ذلك . ولن ينسوه . والسوفيت يعرفون له ذلك ، وأن كانوا قد نسوه .. أو يريدون .. ففي عيد النصر في بور سعيد يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٤ وقف جمال عبد الناصر في محطة التعبئة العدائيه ضد أمريكا . ووجه كلامه الى أمريكا وجونسون : أنه أذا لم يكفهم أن يشربوا من البحر الأحمر ، فليشربوا من البحر الأبيض : ولابد أن المراسلين الأجانب قد سألوا عن هذه العبارة التي أثارت الجماهير في بور سعيد وأدمت أيديهم من التصفيق . ولابد أنهم قد وصلوا الى معنى واحد هو : أن جمال عبد الناصر لا تهمه أمريكا .. وأن عليها أن تضرب رأسها في الحائط .. أو — تشرب ماء مالحاً من هذا البحر ومن ذاك البحر أيضاً . والمعنى أنه لا يهمه

ماتفعله أمريكا مهما تضايقت من الحملة العنيفة ضدها . ولم يكن صعباً على أجهزة الاعلام الامريكيه أن تؤلف الى الشعب الامريكي في الكريسماس ورأس السنه هذه التحية من جمال عبد الناصر . بل أن الصحف قد أعلنت بالفعل : أيها الشعب الامريكي نرجو قبول هذه الهديه من جمال عبد الناصر بمناسبة العيد الجديد ، أشربوا مياه البحر الابيض والبحر الاحمر معاً : وليس من الصعب أن نقدر صداها البعيد عند الامريكان الذين يرون في جمال عبد الناصر العدو الاوحد في المنطقه .. يكفي أنه الرجل الذى أدخل السوفيت في الشرق الاوسط ، وهو الذى يتزعم العداء لاسرائيل .. ولا بد أن الشعب الامريكي قد صدق ذلك بسرعة ، لأن لديه استعداد للتصديق ، ولأنهم لا يعرفون حقيقة مايحدث في المنطقة ، ولا الذى يعانيه ، وقد عاناه ، جمال عبد الناصر من السوفيت . أما لماذا طلب جمال عبد الناصر من الامريكان أن يشربوا ماء البحرين الابيض والاحمر ؟ .. فلذلك قصة فقد كان من عادة جمال عبد الناصر وهو يلقي خطابه أن يضمنه آخر الانباء . ولذلك كان يطلب أن تجيء اليه آخر الاحداث المحليه أو العالميه أثناء مواجهته للجماهير . وبذلك يضيف الى خطابه بعداً اخبارياً أو مزيداً من السخونة المطلوبة . وقد فعل ذلك . فقد قدم له على صبرى ، وكان وقتها رئيساً للوزراء . ورقة تقول أن وزير التموين د . رمزى استينو قد استدعى السفير الامريكي ليستعجله في ارسال صفقة القمح المتفق عليها ، فكان رد السفير جافاً ومهيناً لمصر : فثار جمال عبد الناصر واشعل غضب الجماهير . ولكن عندما عدنا الى القاهرة بادر وزير التموين بمقابلة جمال عبد الناصر ليخبره أن شيئاً من ذلك لم يحدث . وأن السفير الامريكي قد جاء بناء على دعوته ، وأنه كان لطيفاً مهذباً . وقال أن المعونة لا يمكن ارسالها قبل موافقة الكونجرس على ذلك أى أنها مسألة اجرائيه فقط : ولم تكن مخاطبة جمال عبد الناصر للرئيس الامريكي نيكسون عملاً مفاجئاً . ربما كان ذلك مفاجأة للروس أو حتى للامريكان . ولكن سير الاحداث العميق الاليم في نفسه يحتم عليه أن يتوجه

الى الامريكان . وكان من رأى جمال عبد الناصر في ذلك الوقت: أن الصورة واضحة تماماً .. فالامريكان وحدهم القادرون على فعل شيء وامريكا في الدولة التي وراء اسرائيل بالمال والسلاح والمساندة الدولية وجاءت بعد ذلك مبادرة روجرز التي قبلها جمال عبد الناصر . وكانت المبادرة تضم نقطتين اساسيتين : الاولى : وقف اطلاق النار تسعين يوماً ، والثانية الانسحاب ورأى جمال عبد الناصر كلمة ((الانسحاب)) تجيء لاول مرة على لسان امريكا . فلم يرد على هذه المبادرة بالرفض او القبول ثم اتجه الى موسكو ، واعلن قبولها . وانفعل بريجنيف قائلاً: كيف تقبل حلاً امريكياً ؟ وكان رد جمال عبد الناصر :ليس امامي الا ان افعل ذلك . فانتم لا تتحركون . وانا لا استطيع ان اضيع مصالح بلدي . وقال جمال عبد الناصر في ذلك الوقت اشياء كثيرة اجد لي مضطراً ان امسك عن ذكرها الان وكان وضعه في غاية الصعوبة . فهو قد هاجم امريكا .. فهل يهاجم السوفيت ايضاً ؟ واذا فعل ذلك فاين يقف في هذا العالم ؟ وعلى اية ارض ؟ ومن الذي يسانده ؟ وكيف يواجه دهشة الشعب وهو يراه حائراً بائراً بين الشرق والغرب .. بينما اسرائيل تفعل كل ما يداها من عدوان وحرب اعصاب وشوشرة وتشهير بمصر .. بحكومتها وشعبها وروحها المعنوية وما تعلنه عن استعدادها للقتال ؟ وفي لحظة اليأس التام على مائدة المفاوضات يعلن القادة السوفيت : اننا اقتنعنا بوجهة نظرك . وسوف نقدم لكم هذه القائمة بالاسلحة .. وهو اسلوب سوفيتي يحدث في المفاوضات . وهو يذكرنا بما يحدث لسباحي المسافات الطويلة عندما يصلون الى الشاطيء ويقدم لهم الناس المشروبات والورود ويأخذونهم بالاحضان . انه شعور طيب ولا شك لولا ان هؤلاء السباحين قد انهكهم البحر والموج . فليسوا قادرين على اكل او شرب شيء او حتى ان يردوا هذه التحيات الحارة الصادقة او حتى ان يقبلوها .. شيء كهذا قد اصاب جمال عبد الناصر في ذلك اليوم .. لولا انه لم يكن فائزاً في سباق المسافات الطويلة .. وانما دفعه اليأس الى اي

شاطيء : في ذلك الوقت كنت نائباً لرئيس الجمهوريه • وقد جمعت اللجنه السياسيه بمكتبي في مصر الجديده • وعرضت عليهم الموقف • وأوصينا بالاجماع برفض مبادرة روجرز : وعندما وصل جمال عبد الناصر الى المطار فوجئت بانه قد قبلها واعلن ذلك امام قادة الكرملين • وقلت : ماذا جرى؟ لقد رفضناها ، وانت قبلتها •• كيف حدث ذلك ؟ ولما شرح لي الموقف تماماً ايقنت انه على حق • وانه معذور تماماً في هذا القرار • فقد جاءت كلمة ((الانسحاب)) في مبادرة روجرز • وهي خطوة مشجعة • وعلينا ان نمشي وراء امريكا حتى البيت الابيض او حتى البنتاجون • انها بارقة امل •• واثناء وجود جمال عبد الناصر في الكرملين حدثت ((مذبحة الفانتوم)) •• فقد اسقطت وسائلنا الدفاعية ١٢ طائرة اسرائيليه • والفضل في ذلك يرجع الى تكتيك جديد نفذه رجال الصواريخ بقيادة محمد علي فهمي ، رئيس الاركان الان • ورغم ان هذا الحادث يفرح القلب حقاً ، فانه في ذلك الجو القاتم الملبد باليأس من موسكو لم يكن له فعل السحر او اي فعل • فالذى يريده جمال عبد الناصر شيء ، والذى يريده السوفيت شيء غير الذى نريده نحن وعاد جمال عبد الناصر وقد اتجه بآماله الى الولايات المتحده • لعل وعسى • وجمال عبد الناصر رجل مناور • وهو لذلك في حاجة الى ارض واسعة لكي يتحرك عليها • ولكن اذا ضاقت الارض تحت قدميه • اصبح عاجزا عن الحركة تماماً • وقد ثبتت قدرته في المناورة ايام العدوان الثلاثي علينا سنة ١٩٥٦ • اذن لقد قبلنا المبادرة • وبدأنا اقامة حائط الصواريخ وبناء مواقعها •• وكان اليهود قد اعلنوا قبولهم لمبادرة روجرز • وكان ذلك اعتماداً على ان مصر ، ككل الدول العربيه ، تقول لاى شيء : لا •• وان اسرائيل اذا قالت : نعم •• قالوا هم : لا •• وعكس هذا صحيح ايضاً ، وكانت مفاجأة ان وجدوا عبد الناصر قد وافق على المبادره • وجاءت هذه الموافقه صدمة •• احدثت ارتباكاً في سياستهم • ولم يسكت اليهود طبعاً • وانما استخدموا كل الضغوط المستطاعة • فليكسون في ايديهم وروجرز ايضا •

وراحوا يشككون في قرار مصر ، واستغلوا الخلاف المستحكم بين مصر وروسيا وبسرعة وجهوا اتهاماً الى مصر : لقد خرق المصريون مبادرة روجرز : اما كيف حدث ذلك ؟ .. فهو اننا قد حركنا الصواريخ . اين وقع ذلك ؟ .. على ارضنا . ولذلك فالمصريون قد خرقوا الاتفاقيه التي تنص على وقف حرب الاستنزاف : شيء عجيب انها قصة الذئب والحمل .. تلك القصة التي نرويها للصغار على انها نكته ، ويعرفها الكبار على انها الادعاء الكاذب .. فالذئب يشرب من اعلى النهر .. والحمل يشرب من اسفل النهر . والماء يجيء من ناحية الذئب ، ويتهمه الذئب بانه هو الذى عكر عليه الماء : وكان من السهل جداً ان يصدق الامريكان ذلك . فالرأى الامريكي معبأ تماماً ضدنا ، وكلمة واحدة تكفي لتهييجه على مصر والمصريين وجمال عبد الناصر اذن فقد خرقنا مبادرة روجرز . ومعنى ذلك اننا لا نصدق في كلمة او في وعد ، ولا ننفذ اى اتفاق ابرمناه او وعدنا به مع اى احد . انهم العرب كما قلنا لكم .. الى اخر ما اعتاد اليهود ان يقولوه ، وما اعتاد الامريكان ان يسمعوه ويقرأوه في صحفهم .. ولذلك كانت مهمتي شاقة جداً بعد ذلك عندما حاولت ان اغير هذه الصورة . فلا اعد الا بما اقدر على الوفاء به . ولا اقول الا صدقاً حتى اصبحت الثقه التامة هواء يتنفسه الجميع في مصر وفي امريكا وفي العالم العربي وفي الغرب . ولم يكن ذلك امراً هينا ولا سهلاً .. كما سأروى ذلك فيما بعد . وفجأة مات جمال عبد الناصر يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ . وفي نفس السنة مات ايضاً السفير السوفيتي فينوجرادوف . وكان من اكفاء الدبلوماسيين السوفيت واقدرهم فهما لمصر وللشرق الاوسط واكثرهم حرصاً على ان يفعل شيئاً باقياً لبلاده ولنا . وكان موته خسارة ايضاً . وتتابعت الاحداث بعد ذلك بسرعة خاطفة وبحدة وعنف . وتشابكت خيوط وتعقدت . ووجدت نفسي وبلدى امام اشياء جديدة وجاءت الدول تعزى في وفاة جمال عبد الناصر . وارسل الامريكان ريتشارد سون على رأس وفده وهو سفيرهم في بريطانيا الان وواحد من الامع نجوم الحزب الجمهورى ولم تكن بيننا وبين الامريكان علاقات دبلوماسيه بعد حرب ١٩٦٧ . وكما هو معروف سقطت انا قبل سير الجنازه واعطيت خمس حقن وانا في مجلس قيادة الثوره . ولما افقت من اثر هذه الحقن .. سألت ان كان جمال عبد الناصر قد دفن ، فقد

كنت أخشى على الجثة من انفعال الجماهير • وبعد ذلك يصعب علينا دفنها • وقيل لي ساعتها : لقد دفنت منذ عشر دقائق • وجاء الوفد السوفيتي برياسة كوسيجين • ولم أكن أعرف بالضبط ما الذى يدور في رؤوس الروس في ذلك الوقت • فقد كنت مشغولاً تماماً بالمهمة الجديدة ، وأرى أمامي أعباء ثقيلة وطريقاً صعباً طويلاً • والصورة التي أمامي أليمه وسوداء • والله سبحانة وتعالى هو القادر على أن يعينني على ما أنا فيه •• ويوم الجنازه أقيم سرادق جلس فيه الرؤساء والملوك من مثل الملك حسين والامبراطور هيلاسلاسي وغيرهم • بينما جلس كوسيجين في غرفة داخليه معنا في مجلس قيادة الثورة ولابد أن ((المنظر)) كان غريباً في ذلك الوقت •• أقصد منظر الروس قبل وأثناء وبعد الجنازه • ولكن لم أدرك ذلك بوضوح • وأن كنت أسترجعت الصورة فيما بعد ، فعرفت المعنى • وكان هذا المعنى خافياً على تماماً • وأن كان كوسيجين قد قال كلاماً ممتازا • وقد أكد في كل الذى قاله لي أن الاتحاد السوفيتي شديد القلق على مصر • ويبدو أن هذا كان شعور الجميع • فحتى ريتشاردسون عندما رجع وكتب تقريره سجل فيه قلقه على مصر • والانجليز أكدت لهم مخابراتهم أن الوضع في مصر خطير • وأنه قابل للانفجار في أية لحظة وكلهم على اختلاف بينهم قد اتفقوا على أنني لن أبقى في مقعدى هذا أكثر من أربعة الى ستة أسابيع •• وحتى هذا تقرير مبالغ فيه : ولا أزال أذكر عبارات كوسيجين في ذلك الوقت كانت رقيقة مشجعه •• رغم شعوره العميق بالقلق على مصر •• فقد قال لي : أن روسيا سوف تساعدكم • ومصر يجب أن تستمر في السياسة التي انتهجتها • وسوف نبقي أصدقاء لكم •• ثقوا في ذلك تماما ولكن كان واضحاً جداً أن كوسيجين والوفد المرافق له كانت له ((هيئة)) و (منظر) مختلف تماماً على الجميع • ولكن لم أتبين ذلك بوضوح • وأن كان بعض المؤرخين يقولون : أنه في هذه الجنازة قد أصبح كل شيء واضحاً تماماً لقد جاء الروس ليواجهوا الرجل الذى ليس رجلهم • وأدهشني ذلك • واسترجعت علاقتي بالسفير فينوجرادوف ، أنها علاقة طويلة • ومنتظمه • عشرة طويلة • وقد عرف الرجل كل مايدور في رأسي • وعرف تفكيرى وما أتمناه لبلدى • ولا بد أنه

قد نقل ذلك الى قيادته • ومن المؤكد انهم يعرفونني جيداً فكيف لم يقنعهم ما بلغهم من سفيرهم في القاهره بانني رجل وطني • مصرى صميم • ما في ذلك شك • وهذا هو ما يحير اى انسان عندما يقلب في هذه الاوراق الغريبه العجيبه على شجرة العلاقات المصريه السوفيتيه •• غريب جداً بعد ثلاث سنوات كامله من صداقتي للسفير السوفيتي ، الا يفهم السوفيت حقيقتي • او لعل الرجل يقول لهم ولا يسمعون منه •• ربما كانت لهم عيون اخرى ترى • والسنه اخرى تقول وتسجل لهم •• فالروس شكاكون بطبيعتهم ولا يصدقون اكثر الناس اخلاصاً لهم • وتندهش بعد ذلك : اذن من الذى يصدق قوله ؟ شيء مخيف حقاً : فانت لا تعرف ما معنى هذا الذى تراه هل هم جادون عندما يضحكون ؟•• هل هم ضاحكون لك او ضاحكون عليك ؟•• وكانت مشكلتي الكبرى : مصر • والحالة لم تكن تسر حبيباً ، وانما كانت تسر العدو وتسعده • وتجعله يفعل بنا ما يشاء عندما يشاء واذكر انه قبل وفاة جمال عبد الناصر بوقت قصير فوجئت بجمال عبد الناصر يتصل بي ويقول تعال نذهب الى القيادة • وذهبنا الى القيادة في مدينة نصر في العباسيه • وكان اجتماعاً كبيراً استغرق سبع ساعات • ولم يكن من السياسيين غير جمال عبد الناصر وانا ، والباقون عسكريون مصريون هم قادة الوحدات ، وخبراء عسكريون سوفيت • وعلى الحائط امامنا وضعت خطة العمليات • وكان اسمها ((الخطه ٢٠٠)) • وكانت هذه الخطه كامله تماماً ١٠٠٪ وكانت خطة دفاعيه • لانه من الضرورى قبل ان نقوم باى هجوم ان تكتمل لدينا خطة دفاعيه • وتحدث كل قائد مصرى • وتحدث كل خبير سوفيتي • والجميع قد ايدوا الخطه • واكدوا سلامتها • وكان جمال عبد الناصر قد شعر بانه سوف يموت ، فاراد ان يرى الاخرى مرة مدى قدرة البلد على الدفاع • اذن من الناحية العسكرية كان هذا هو الوضع في اخر تطوراته • ومن الناحيه السياسيه كانت المصائب امامي كثيرة لا اول لها ولا اخر • تزداد تعقداً وتهدد بالانفجار فاليهود قد اثاروا امريكا والعالم ايضاً وشككوا في صدق قبولنا للمبادره • ولكن لم تمض ايام على قبول

المبادرة حتى صورنا أمام العالم بأننا نستعد للعدوان بتحريك الصواريخ من أرضنا الى أرضنا • ومعنى ذلك أن اسرائيل لا تستطيع أن تنسحب رغم أنها وافقت على المبادرة التي تنص على ضرورة الانسحاب وكانت صورة مصر الداخلية أمامي سليمه • وصورتنا العسكريه الدفاعيه سليمه ، الى أن نفكر في خطة هجوميه • أما من الناحيه الاقتصاديه فنحن في أسوا حال • حتى هذا التعبير لا يفي بالمعنى الذى أراه وأحسه ، ويحزنني ذلك وقد استدعيت حسن عباس زكي • فكان رأيه أن مصر في حالة افلاس تام • قلت له والحل ؟ وكان رده هو التعبير المصرى الذى يقول : أخذ طاقية هذا واضعها على رأس ذاك •• أى أن الذى يستطيعه ليس حلا علميا ، وانما هو أن يقوم بنوع من ((الحيل)) الاقتصادية ليسكت الناس • أى ليس عنده حل • فالذى وصلنا اليه ليس هناك ما هو أدنى منه •• نحن اقتصاديا في الحضيض •• مع الاسف الشديد • وانتهت أو كادت أيام مبادرة روجرز التي بدأت في ٨ أغسطس سنة ١٩٧٠ : وواجهني موقف جديد في شهر نوفمبر • وجمعت ما يمكن أن يسمى ((بمجلس أمن قومي)) وكان يضم كل مسؤل في الدوله وفي مقدمتهم : د محمود فوزى رئيس الوزراء ومعه حسين الشافعي نائب رئيس الجمهوريه وشعراوى جمعه ومحمود رياض نائبي رئيس الوزراء وجلسنا في قصر الطاهرة • وانتهينا الى ضرورة أن نمد مبادرة روجرز تسعين يوما أخرى • لأننا اذا لم نفعل ، كان علينا أن نستأنف حرب الاستنزاف • نضربهم ويضربون مصر في أعماقها ، ورغم أن لدينا صواريخ سام ٣ • فان أهدافنا في الصعيد ما تزال عاريه • ومن الممكن أن يعاود اليهود نسف المنشآت الحيويه في جنوب مصر • كل هذا ممكن • اذن لا مفر من تحديد المبادرة حتى نستعد ، أو حتى نرى ما الذى سوف يفعله الأمريكان وكانت مدة المبادرة الثانيه تنتهي يوم ٤ فبراير سنة ١٩٧١ •• علينا قبل نهايتها أن ننظر ما الذى يفعله الروس حتى نتمكن من الدفاع عن الصعيد •• لأن الموقف ما يزال كما هو ، فاليهود يستطيعون أن يقفزوا من رأس محمد في جنوب سيناء الى أى مكان في الصعيد •• بطائراتهم ، ولا حاجه لها الى ظهور القمر في الليل ، كأنها تستطيع أن تضرب وتعود وبسهولة جدا •• وحدث شيء آخر

جعلني انتبه الى ما كان خافياً علي ، وغائباً عن بصيرتي . ففي شهر ديسمبر الغيت الحراسات . وقد احدثت الحراسات في مصر من الهوان والظلم وامتهان الانسان للانسان ما نعرفه جميعاً . وهو قرار داخلي . ولكن ادهشني جداً ان قرار الغاء الحراسات قد اغضب السوفيت . ولا بد ان اعيد هذه العبارة الاخيره وارتب دهشتي التي لم تنته : لقد كانت في مصر حراسات . ثم رأيت لاعتبارات قوميه وانسانيه ان الغي هذه القرارات المهينة . وهو قرار داخلي . ومن حقي ان اصدره . فغضب الروس لذلك غضباً شديداً . كأنني فرضت الحراسات في روسيا والغيتها بعد ذلك : عرفت فيما بعد ما الذى اغضبهم فقد كان واحد من مراكز القوى في الخارج عندما صدر هذا القرار . واقنعه السوفيت ان هذا القرار يعتبر ((ردة)) في الاشتراكيه ، او ((انتكاسة)) للتقدميه المصريه ، او ((كبوة)) وطنيه .. اما انا فقد اتخذت هذا القرار من واقع ما اراه في مصر . فانا كأي طبيب لابد ان يداوى جراح المرض قبل اعداد غرفة العمليات . فانا اريد ان اجفف الدموع . واداوى الجراح لانني اعد نفسي وبلدى لعملية كبرى . هذه العمليه لم تغب عن بالي لحظة فانا مطمئن من الناحية العسكريه على قدرتنا الدفاعيه . ويجب ان نلتفت انفاسنا ، وان نتجه الى الجبهه الداخليه . ونطمئن على سلامة النفوس ، وعلى كرامة الانسان . نعم كرامة الانسان . فانا لا اتصور حاكماً يسمى نفسه حاكماً وطنياً صادقاً ، اذا كان يحكم شعباً من ذوى الكرامة المجروحه ، او النفوس المهينة . نعم كرامة الانسان وكان من المعروف ان قرارات لجنة الاقطاع ووضع الحراسات كانت تصدر كل يوم خميس . وكانت هناك حالة رعب تهز البلد من اوله لاخره . ولا تكاد تصدر هذه القرارات حتى تطول اظافر ومخالب بعض الناس وتنقض في لحوم الاخرين واعراضهم بلا رحمة . مع انهم جميعاً مصريون وفي يوم من ايام صدور قرارات لجان الاقطاع كنت في ميت ابو الكوم عندما سألني الناس : الم تقرأ الصحف ؟ . ولم اكن قرأتها .. فمن عادتي ان اعيد التقليب فيها مساء . ففي الصباح عندى مواعيد كثيره ولكن الناس استعجلوني ان افعل ذلك . ففي ذلك اليوم صدر قرار من لجنة الاقطاع بمركز تلا . وفجأة وجدت لجنة اقطاع تلا قد وضعت تحت الحراسة احسن

الناس في المركز ، وهم جميعاً أهلي . وأنا أعرفهم جيداً . وجميعاً قد وضعوا تحت الحراسه وفصلوا من العمدية .. ولم أنم ليلتي في نفس البلد . والغيت قرار اللجنه . وهو القرار الوحيد الذى ألغي يوم صدوره .. لأنه ظالم وغضب الروس .. وقالوا ذلك لواحد من مراكز القوى كان وقتها في ألمانيا الشرقيه . وعرفت أنهم كانوا يفضلون أن تظل جراح الناس تنزف ، وأن تأكل النار قلوبهم غضباً ، وأن يعتصروا شفاههم مرارة ويأساً .. وعرفت أن هذا هو ((الجو)) المطلوب لمعارك دمويه في مصر .. لولا صدور هذا القرار وغيره من القرارات الانسانيه التي أصدرتها - بعد ذلك - وكان ذلك يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٧٠ . وفي يناير ١٩٧١ ، أى بعد ثلاثة شهور من ولايتي الحكم جمعت مجلس الأمن القومي بشأن تقرير المد الثاني لمبادرة روجرز تسعين يوماً أخرى . وتكلموا قبل أن يجيئوا . ولكن أردت أن أرى كل واحد على حدة . لأعرف بالضبط ما هذا الذى أراه أمامي . لقد كان اتفاقهم غريباً . حتى عندما حاولوا أن يقولوا أنهم متفقون على عدم التجديد . قلت : أذن أسمعكم واحداً واحداً . فمثل هذه القرارات لاتؤخذ هكذا . أنه قرار مصيرى .. ولكني سألت محمد فوزى هل جاءت بطاريات الصعيد ؟ أجاب : ليس بعد : سألت عندك أية معلومات عن متى تصل الينا ؟ أجاب : ربما في فبراير القادم .

قلت يعني مع نهاية التسعين يوماً :

فلم يرد أحد . ووجدت اجماعاً غريباً . فقد كانت لجنة الأمن القومي تضم أكثر أعضاء اللجنه العليا للاتحاد الاشتراكي . ولكن لم أضيع هذه الفرصه والتفت للجميع وقلت : آسف جداً أن أقول لكم انني لاألعب القمار . وإذا كنت ألعب القمار ، فلن ألعب بمصير بلدى . أنا غير مستعد أن أدخل في حرب استنزاف يضيع فيها الصعيد بالكامل .. وتعالت أصوات تقول : ياأفندم انها مسأله كرامة كيف لانحارب ؟ قلت : انها ليست مسأله كرامة . انني على استعداد أن أبتلع كرامتي من أجل حماية الصعيد . أنا موافق أن أعلن محكم نهاية مبادرة روجرز يوم ٤ فبراير . ولكن آسف جداً لا أستطيع بعدها أن أبدأ حرب استنزاف بدأت

أشك • فالذى رأيته ليس مألوفاً • انهم يريدون حرب استنزاف من جديد ولو أدى ذلك الى ضياع الصعيد • أو خراب مصر كلها • ثم انهم متفقون على ذلك • اى انهم اتفقوا قبل أن يجيئوا • وكيف اتفقوا ؟ وما الهدف ؟ وما هي المصلحه ؟ انهم لم يتفقوا فقط • وانما هم قد اتفقوا مما ضدى انا : أصبح كل شيء امامي واضحاً تماماً • وبدأت استرجع ماحدث بتفاصيله الدقيقه • واضع الحادثه الى جوار الاخرى • واسترجع الوجوه ولم يتوقف رأسي عن التفكير وعن العمليات الحسابيه ليلاً ونهاراً • وجاء يوم ٤ فبراير وذهبت الى مجلس الشعب • واعددت خطابي • وكانت العادة تقضي بأن اعطيه لسامي شرف لكي يعده على الالة الكاتبة • وكنت انا وبخط يدى كتبت الجزء الذى اعلنت فيه المبادره المصريه • ولما ذهب الخطاب الى سامي شرف وجده عادياً • ولكني اعلنت في ذلك الخطاب انها الفتره الثانيه للمبادره • وفي نفس الوقت اعلنت انني لن اجددها الا لمدة شهر واحد لكي اضع العالم كله امام مسئولياته وهذا الشهر ينتهي يوم ٧ مارس سنة ١٩٧١ • ولم استشر في هذا القرار احداً سوى د • محمود فوزى رئيس الوزراء ، لا باعتباره رئيساً للوزراء ولكن باعتباره خبيراً دبلوماسياً يمكن الاعتماد على تقديره للامور • وقد استدعيته في القناطر الخيريه وقلت له ما في نيتي • وقال الرجل : هذا رائع : ومن العدل أن اقرر هنا الآن انني منذ ذلك اليوم ازددت يقينا فوق يقين ، من أن الشعب المصرى اقدر بحسه وفهمه وادراكه المباشر للامور ، من كل هؤلاء العلماء والخبراء والدكاتره في السياسه •• فقد استقبل الشعب المصرى هذه المبادره بالحماس الشديد وكان صادقاً ، وبذلك كان هذا الحماس يرجح في مقاييس فهم الامور كل ما قاله ادعياء السياسه وخبراؤها الذين توجوا انفسهم على عرش القيادات الشعبيه ولما فرغت من خطابي هذا ودخلت مكتبي في مجلس الشعب ، وجدت وجوها مقلوبه ، ووجدت لغطاً •• ولم تعجبني الصوره التي رأيتها ولا اللهجه التي سمعتها بشأن هذه المبادره المفاجئه : وكان من بين الوجوه المقلوبه والالسنه امين الاتحاد الاشتراكي في ذلك الوقت • وقد اعلن على مسمع من كثيرين : ليخرج الى الشارع يدافع عن نفسه : يقصدني طبعاً • فقد ظن هو أن الناس

ضد المبادره ونسى انه هو والاخرون ضد المبادره وضد مصالح مصر ، وامن مصر كلها ٠٠ وهذا الشخص نفسه جاءني وقال لي بعدها بيومين : ليس في الامكان اروع مما كان ومما اعلنت على الشعب : اذن اخواننا هؤلاء لم يكن تصرفهم هذا عن ((سوء فهم)) وانما عن ((سوء نيه)) وعن حقد ٠٠ كما انهم لم يفهموا انني عندما طلبت ((اتفاق سلام)) لم اقصد ((معاهدة سلام)) والفرق بين التعبيرين كبير جداً ٠ فالذى قصدته انما هو امتحان للنيات)) ٠٠ اهم صادقون في هذا الذى قدموه لنا ؟ ام هم يلعبون بنا ايضاً ؟ ثم انني قلت لنفسي : ان الولايات المتحده هي الدوله التي وراء اسرائيل ، وعلى ذلك يجب ان انتهز هذه الفرصه ولن اضيع وقتي ٠٠ وقد ادرك جمال عبد الناصر هذه الحقيقه متأخرا جداً ٠ وكانت اتطلع الى ان تتحقق هذه المبادره التي تنص على انسحاب اسرائيل الى المضايق وتترك قناة السويس ٠ وتتجه قواتنا الى الشرق ويتولى في نفس الوقت د ٠ يارنج سكرتير الامم المتحده هذه المهمه بيننا وبين اسرائيل لاتمام عملية الانسحاب سلمياً ٠ وكان في نيتي ان اعطي ستة شهور اخرى اذا سار كل شيء على الصوره التي نرجوها ٠ وينطبق هذا على مصر وعلى الجبهات العربيه الاخرى ٠ وبذلك تحل المشكله بلا قتال ٠ ولو قبل اليهود ذلك لكانوا في وضع احسن ٠٠ ولكن غطرستهم وغرورهم وطمعهم ايضاً قد اعماهم عن هذه الحقيقه اما الحقيقه فهي : انهم تركوا مصر حتى استكملت قواتها تدريبها واستيعابها للسلاح ، وكان النصر عليهم بعد ذلك في اكتوبر ١٩٧٣ ٠ ولحسن الحظ كان اليهود اغبياء في هذا الموقف ٠ وقد امن اليهود بحقيقة اخرى اعمتهم وهي : ان مصر جثلا هامدة ٠ وانها لن يقوم لها قائم بعد نكسة ١٩٦٧ ٠ وان علاقة مصر بالسوفيت سيئه ، فلن يكون لدى المصريين سلاح ، واذا كان لديهم سلاح فمعنوياتهم وياسهم لن يمكنهم من استيعابه ، واذا استطاعوا ذلك فمن اين ياتي المصريون بروح معنويه ليقاتلوا بعد ما اصابهم في كل الحروب التي دخلوها مع اسرائيل ـ هذا المنطق اعمى اليهود ٠ وهذا المنطق قد اعمى مراكز القوى ايضاً ٠ فقد كانوا يرون ان الذى اقوله ليس الا تهريجاً ٠ وان مصر لن تقدر على عمل اى شيء : وفي مايو دعوت مجلس الامن القومي الى بيتي ٠ لم ادعهم كلهم

طبعاً . فهذا بيتي وانا حر ادعو اليه من اشاء . ورفضت دعوة على صبري وشخص اخر ممن كانوا يتآمرون بوضوح . وقلت لهم وهم في بيتي : انا لا احب ان ((اشكالا)) من هذا النوع تدخل بيتي .. وبصراحه وببساطه لا احب ان تتلوث الكراسي في بيتي بجلوس واحد منهما عليها .. اما لماذا حددت مبادره بشهر اخر ينتهي يوم ٧ مارس فلذلك قصة . ففي اواخر يناير اتصل بي محمد فوزى وزير الحربيه وقال لي : الروس ارسلوا مواعيد وصول بطاريات الصعيد . سألته : متى تجيء ؟

اجاب : المركب الاول يصل ١٨ فبراير والمركب الثاني يوم ٢٢ فبراير .. قلت : خير : ولكن المشكله لم تحل .. لان المباد ره سوف تنتهي يوم ٤ فبراير . فاذا وصل اخر مركب يوم ٢٢ فبراير فكم يستغرق نقلها من الاسكندريه الى الصعيد .. ثم تركيب الصواريخ . ؟ اى ان الصواريخ سوف تصل في الايام الاولى من شهر مارس ، ولذلك اخترت يوم ٧ مارس نهاية للمباد ره المصريه الجديده . وهي اول مبادرة سلام يقدمها رئيس عربي منذ ٢٢ عاماً . ثم يعلن في نفس الوقت انه على استعداد لعقد اتفاق سلام مع اسرائيل . وكان ذلك احراجاً عنيفاً لاسرائيل ، التي تدعى انها هي التي تريد السلام ، واننا نريد الحرب رغم اننا لا ننتصر فيها .. الى اخر اكاذيبها .. ثم عدت اسأل محمد فوزى يوم ١٠ فبراير : يافوزى هل تعلم ان الحزب الشيوعي سيعقد في موسكو يوم ٣١ مارس . قال : اعرف ذلك . قلت : احب ان اقول لك لمعلوماتك ان الروس لن يبعثوا باى شيء لا في ١٨ فبراير ولا في ٢٢ فبراير ... لكن اذا جاء شيء فسوف يكون في ابريل .. وفعلا جاءت ايام ١٨ و ٢٢ فبراير ولم يبعث الروس بخبر واحد قبل ذلك .. فالعادة تقضي ان يبعثوا لنا بخبر مبارحة المراكب لميناء اوديسا ووصولها الى الاسكندرية لكي نعد لها الرصيف ونخليه تماماً . ثم يتم الشحن في القطارات ليلاً . وتتجه بعد ذلك الى الصعيد . لا شيء من ذلك قد حدث .. تماماً كما توقعت : ولم اضع وقتاً . واستدعيت السفير السوفيتي وقلت : ابلغ القادة السوفيت برغبتي في زيارتهم في نهاية فبراير .. زيارة سريه . وجاء الرد بالموافقه على ان يكون ذلك

ايام ١ و٢ مارس • وكانت اولى زياراتي لموسكو كرئيس لجمهورية مصر وجلسنا الى مائدة المفاوضات • وكان معي من مراكز القوى شعراوى جمعه وكان معي محمد فوزى • وفي يوم ٢ مارس اجتمعت بالقادة السوفيت : بريجنيف وكوسيجين وبوجورني • وكنت في غاية الانفعال في ذلك الوقت • واعتقد ان هذه الجلسه كانت الجلسه الفاصله بيني وبينهم • وعلى الرغم من انني ذهبت للزيارة بعد ذلك عدة مرات • فاني اعتقد انني لم اقل شيئا جديدا في هذه الزيارات • فكل شيء قلته وعرفته وتاكدت منه في هذه الزيارة الاولى لهم • والاخيره من جهة نظرى • بدأت اشرح لهم القضيه من اولها •• اقول لهم ما الذى فعلته اسرائيل • وما الذى نستطيعه • وما الذى نعجز عن عمله • والصوره واضحه امام العالم كله • انهم متقدمون عنا بعشر خطوات • وهم العداة • ونحن متخلفون عنهم ونحن المعتدى علينا ونريد ان نحرر ارضنا ونسترد ما فقدناه وانتم اصدقاؤنا • تقولون ذلك ونصدقكم • ولكن الذى تفعلونه يجعلنا نشك في كل ما تقولون • تقولون •• نصدق : تعملون •• لا نصدق : انها حيره وقعت فيها ولا اعرف لي شاطئا للامان منكم او شاطئا للامان بكم •• وقالوا في هذا الاجتماع انه لا داعي للحرب • انه لا يوجد الا الحل السلمي • وانا موافق تماما على ذلك • ولكن من الذى يستطيع ان يتكلم عن السلام وهو ضعيف ان السلام لا يمكن ان يتم الا في ظل القوه اذا اصبحت قويا وايقنت اسرائيل ذلك استطعت ان اتحدث عن السلام وانا اهددهم بالحرب • ثم قلت للقادة السوفيت والان دعوني احكي لكم قصة عذاب جمال عبد الناصر • وجعلت اروى لهم كل مافعلوه بجمال عبد الناصر وماقالوه له حرفا حرفا • فقد ظن الروس ان الذى قالوه لعبد الناصر قد احتفظ به الرجل في صدره ومات معه والحقيقه انه مات به : ثم عدت احاسبهم على قراراتهم معي انا ومواعيد ارسال بطريات الصعيد •• الى اخره • واشتدت المناقشه واحتدت • وتدخل بريجنيف وهو دائما رجل صديق ومتفاهم • وقلت له : بدون تحرك عسكرى مستحيل ان يحدث شيء : ولم يكن صعبا ان ادرك حقيقة موقفه هي : ان الروس رايهم كاليهود تماما : اننا جثة

هامدة خامدة .. ولا أمل فينا : ولذلك كان بودجورني لا يجد حرجاً في أن يطلق بعض التعليقات المؤلمه لنا ، والجارحة أيضاً . ولم أطق صبراً على الذى رأيت وسمعت وثرت أمام الجميع .. وعند قمة غضبي هذا ، وكما هي العادة يخرج الروس قائمة تقول : وافقت القيادة السوفيتيه على تزويد مصر بالأسلحة الآتيه .. هم الذين اختاروا الأسلحه .. وليس من بين هذه الأسلحه جميعاً سلاح الردع الذى وعدوا به جمال عبد الناصر من قبل ، ولا من بينها بطاريات الصعيد .. ولا تحديد موعد ارسالها ولا موعد تركيبها .. وكما توقعت .. جاءت هذه الأسلحه التي اختاروها بأنفسهم بعد انعقاد الحزب الشيوعي بأسبوعين . وفي ذلك الاجتماع طلبت أن يسجل في المحضر : اننا مختلفون : وكأنني ألقيت شعلة من النار على الحاضرين فقالوا : الا هذه الكلمة : قلت : انا مصر على ذلك قالوا : الا هذه الكلمه : قلت : أن الحلفاء كانوا مختلفين تماماً ، رغم انهم اتحدوا على هتلر . فهذه الكلمه لا تعني اكثر من انني مختلف مع القادة السوفيتيه . وهنا . وبحكم العادة ، قال القادة السوفيت : سوف نعطيك سلاح الردع اى الطائرة ذات الصواريخ الذى مداه ١٥٠ ميلا .. قلت : عظيم . قالوا : على أن يكون تشغيلها باوامر من موسكو . قلت : انها اذن فرصه نتحاسب فيها . لقد عرض عليكم عبد الناصر ارسال اطقم سوفيتيه .. وعرض عليكم أن يكون قائد الطيران سوفيتياً .. وعرض عليكم أن يدخل في معاهده قلتم : لا .. قال : اذن نجعل المعاهدة حلفاً . اى أن جمال عبد الناصر عرض عليكم أن يدخل في حلف وارسو ؟ قالوا : هذا حدث تماماً . قلت : انا ارفض طائرة الردع هذه : وكانت اكبر غلطه ارتكبها السوفيت في هذا الاجتماع .. ثم ختمت حديثي العنيف جداً معهم بقولي : احب أن اقول لكم حتى لا تغلطوا هذه الغلطه مستقبلاً .. ليس في مصر الا قرارى انا وقرار الشعب وارفض أن اتلقى هذه الاوامر من اى مكان . وهذا الذى تطلبونه مني لا تفعله امريكا مع اسرائيل .. فان اسرائيل لم تستأذن امريكا في ضرب اعماق مصر ومنشآتها وامريكا تمد اسرائيل باحدث الاسلحه . وكلها معروفه . وانتم لديكم احدث الاسلحه وهي منشوره في الكتب . واستطيع أن ارويها لكم الآن اذا اردتم . فلديكم

أسلحه حديثة متطوره جداً .. ورجعت الى مصر بعد أن أصبح كل شيء واضحاً تماماً .. وقد حصلنا على بعض السلاح ، ولا أحد يرفض المزيد من السلاح . لاجمال عبد الناصر ولا أنا ، فكل سلاح هو اضافة قوة . أيا كانت هذه الاضافه : ولكي أكون أكثر وضوحاً فقد عدت من موسكو والصورة في عيني وفمي أذني هكذا : لم أكن رجل موسكو ولن أكون . فقد كانوا يرون أنني ((الرجل المرحله)) أو ((رجل المرحله)) وبعدها يجيء آخر ، يجيء واحد من مراكز القوى . ولذلك تسللوا الى كل المراكز القياديه في الاعلام وفي الصحافه وفي أماكن كثيره من مصر . وكل شيء يمشي بطريقه منتظمه أستعداداً لهذا اليوم ولهذا الرجل .. أي للرجل الآخر الذى ليس أنا : وجمعت اللجنه العليا التي أشتركت معي في قرار مد المباده في يناير الماضي . وكان ذلك في القناطر الخيريه في بيتي . وقلت لهم : تعالوا أسمعوا ماجرى في موسكو . وعرضت عليهم الصورة بجميع أبعادها وألوانها . وكان د . محمود فوزى وحسين الشافعي . ومن الاتحاد الاشتراكي شعراوى جمعه وعلي صبرى وضياء داود .. وغيرهم ، وأعطيت الكلمه لمحمد فوزى . فوصف أسلوبي في الحديث مع الروس فقال : أنني شرحت الموقف وشرحت الروس ـ بتشديد الراء : وخرجوا من عندى . وعرفت أنهم التقوا بعد ذلك وقالوا : كيف يرفض أسلحه الردع ؟ .. كيف لا يقبل أمر موسكو في تشغيلها ؟ .. أن مصر دولة صغرى مهزومه .. وروسيا دولة كبرى .. ما الذى يظنه في نفسه أو ما الذى يراه في مصر التي أنهارت أمام اليهود ؟ .. ولم يجرؤ واحد منهم أن يجاهر بهذا الرأى أمامي .. والا لوضعته في مكانه وحجمه وصورته الحقيقيه أمام الشعب ، وقضيت عليه نهائياً . ولكنهم كانوا يهمسون بذلك بعيداً عني .

ولكن هذا الوضوح لكل شيء أمامي جعلني أتحرك بخطى ثابته . وأحسب كل شيء أعمله . فالموقف خطير . وبعد ذلك بوقت قصير جاء ما يفيد أن روجرز يريد مقابلتي . فوافقت على ذلك . فغضب الروس . مع أنني عندما قبلت زيارة روجرز كان ذلك تصرفاً عادياً . فهو رجل قدم مبادرة السلام . وأنا قدمت مبادرة سلام . وهو يرغب في السلام أو دولته من ورائه ترغب في ذلك ، وأنا أول رئيس عربي قدمت مبادرة سلام . وأنا جاد وصادق . وشعبنا يريد ذلك عن أيمان بالسلام

الذى سيؤدى الى رفع الظلم عنه وعن الشعب الفلسطيني • كل ذلك ليس فيه اى شك • وعرفت مراكز القوى بغضب الروس ، ولكني لم اشعر بذلك بوضوح • او انشغلت تماما عن متابعة مثل هذا القرار العادى جدا • ولم ادرك الا فيما بعد عمق الغضب الروسي ، وترديد مراكز القوى لذلك في كل مكان • • في هذه الاثناء دخلنا في عملية الوحدة بين مصر وسوريا وليبيا • وكانت فرصة لمراكز القوى لكي تفتح معركه فاصله قاضية • • اى تفصلى بيني وبينهم وتقضي على انا في النهاية ؟ • • • •

من " أوراق "
الرئيس السادات (١٠٤)

الجليد .. يذوب :

بين موسكو والقاهرة :

٨

وهذه حلقة من سوء فهم السوفيت لشعب مصر ، وبالفتهم في تقدير وزن وحجم الرجال الذين اعتمدوا عليهم .. فهل تعلم السوفيت من ذلك شيئاً ؟ وهل غيروا من طبيعتهم المتشككة في كل شيء وكل الناس ؟ ..

أن الرئيس السادات في ((أوراقه)) التي يسجل فيها جانباً خطيراً من التاريخ المصري - عبرة وعظة ومادة للتأمل - يجعلنا نقترب من ذلك برفق وبصيرة وصراحة وواقعية ..

فجأة جاء بودجورني يطلب مقابلة مع مصر ؟ :

وفي الأشرطة المسجلة لمراكز القوى بعد ذلك اعترفوا انها ((بداية النهاية)) .. اى بداية نهايتي انا . وانني اقترب منها بشدة . وانه لم يبق امامهم غير خطوات . واخذوا جميعا يتقاربون ويستعجل بعضهم البعض ثم حانت الفرصة التي ستجعل النهاية المحتومه شيئا مؤكدا .. فقد كانوا جميعا يتوقعون - هم والروس والامريكان والانجليز - ان حياتي لن تطول في ايديهم اكثر من شهر او شهر ونصف . وفي تقديرهم انني رفضت ان اتلقى اوامرى من موسكو .. وهذه غلطة كبرى في نظرهم ، اذ كيف ترفض دولة صغرى منهارة كمصر ان تأتمر بما تمليه دولة عظمى مثل روسيا .. ثم هذه المرة التي اتممت فيها الاتفاق في بني غازى مع الرئيس الاسد والقذافي على الوحدة بيننا .. كان من الضرورى ان استأذنهم - اقصد مراكز القوى - او استأذن اللجنه العليا . فاذا عرضته على اللجنه العليا رفضوه .. ورفضوني ايضا . وفي ذلك قضاء على .. او ان لم يكن قضاء على فهي فرصه لكي اتعلم على ايديهم درسا لا انساه . وبعد ذلك اعرف الحقيقه الجديده : انهم اصحاب اليد العليا والسلطه ، وانهم قادمون وانني ذاهب ، او كان من المفروض ان اذهب منذ وقت طويل . وانني اذا كنت قد بقيت في الحكم اكثر مما كان مقدرا لي . فالفضل يرجع اليهم . وانهم لذلك يستحقون مني الشكر وعظيم الامتنان : ثم دعوتهم عندى في القناطر الخيرية وتناقشنا اكثر من خمس ساعات ، ولاحظت انهم في هذا الاجتماع كانوا متفقين قبل مجيئهم . تماما كالاجتماع السابق في يناير الماضي . اما هذا الاجتماع فقد كان في ابريل مع فارق واحد : ان اجتماعهم هذه المرة كان قد تحول من مجرد اجتماع عادى الى مسرحية قد رتبت فيها الادوار . فكل واحد اخذ له موقفا خاصا وجانبا . وكلامهم كان جميلا معسولا . ورأيت امامي عملا مدروسا . وحاولت ان اعرفهم اكثر . وان اعرف ابعادهم بمنتهى الوضوح . فالموقف لم يعد يحتمل الغموض او السكوت . ورأيت ان نأخذ الاصوات وقلت : اذن نأخذ الاصوات . واخذنا الاصوات . وجاءت النتيجه ٥ الى ٣ .. والثلاثه هم د . فوزى وحسين الشافعي

وانا .. اما الخمسه فهم : شعراوى جمعه ولبيب شقير وضياء داود — وعبد المحسن ابو النور والفريق فوزى . ولم يكن شعراوى جمعه عضوا في اللجنه العليا وانما اضيف اليها بعد ان اخرجنا علي صبرى منها بسبب فضيحة الحقائب الكثيرة جدا التي اتي بها من موسكو . واصبح شعراوى جمعه عضوا في اللجنه العليا وان لم يكن عضوا منتخبا . ثم قال شعراوى جمعه : ولكن ليس لي صوت لانني لست عضوا . فقلت : اعرف ذلك وانما اردت ان اتبين وجهة نظر الجميع . وهذا يكفي . وكانت السعادة تغمر هؤلاء الخمسه . وراوا في ذلك انتصارا . ووجدوا في صمتي نوعا من الهدوء الذى يسبق العاصفه التي ستلقي بي الى النهاية التي يتوقعونها ويدفعون الاحداث اليها . وتوقعوا طبعا ان ابعث الى سوريا وليبيا واقول لهما : ان الاتفاق قد فشل لان المؤسسات عندنا قد رفضته وانني لذلك شديد الاسف على كل ما حدث : ولم افقد اعصابي . وانما اتجهت اليهم قائلا : ان هذا الاجتماع قد طال ، وفاتنا ان نتناول الغداء . فهيا بنا قبل ان يبرد الطعام . ولم اكن في حاجة الى ان اتلفت ورائي لارى غمزاتهم ولمساتهم .. ولا اللمعان في عيونهم يحمل التهنئه ويستعجل النهاية العظيمه لمؤامرتهم ضدى .. ثم التفت لشعراوى جمعه وقلت له : يا شعراوى يجب ان تدعو اللجنه المركزيه يوم الاحد القادم لنعرض عليها الامر واتجاهاتنا وكل ما قررناه : ولكن واحدا منهم احس كان ثعبانا لدغه فصرخ قائلا : ولماذا اللجنه ؟ .. لماذا نعرض خلافاتنا على اوسع نطاق ؟ . انه لبيب شقير . قلت : لابد ان نذهب الى اللجنه المركزيه هذه هي الاصول . وهي الاسس . واذا نحن اجتمعنا كلجنه عليا . فان هذه اللجنه العليا هي ((مكتب)) اللجنه المركزيه . وهي صاحبة السلطه . يجب الا ننسى ذلك : ودعوتهم الى الطعام . ولم يذق واحد منهم الطعام طبعا فقد انسدت نفوسهم . وبدلا من ان ينهوا المعركه ، فوجئوا بانني استدرجتهم الى مجال اوسع ، وفتحت عليهم جبهه جديده ومعركه لم تكن في حسابهم وخرج هؤلاء السذج وتصوروا انني لا ادرى ما الذى يفعلونه . مع انني كنت

اتعقبهم تماما • وسارعوا فارسلوا مندوبين الى جميع اعضاء اللجنه المركزيه في الاقاليم • ورتبوهم وجهزوهم ولقنوهم ماذا يقولون ، واذا لم يقولوا •• فماذا يفعلون واذا لم يفعلوا فما هي الشائعات التي يطلقونها في كل مكان فقد كانوا يعتقدون ان القوة الاساسيه لهم في الاتحاد الاشتراكي • تماما كما تصور السوفيت ان — هؤلاء هم القادرون على عمل كل شيء في مصر ، ومن بين قدراتهم الاطاحه بي في اربعين يوما على اكثر تقدير : وكل هذا معروف • ولكني حريص على روايته لكي ابين الان ، وفيما بعد كما سنرى ، دور السوفيت في هذا كله ولابد ان السوفيت ، مثل كل الدبلوماسيين ، في مصر ، قد سمعوا بما جرى في القناطر • وعرفوا من رجالهم ما الذى قررته عندما دعوت اللجنه المركزيه • ولابد انهم يرقبون الموقف ويلقون عليه الضوء ويمدونه بالتوجيهات والنصائح والمزيد من البنزين ليزداد الموقف اشتعالا • ويتسلم السلطة •• رجالهم • فلم يكن ترقب السوفيت سلبيا ولا كان دورهم هو دور المتفرجين على مسرحية لاتعنيهم • وانما كان انتظارهم ايجابيا مفرضا • ما في ذلك شك • ولابد ان الروس سمعوا بما حدث في اللجنه المركزيه • وكيف انني طلبت منهم واحدا واحدا ان يدلي برايه • وكيف انهم قد اتوا ببعض الاعضاء يحدثون ضوضاء ولغطا ويدقون الارض باقدامهم • وعرضنا على اللجنه المركزيه كل ما دار بيننا وتحدث علي صبرى وضياء داود •• وعرفت اللجنه المركزيه بكل ما حدث وبالتصويت على القرار الخاص بالموافقه على اتفاقيه الاتحاد مع سوريا وليبيا • وطلبت الى اللجنه المركزيه : ما رايكم الان وقد عرضنا عليكم كل شيء • فلا يبقى الى ان اعرف التصويت على ذلك واحدا واحدا •• وتنبه شعراوى جمعه الذى كان محركا لكل شيء ، وليس علي صبرى ، الى ان الموقف سوف يفلت منه • والى ان التصويت لن يكون في صالحه • فاشار الى الذين يدقون الارض باقدامهم ان يتوقفوا — وانصاعوا له وجمدت ارجلهم • فلم نعد نسمع لهم صوتا • ثم اتجه ناحيتي ليقول لي : نحن نفعل لك ما تريد • هل تريد لجنة فرعية ؟ موافقون وبعد ذلك نؤجل الجلسه • ووجدت انهم خسروا هذه المعركه • فوافقت على تاجيل الجلسه • ووافقت على تشكيل لجنه فرعيه •• ومن الغريب انني ذكرت لهم قبل

ذلك يوم اجتماعنا في القناطر : احب ان اقول لكم شيئا هاما جدا . ان هذا الاتفاق الذى صوتم ضده لن يسقط بهذا التصويت . ولذلك يجب ان نرجع الى اللجنه المركزيه .. ليس هذا هو الذى اريد ان اذكركم به . ولكن احب ان انبهكم الى ان هذا الاتفاق مكتوب بخط جمال عبد الناصر . وان هذا اتفاق على اتحاد .. وليس الوحدة الاندماجيه . فلن نكرر ما حدث بيننا وبين سوريا قبل ذلك .. ولهذا فانه اتحاد بين دول عربيه او بين جمهوريات . ثم ان جمال عبد الناصر قد عرض هذا الكلام وهذا التصور في ليبيا . وكان من المقرر ان يسافر من ليبيا الى دمشق . وهذا كله تعرفونه . وسمعتموه من جمال عبد الناصر .. في تلك الليله كانوا محاصرين الاذاعه . وكان هؤلاء الناس لا سند لهم في ذلك الوقت الا الاتحاد الاشتراكي واللجنه العليا واللجنه المركزيه .. هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى كان سندهم الاتحاد السوفيتي . وكان سندهم الوحيد طبعا . ومن الضرورى ان اؤكد ان الاتحاد السوفيتي كان وراء ذلك ويباركه . وانني كنت ، ولا ازال ، على يقين من ذلك .. وعلى يقين من استعداد السوفيت لمساندتهم ومساعدتهم بغير حدود .. هؤلاء الناس لم تكن لهم ارض يقفون عليها ، لا سند شعبي ، ولا جماهير . ولكني كنت اعرف الارض الصلبه التي اقف عليها ، والمجال الوطني الذى اتحرك فيه .. وقررت ان استدعي السفير السوفيتي الى القناطر وان اجلس معه في نفس المكان الذى جلس فيه ((رجال السوفيت)) في اللجنه العليا . وكان ذلك في شهر ابريل وكانت عندنا بعض المشاكل مع السوفيت . تناقشت معه بشأنها . وانتهيت فيها الى رأى وقلت له : لعلك سمعت عن كل الذى جرى اخيرا . فقال : بلغني بعض الذى جرى .

فقلت : بل بلغك كله وبتفاصيله .

فقال : ان السفراء الاجانب يسألونني عن حقيقة ما حدث ..

فقلت له : ساحكي لك ما جرى . وان كانت هذه من صميم شئوننا الداخليه . ولكن لاننا اصدقاء فمن المناسب ان اطلعك على حقيقة الامور . ولانني حريص على هذه الصداقه ، فهي صداقه بين دول ، وليست بين اشخاص وهي تتعلق بمصالح

الملايين ، وليست بمصالح الافراد عندنا وعندكم . ولم ينطق السفير السوفيتي . وعدت اقول له: اطلب منك أن تبلغ القيادة السوفيتيه بريجنيف وكوسيجين وبودجورني هذا القرار . وانا سأطلعهم على هذا القرار قبل تنفيذه حتى لا يسيئوا فهمه . وحتى لاتلتقطه الدول الغربيه وتبالغ في مدلوله على كل حال . لقد اتخذت قرارا . وارى من الضرورى أن اطلعكم عليه . وعلى الرغم من انه قرار داخلي يخص مصر ، فأن مقتضيات الصداقه تحتم علي أن اطلعكم عليه . ولم يشأ السفير السوفيتي أن يسألني ما هو هذا القرار وانتهزت الدهشه العميقه والحيرة التي غمرته . فاطلت في الصمت . ورفع الرجل رأسه يستعجل سماعه مني ، لعلى اخفف عنه هذه الحيره . قلت : اما قرارى فهو : لقد قررت تصفية على صبرى وابعاده تماما عن القيادة السياسيه ولكن اكون واضحا اكثر من ذلك فانني اقول لك .. انني اسمح ((بالخلاف)) في الرأى ولكن لا اسمح ((بالصراع)) في السلطه .. اسمح بأن يختلف الناس ، وأن يكون هذا الخلاف من اجل الصالح العام .. ولكن الذى رأيته وعلى يقين منه الآن ، ليس شيئا من ذلك .. وانما هو استدراج الى هاويه . او استدراج الى حافة الهاويه . وهذا مالم اسمح به ولن اسمح به .. وسألني السفير السوفيتي : ومتى ستتخذ هذا القرار ؟ قلت : ليس بعد ولكني حريص على صداقة روسيا .. ثم أن هذه الصداقه لا اظن انها سوف تتأثر بذهاب واحد من رجالها .. او رجلها - كما ستقول صحف الغرب - وانا اعلم عن يقين انكم شاكون بطبعكم . ورغم كل هذا الوضوح في سلوكي معكم واطلاعكم على دقائق مايحدث في مصر ، وعلى قراراتي المستقبلة ، فانكم سترتابون في كل ما اقول . او كل ما قلت حتى الآن .. مع انني اثبت عشرات المرات انني صريح . وانني لا اكذب . ولست مضطرا الى ذلك .. ولم اخف عن القيادة السوفيتيه كل متاعبي . وانت كنت معي في زيارتي السريه لموسكو ورأيت وسمعت وتعرف جيدا كل جوانب فكرى واقتناعي .. ورغم هذا كله ، فانني اعرف أن قيادتكم تبدأ بالشك في بعض الاشياء وتنتهي بالشك في كل شيء : ومن

المؤكد أن السفير السوفيتي قد ابلغ حكومته بكل ما دار بيننا • وكان هـذا هدفي طبعاً • ولابد أن السوفيت قد اطلعوا رجالهم على هـذا كله • ولذلك فقد اتجهوا في نشاطهم الى العنف • وانزلوا المنشورات و ((التعليمات)) الى كل مكان • وراحوا يستنكرون قراراتي ، ويهاجمونني شخصياً اذن لقد اصبحت المعركه سافرة • والغريب انهم تصوروا انني غائب عن كل ما يفعلون • او انني في واد اخر •• او انني اهو شهم • الى ان جاء يوم اول طهو • وخطبت • وكنت قد اطلعتهم على خطبتي قبل كتابتها • امعاناً في تهدئتهم وتنويمهم ايضاً • ولكن اضاعف لديهم الشعور بانني آمن لهم تماماً • وقد استراحوا لذلك •• ولكني فعلت هذه المرة بالضبط ما سبق ان فعلته يوم القيت خطبة المبادره في مجلس الشعب : اخرجت من جيبي ورقة بخط يدى وقراتها • وكانت مثل قذائف من النار لسمتهم واحرقتهم • وفقد شمراوى جمعه اعصابه • وثار على سامي شرف لانه لم يخبره بذلك • والذى حدث هو انه في آخر الخطاب الذى القيته اول مايو في عيد العمال اخرجت الورقة التي كتبتها بخط يدى وهي تقول بالحرف الواحد : ان جمال عبد الناصر قال وانا اردد من ورائه •• ان الشعب هو المعلم وهو القائد وهو الخالد ابدا ، وان الشعب هو صاحب هذا البلد وهو الذى سيخوض مع قواته المسلحه معركه حياة بكل مسوءلياتها وما تفرضه من تضحيات • اذن فليس من حق اى فرد او جماعة مهما كان هذا الفرد او تلك الجماعه ان تزعم لنفسها قدرة منفصله عن قدرة هذا الشعب او ان تدعي لنفسها موقعاً تستطيع ان تفرض من خلاله رايها على جموع الشعب وان تتستر وراء شعارات او مناورات تحاول ان تشكل من خلالها مراكز قوة نفرض منها وصايتها على الشعب بعد ان اسقط هذا الشعب مع جمال عبد الناصر كل مراكز القوى ليبقى الشعب وحده سيد مصيره • وقلت وانا اقرأ من الورقه التي اخفيتها عنهم : وقبل ان اختم حديثي اريد ان اقول لكم •• يجب ان تفخروا بقواتكم المسلحه • لقد اجتمعت ستة اجتماعات مع قادة قواتنا المسلحه كلهم ، الذين سيدخلون والذين سيعبرون والذين سيخططون • ويودى لو استطعت ان اضع امامكم صوره ستفخرون بها ، ولكن لنتركها الان الى ان تتم

المعركه ، لأن وراء الصورة بطولات ورجولة وتضحيه وفداء يفوق كل شيء في صموده في أبناء قواتكم المسلحه وقد ابلغتهم بثقتكم بهم . وهم يسمعونني الآن . وابلغتهم بأملكم فيهم . فكونوا صفاً واحداً من ورائهم ولنقف في المرحلة المقبله صفاً واحداً خلف قواتنا المسلحه بقلوبنا ، بمشاعرنا وأحاسيسنا بكل ما نملك .. ونحن سائرون في طريقنا بوحدة شعبنا وأمتنا ، بالهام شعبنا وأمتنا ، بطاقات شعبنا وأمتنا ، لقد رفضت التبعيه ورفضت الوصاية وصممنا على الحريه .. حاربنا في سبيلها ، حرية الوطن وحرية الانسان وحرية تحالف قوى الشعب العامله .. الحريه الاقتصاديه والحرية السياسية مكاسب الفلاحين والعمال والحفاظ على روح الديمقراطيه . لاعودة لسيطرة رأس المال والاقطاع ابداً ، ولا قبول بأي شكل من الاشكال للارهاب الفكري الذي يقمع حرية الرأي .. ((أن شعبنا بعون الله وبتوفيقه سوف يخرج بعون الله قوياً مرفوع الرأس واثقاً بنفسه واثقاً بمبادئه ، وراسخ الايمان اكثر واكثر بقيم نضاله وبأسلوبه في الكفاح العربي من اجل هذه القيم)) . وفي ختام ورقتي التي اخفيتها عن مراكز القوى قلت : أن اعلام الحريه لم تسقط على هذه الارض العظيمه الطاهرة قط ، أن اعلام الحضارة لن تتراجع ، أن اعلام التقدم لن تتوقف ، وستكون اقوى واقوى باذن الله . واعلى واعلى باذن الله ، كذلك تقول لنا تجربتنا مع التاريخ . والتجربه مع التاريخ هي الدليل الى المستقبل وصدق جمال عبد الناصر حين قال في آخر خطاب له : نحن نسير نحو هدفنا وهو تحرير الارض المحتله ، وحركتنا نحو تحقيق هذا الهدف ليست حركه مقيده .. انما هي حركه مفتوحه تلزم نفسها بالمبادئ الاساسيه لنضالنا)) .

وفي اليوم التالي طلبت من سامي شرف أن ينشر في الصحف وفي سطر ونصف انني اقلت على صبري من جميع مناصبه . اما عضويته في اللجنه العليا واللجنه المركزيه فهي من شأن الاتحاد الاشتراكي . وسوف يكون لها قرار فيما بعد واتى سامي شرف بالقرار ووقعته فوراً . وتأكدت عن طريق مكتبي أن هذا الخبر قد ابلغ الى الصحف . وبعدها بأيام جاءني روجرز . وكان سعيداً بقبولي للمبادره ، وباركها قائلاً : لم تعد لاسرائيل حجة الآن فانت القيت

الكرة في ملعبهم وسددتها الى المرمى • ونحن نحتسب لك هدفاً مؤكداً :
وذهب روجرز الى اسرائيل • واطلع جولدا مائير على ذلك • واعطا اليهود
درساً موجعاً • وظلوا يطاردون الرجل حتى قضوا عليه تماماً : اما قرار طرد
على صبرى في ٣ مايو سنة ١٩٧١ فقد اصاب زملاءه اقطاب مراكز القوى بالجنون
فقد جاء مباغتا وسريعاً • وفي ذلك الوقت اتصلوا جميعاً ودارت بينهم مناقشات
واتفاقات واختلافات قد انكشفت كلها من التسجيلات التي عرفناها فيما بعد ••
فقد كان شعراوى جمعه يسجل لعلي صبرى وسامي شرف يسجل للاثنين • —
فاجهزة المباحث تعمل لحساب شعراوى جمعه واجهزة المخابرات تعمل لحساب
سامي شرف • ففي حديث مسجل بين علي صبرى وسامي شرف ليلة ٣ مايو ذكر
فيه سامي شرف انه صدر قرار باقالته واخبره ان شعراوى جمعه والفريق فوزى
موجودان عنده وانهما يطلبان اليه ان يلزم الهدوء • وان يترك لهما الامر
وفي حديث اخر مسجل بين شعراوى جمعه وعلي صبرى يقول له شعراوى جمعه :
هذه هي بداية المعركه • هذه بدايتها • وسوف تكون هناك اشياء كثيرة • وكل
مانرجوه من سيادتك هو الهدوء يوما او يومين • وسوف ترى ما الذى تفعله
الجماهير • وسوف ترى رد الفعل • اتركنا نتحرك • وسوف ترى النتيجة التي
تسرك •• ويرد علي صبرى في التسجيل : ما ذا تقصد بقولك : اتركنا نتحرك ؟
ويرد شعراوى : سيادتك تسكت • فنحن نتكلم هنا طول الوقت • ونفكر كيف تسير
الامور • اهدأ سيادتك انها غلطه كبيره ارتكبها • وغداً سوف ترى سيادتك صداها •
سوف يدفع ثمنها • اترك لي الامور يومين فقط : وسوف ترى ما الذي تفعله
قواعد الاتحاد الاشتراكي • ان عملية اقالتك هذه سوف نستغلها استغلالاً مروعاً
وفي التسجيل نجد ان علي صبرى يسأل شعراوى جمعه عن موقف الفريق فوزى
فيرد عليه شعراوى : انه قرفان • ويكون رد علي صبرى : قرفان •• وساكت؟
لابد ان تردوا على السادات قبل ان يقضي عليكم جميعاً • ويقول له شعراوى نحن
في الطريق الى القضاء عليه : ثم توالت الاحداث بسرعه وبعنف • وترنح هؤلاء
الناس الذين توهموا انهم شيء كبير • وتوهم السوفيت ايضاً انهم اكبر من
ذلك بكثير • فقد اعطاهم السوفيت احكاماً واوزاناً وادواراً توكد سوء فهم

السوفيت للأمور في مصر وشعب مصر • وقررت حل الاتحاد الاشتراكي لكي تجرى الانتخابات من القاعدة الى القمة وتكون لنا بعد ذلك لجنة مركزيه جديدة منتخبة ولجنة عليا • قررت ذلك امام اعضاء اللجنه العليا ، فيما عدا علي صبرى وضياء داود ، فقد لافضت دعوتهما الى بيتي •• حرصاً على نظافة بيتي واى مقعد يجلس اى منهما عليه: وخرجوا من بيتي فاقدين للنطق والحركه وضاعت من عيونهم النظرة ، ومن رؤسهم الاتجاه • ويوم ١١ مايو عرفت التسجيلات • ويوم ١٣ مايو اصدرت قراراً باقالة شعراوى جمعه • وفجأة تلقيت رسالة من القيادة السوفيتيه تقول ان الرئيس بودجورني يريد زيارتي • اهلاً وسهلاً • ورحبت فوراً • وجاءت زيارته في نفس الشهر • وقابلته رسمياً في المطار واخذته الى قصر القبة • ونزل بمنتهى التكريم • على الرغم من ان هذا الرجل قد سخر من الجيش المصرى • واسمعني ما اوجعني ، من تعليقاته المؤلمه على قواتنا المسلحه • وعلى معداتها وعلى استيعابها للسلاح •• وتحملت •• كما تحملت اشياء كثيره قبل ذلك وبعد ذلك • ولكن لم انس له ما قال ، ولن انساه • وفي قصر القبة ، طلب منى الرئيس بودجورني ان نجلس بمفردنا • ووافقت وجلسنا والمترجم ثالثنا •• وللتاريخ اسجل ما دار بيني وبينه بمنتهى الدقة • قال : انا جئت لاننا نريد ان نوقع معاهدة بيننا • قلت : غريبة : وعجيبة ايضاً الا تذكر انني جئت اليكم اطلب معاهدة • ومن قبلي ذهب اليكم جمال عبد الناصر يطلب معاهدة • ورفضتم طلبي وطلبه • فماذا حدث ؟ •• ثم ما علاقة هذه المعاهدة الان ، بما ارسلته لكم قبل ذلك من انني سوف اقوم بتصفية علي صبرى ؟ لقد بعثت لكم مع سفيركم هنا بانني سوف اقيل علي صبرى من كل مناصبه •• الا اذا كان سفيركم في مصر لم يبلغكم بشيء من هذا •

قال : ابلغنا بكل شيء •• قلت : هل صدقتم ما قالته صحف الغرب من ان علي صبرى رجل موسكو ؟

قال : لا •

قلت : اذن لماذا تريدون عقد معاهدة • ارجو ان تقبل نصيحتي • انا رجل صريح • وقد صارحتكم بقرار تصفية علي صبرى قبل ذلك بشهر • والسبب هو

حرصي على الصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتي • وانا لا اعرف نياتكم بوضوح •• ثم انكم اناس شكاكون بطبيعتكم ولا تصدقون مايقوله لكم اكثر الناس حرصاً عليكم •• ولعلكم صدقتم هؤلاء الناس الذين ليس لهم وزن شعبي او قيمة جماهيريه •• اذا كان لي من نصيحة ، ارجوك قبولها ، فهي ان توجلوا عقد هذه المعاهده الى ٢٣ يوليو •• وسألني ولماذا ؟ قلت : في ٢٣ يوليو سوف تجرى الانتخابات كاملة في الاتحاد الاشتراكي من القاعدة الى القمة • وسوف ينعقد مؤتمر قومي عام • وساوجه لك دعوة رسمية • ومن الان ادعوك • واما م المؤتمر القومي الجديد نعقد هذه المعاهدة • وانا اعطيك كلمة من الان • وانا اذا قلت فعلت • وانتم تعرفونني لا اكذب • فما رايك ؟ •• حاول الرجل ان يثنيني عن رايي او عن موقفي • ولكن لم اطاوعه ولم اجامله • ولا ابالغ اذا قلت ان الرجل كان يتوسل باشكال غريبه • وكان يقول : ان المكتب السياسي قد اجتمع وان اللجنه المركزيه للحزب الشيوعي قد اجتمعت ، وكلفوني جميعاً بان اتقدم بطلب عقد معاهدة مع مصر • وان شماته الغرب فيما اصاب الاتحاد السوفيتي في مصر لا توصف • ويظهر ان الصحف الغربيه قد ابرزت هذه الزيارة ووضعوه في صور كاركاتوريه يستعرض فيها رجال مراكز القوى وقد ارتدوا ملابس السجن جميعاً : ثم قال لي : هل يرضيك ما اصابنا في مصر ، وما تنشره الصحف الغربيه ؟ • قلت : والله انا محتار • لقد اطلعتكم على القرار قبل صدوره • وصارحتكم • ولم اخف عنكم شيئاً • وصدر القرار وانتهى • وعاد الرجل يعيد ويزيد ويقول ويكرر ماد ار في المكتب السياسي واللجنه المركزيه فقلت له : هل اذا انعقدت هذه الاتفاقيه تستريحون ؟ قال : نعم • قلت : ولا يصبح عندكم شك في مصر ؟

قال : نعم •

قلت : وبهذه المعاهدة ينتهي الطريق الشائك الذى قطعه جمال عبد الناصر او الذى قطع قلب جمال عبد الناصر وقلبي ؟ •

قال : نعم •

قلت : هل انا محتاج الى ان اذكرك بكل ما قلت في موسكو؟ وكل ما بعث بـــه سفيركم في القاهرة ؟ ...

قال : هذا يكفي .

قلت : والدوخه التي عاشها جمال عبد الناصر ومات تحت تأثيرها ثم استئناف هذه الدوخه معي ايضاً ؟ ..

قال : انتهى كل شيء . ونفتح صفحة جديدة .

قلت : نفتح صفحة جديدة ؟ وماذا في هذه الصفحه الجديدة ؟

قال : كل ماتريد .. لن تمضي اربعة او خمسة ايام حتى تصل اليك جميع مطاليبك التي تقدمت بها في شهر مارس الماضي .

قلت : كلها ؟

قال : نعم كلها .

قلت : خير . وعلى بركة الله .

ودققت الجرس وقلت : هاتوا لي محمود رياض وزير الخارجيه . وجاء محمود رياض وقلت له : يا محمود .. جهز لنا معاهدة مع الاتحاد السوفيتي لنعرضها على مجلس الشعب بعد ذلك . وليس مبالغة مني اذا قلت ان محمود رياض اصيب بنوع مـــن الهلع ولم يصدق ما اقول . ومنعه الحياء او الدهشة ان يسترجعني ما طلبته منه . ولكن عندما نظر الى ، وجد انني اعني ما اقول . ولكنه لم يستطيع الا ان يسألني معاهدة يا افندم ؟

قلت نعـــــم .

قال : معاهدة فعـــلاً ؟

قلت : نعم ، وسوف نوقعها غداً .

قال : غداً ؟

قلت : نعم غداً .

قال : معاهدة ؟

قلت : معاهدة نعم . ونوقعها نعم . وغداً نعم : ولعل هذا الحوار يؤكد ان احداً لم يكن يتصور ان هذا شيء ممكن حدوثه .. ان يطلب السوفيت معاهـدة

وأن أوافق عليها بهذه السرعة • وعلى توقيعها أيضاً • ولكنه حدث وهي مناسبة جديدة نرى فيها ما الذى نتقدم به ، وما الذى نكافأ به على ذلك والذى ذهل أكثر من ذلك هو الرئيس بود جورني • فقد أخبرته أننا سنوقع المعاهدة غداً وفي هذا الصالون من قصر القبه • وعدت الى بود جورني أقول له لأخر مرة مخلصاً : أسمع نصيحتي • أن التوقيت خطأ • وأن منظركم أمام الناس سيىء • لأن معناه أن هؤلاء الناس هم الذين كانوا يحمون مصالحكم • وأن مصالحكم مهددة بالخطر • وأنه لا أمان لكم الا بالمعاهدة • غلط • الفكرة غلط • وموعدها غلط • وصورتكم غلط • أسمعها مني • ولم يسمع مني هذه النصيحة • وأعدت المعاهدة • وجلس محمود رياض مع جروميكو • وكتب المعاهده وجاء مصورو الصحف والتلفزيون والسينما جميعاً • أمام الكاميرات ، أى أمام الملايين • والتقطت الصور وتناقلتها الصحف والشاشات في كل الدنيا وتعانقنا وبعد ذلك سألته : هل أنت مطمئن الأن ؟

قال : نعم •

قلت : هل مصالح السوفيت في مصر مصونة كما يريد المكتب السياسي واللجنة المركزيه والقيادة السوفيتيه ؟ •

قال : تمام •

قلت له : بعد أربعة أو خمسة أيام سوف تصلنا الأسلحه التي طلبناها ؟ •

قال : تأكد من ذلك •

وودعته عند الطائرة ثم بالقرب منها ، ثم صعدت السلم •• ودعاني لكي أتفرج على الطائرة الجديده ٦٢ التي لها أربعة موتورات في المؤخره • وتفرجت على الغرف التي بها المكاتب وحجر النوم • ولم أنس وأنا في الطائره أن أسأله لأخر مرة : بعد أربعة أو خمسة أيام كما قلت ؟

قال : ماقلته لك على الأرض أؤكده لك وأنا في الطائره •

قلت : وهو كذلك •

قال : أطمئن •

قلت : إذن أحب أن أقول لك ثلاث كلمات • وهذه الكلمات الثلاث قد وضعت

فيها كل وجهة نظرى • وبلورت فيها كل تاريخ العلاقات السوفيتيه المصريه من واقع تجارب جمال عبد الناصر وتجاربي أيضاً •

قال : ما هي ؟

قلت : الثقة •• الثقة •• الثقة ::

قال : انها كلمة واحدة •

قلت : كلمة واحدة كررتها ثلاث مرات •• ارجوك أن تقولها لبريجنيف وكوسيجين ولك الشكر •• قلتها وفي رأسي كل ما قرأت في السجن عن الروس وعن العلاقات السوفيتيه في الدنيا ، شرقا وغرباً • فالروس لهم طبيعتان : طبيعه كل انسان خلقه الله وطبيعة أخرى : هي الشك • ليس فقط في أيام الشيوعيين ، وانما منذ أيام القياصره • تماماً أن الجليد يغطي بلادهم • فالشك يملأ نفوسهم وللتاريخ اقول أيضاً انني لم اترك الرجل في الطائرة حتى وجدتني مضطراً الى أن اذكره بما سبق أن قلته للسفير السوفيتي في القاهرة • ثم اقتربت منه اكثر وقلت له : عندما ارسلت لكم بانني سوف أصفي علي صبرى ، كنت أعرف نوعية الارض الصلبه التي اقف عليها •• ولم يكن هو ولا انتم تعرفون نوعية الفراغ والتفاهة والوهم الذى يقف عليه علي صبرى والاخرون : واظن أن النتيجه واضحه امامكم الآن •• وصافحته بحراره وتوقفت لاقول : بعد اربعة او خمسة ايام ؟ • فضحك وهو يقول لي : الثقه • قلت : بل ثلاث مرات •• الثقه الثقه •• الثقه •• هذا ماينقصكم او ماينقص علاقتكم بنا • مع السلامه •• ولم يتصور السوفيت أن ما جرى كان من الممكن أن يحدث • وكيف يحدث وبهذه الصورة المفاجئه ؟ فالفريق محمد فوزى كوزير للحربيه يسيطر على الجيش وشعراوى جمعه كوزير للداخليه يسيطر على أجهزة الأمن ، وكأمين للتنظيم السري يسيطر على الجهاز السياسي • ومحمد فائق يسيطر على الاعلام •• وعبد المحسن ابو النور أمين الاتحاد الاشتراكي يستطيع أن يحرك المظاهرات •• وسامي شرف يسيطر على الحرس الجمهورى ثم انه يسيطر على مكتب رئيس الجمهوريه ولديه كل كلمة وكل حرف في البلد •• ولابد أن السوفيت قد ادركوا انني ساذج اذ كيف اطلعهم على قرارى قبل تنفيذه ، او لعلهم ايقنوا أن رجالهم

سوف يطيحون بي قبل أن انفذ هذا القرار ، أو انني لا اعني ما اقول وانني اهوشهم واخدعهم ، لانه ليس من المعقول أن اطلعهم على قرار كهذا ، ثم اتـه قـــرار يتعلق برجلهم في مصر .. وسافر الرئيس بودجورنـي سعيداً بالمعاهده .. وانا عدت سعيداً بما وعدني بـه . فما زلت اتمنى أن يصلنـي سلاح الردع الذى وعدوا به جمال عبد الناصر ، ومات الرجل دون أن يـــرى منه ذلك شيئاً ، ثم جددوا لي هذا الموعد ايضاً . وطبعاً وبمنتهى الصراحه لم اتصور لحظه واحده أن رجلاً مثل بودجورني ، رئيس دولة عظمى ، يعـد ويؤكد هذا الوعد ، ثم لا يصدق فيما يقول . لا اعرف كيف يمكن أن يحـدث ذلك . انه رجل كبير في بلده ، ولابد انهم فوضوه أن يقول فليس من المعقول أن يتطوع بشيء من ذلك . فلا احد في الاتحاد السوفيتي يستطيع أن يقـول شيئاً من عنده . وانما هو صدى لما يقال له هناك ... فاذا لم يجد مايقولـه عاد اليهم . والرأى لهم هناك . كلهم كذلك . وقلت في نفسي : حتى اذا لم تأت هذه الاسلحه الا بعد عشرين يوماً فلا بأس في ذلك .. او حتى بعـد اربعة او خمسة شهور ، المهم أن تجيء .. وهي اضافة لقوتنا .. ثم انـنـي لن استطيع أن اغير طبيعة السوفيت . وربما اضطرتهم الظروف الى أن يتزحزحوا قليلاً عن طبيعتهم . وربما اكون محظوظاً هذه المرة فتجيء الاسلحة الموعوده في وقت معقول . ربما .. ولكن دهشتي لم تذهب : اذ كيف يتصور هؤلاء ـ السوفيت أن هؤلاء الناس ـ الذين اسميهم ((الاغوات)) ـ يمكنهـــم أن يديروا الامور .. انهم مجموعه من التافهين : علي صبرى وشعراوى جمعـه وسامي شرف .. انني اتصورهم مجموعه من الاغوات كالذين كانوا يعيشون في بلاط السلاطيـن . وعندما يموت السلطان يتصور هؤلاء الاغوات الخدم انهم ـ يستطيعون أن يحكموا بدلا مـن السلطـان .. أن مصر العظيمه لم تصـب بالعقم حتى يحكمها مثل هؤلاء الاغوات .. وفي الطريق الى بيتي جعلـت افكر في الايام التي انا مقبل عليها . ومعي مصر والامه العربيه كلها . فقـد حددت هذا العام بسنة الحسم . وحين اخذت اتأمل ذلك عاد الشريط الطويل للعلاقات السوفيتيه المصريه يدور امام عيني بسرعه هائله ، وتجملت بالصبـر . وبدأت اعد الساعات التي وعدني بها بودجورني .

من " أوراق "

الرئيس السادات

الجليد ... يذوب :

بين موسكو والقاهره !

٩

في سنة ١٩٧١ قرر الرئيس السادات انها سنة حسم القضيه وازالة آثار العدوان .. وكان قد ازال عدوانا آخر على مصر عندما صفى مراكز القسوى .. ولولا الوعود السوفيتيه على ارفع المستويات ما اعلن في كل المؤتمرات الشعبيه الكبرى ان سنة ١٩٧١ هي (السنه) التي اختارها وشاءها القدر ...

ويقول الرئيس السادات انه احنى راسه للعاصفه الموجاء التي هبت عليه من موسكو .. ولكنه في نفس الوقت احنى راسه لمصر فمن اجلها هادت عليه اشياء كثيره ...

احنيت راسي للعاصفه

واحنيتها لمصر اكثر

(سافر) الرئيس بود جورنسي وفي حقيبته معاهده صداقه مع مصر • وهذه المعاهده اعتبرها السوفيت زماناً جديداً للعلاقات الوديه بيننا •• ورأت فيها الصحف السوفيتيه نجاحاً لروسيا وهزيمه لأمريكا التي حاولت بزيارة روجرز لمصر أن (تدق إ فيننا في العلاقات المتينه بين البلدين) •••

كما أن السوفيت رأوا في هذه المعاهده بعد تصفية رجالهم في السلطه ، تأكيداً لأن العلاقه بيننا ليست علاقة أشخاص بأشخاص وانما هي علاقة دول • علاقه أبقى وأهم من الأشخاص •• والذى يقرأ الصحف السوفيتيه في ذلك الوقت يجد أن السوفيت سعداء بهذه النهايه ، أو بهذه البدايه • وعلى الرغم من أنني أسترحت بعض الشيء فأن همومي لم تخف ، فعندى تجارب معهم قبل ذلك طويله وعديده • ولكن جعلت أمني نفسي • ولم يغب عن بالي لحظه واحده : أنني قد حددت سنة ١٩٧١ بسنة الحسم • ومعروف للعالم كله • وللسوفيت ، ماهذا الذى نريد أن نحسمه • وما هو المطلوب من السوفيت لكي يساعدونا على ما نحن فيه • ومانحن مقبلون عليه •• وأهم من ذلك كله أنني أوضحت كل شيء •• فتحت قلبي للروس تماماً • وأطلعتهم على كل خباياى •• بل أن بعض المعلقين السياسيين لاحظوا أنني حتى في حفلات الترحيب بالرئيس بود جورني لم أغفل لحظه واحده عن ذكرى مخاوفي وعن تحذيرى له •• ففي حفلة العشاء التي أقامها الرئيس بود جورني في القاهره يوم ٢٧ مايو قلت من أول لحظه : أنني أشكر لكم من صميم قلبي كل ما أظهرتموه من كريم المشاعر تجاه هذا الوطن وشعبه •• وفي مساندة نضاله وقضاياه العادله •• وقلت له : وأهم من ذلك كله ما أعطيتموه من (فهم حقيقي) وصداقه مخلصه في كل الظروف •• وذلك هو ما نقدره أكثر من أى معنى آخر) •••

وقد لاحظ المعلقون السياسيون انني اكدت معنى (الفهم الحقيقي) لوضعنا وسياستنا وحرصنا على حريتنا في اتخاذ قراراتنا المصيريه ••• وان هذا (الفهم) اراه اهم من اي شيء اخر • واشار المعلقون الى ماقلته ايضاً في ختام خطابي في هذه الحقيقه • فقد اكدت من جديد له وللقاده السوفيت ولشعوبنا العربيه : (انني لست في حاجه الى ان اضيف امامكم جديداً لما يدافع عنه شعب الجمهوريه العربيه المتحده وشعوب امتنا العربيه باسرها من مبادىء وحقوق) •• (نحن بوضوح ضد الاستعمار • (نحن بوضوح ضد سياسات السيطره) ••

(نحن بوضوح ضد العدوان) ••

(نحن بوضوح مع حق كل شعب في صنع قدره وتنمية قدراته السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه) ••

(نحن بوضوح مع كل شعب في اختيار طريقه الى مايريده) •

(ونحن بوضوح مع السلام القائم على العدل ••)

وقد تنبه المعلقون السياسيون والصحف الغربيه الى عباره جاءت في كلمة الترحيب في الحفل الذى اقمته للرئيس بودجورني قبل ذلك بيوم واحد • فقد قلت: نحن نريد ان يعرف الكل اننا لسنا على استعداد لان نفرط في الارض او في الحق مقابل سراب كما ان الكلمات المعسولة ليست دليلاً على صدق النوايا التي وراءها) واسترحت الى ان المعاني التي اردت ان اوكدها للسوفيت امام العالم كله • فانا اريد فقط من السوفيت ان يفهموني • وان يقدروا موقفي امام شعبي وامام العالم (وان تكون الصداقه الكلمات الحلوه حقيقه وليست فاتحه للشهيه • ولا يجيء بعدها طعام •• بل لقد ذهبت صحيفة (البرافدا) في ذلك الوقت الى وصف هذه المعاهده بانها هزيمه موحده للامريكان في المنطقه •• وقبل ان اجلس واريح ظهرى وراسي وامدد قدمي لافكر في شيء جديد وفي الصوره

التي أمامي • وفي الخطوه التاليه التي انا مقدم عليها أحسست بتحركات مريبه في المنطقه • اذ يبدو انه لن تكون هناك راحه • فقد علمت بصوره مؤكده أن شيئاً ما سوف يجري في السودان وكنت مجتمعاً في مرسى مطروح مع حافظ الاسد ومصر القذافي وأرسلت برقيه لجعفر نميري في ١٨ يوليو أطلب اليه أن يجي بسرعه لأمر هام • وكان رد جعفر نميري انه سوف يجي ء ان شاء الله في يوم ٢٣ يوليو ليحضر معنا المؤتمر القومي • وكان قبل ذلك قد حضر الى القاهره أيام تصفية مراكز القوى • وكان قلقاً • وكان معنا بقلبه • وكان احساسي أن الذى خسره السوفيت في مصر ، لابد انهم يريدون تعويضه في السودان • ولا انفصال لمصر عن السودان • أو السودان عن مصر • فالذى يقع في أحد البلدين يصيب الآخر • وهذه حقيقه يؤكدها التاريخ الطويل بين الشعبين الشقيقين • فمصر هي السودان • والسودان هو مصر •

ثم عدت أطلب من جعفر نميري أن يحضر فوراً لأن الأمر عاجل ولا يحتمل التأجيل بضعة أيام • وقال لي جعفر نميري انه سوف يرسل لي زين العابدين عبد القادر ، عضو مجلس قيادة الثوره الموجود في القاهره • وطلب مني أن أعطيه الرساله التي أريدها • وجاءنا زين العابدين في مرسى مطروح • قلت له (يا زين •• أن هناك شيئاً خطيراً سوف يقع في السودان • والخبره التي أخذها السوفيت في مصر • سوف يردونها لكم في السودان • معلومات مؤكده • الصوره واضحه أمامي • سافر فوراً • وانقل للرئيس جعفر كلامي حرفاً حرفاً • وأن الذى أقوله ليس مخاوف • وانما هو حقائق • وسافر زين العابدين عبد القادر • ونزل الى مطار الخرطوم عندما حدث الانقلاب • واعتقلوه وحبسوا جعفر نميري • اذن لقد وقع ما أحسست به • وكان انقلاباً شيوعياً • ولم تمض على معاهدة الصداقه مع السوفيت سوى ثلاثة أسابيع •• ومعاهدة الصداقه

والفهم واحترام ارادة الشعوب وعدم التدخل في حق كل شعب في تقرير مصيره ، في ذلك الوقت كان عندنا في القاهره رجل سوفيتي اسمه بوريس بوناماريف • رجل كبير في السن • ومن اقدمى الناس الذين رأيتهم في حياتي • وهو سكرتير اللجنه المركزيه مثل برجنيف • وان كان سكرتيراً اداريا • اما برجنيف فهو السكرتير السياسي للحزب • وبوناماريف يحضر عاده في كل المفاوضات التي يجريها السوفيت لانه المسؤل الاول عندهم عن الاحزاب الشيوعيه • وهو على درجه من الخباء ليس لها نظيراً • وكان من المفروض ان يحضر معنا احتفالات ٢٣ يوليو • ولا بد ان وجوده في مصر في ذلك الوقت كان لخطه • اما الخطة فهي انه كان ينتظر ماسوف يجرى في مصر • يريد ان يعرف كيف تسير الامور في مصر بعد المعاهده • يريد ان يطمئن على مصير العلاقات السوفيتيه المصريه •• واهم من ذلك كان يريد ان يشهد عن قرب نهاية المخطط الذى سوف يؤدى الى سقوطي ودخولي السجن • وبعد ذلك سقوط النظام في السودان •• وهذا الرجل بوناماريف هو العقل المدبر لحركات الاحزاب الشيوعيه وعملاء السوفيت في المنطقه • وقد جاء يشهد بنفسه النتائج الباهره لسياسة وعبقريته في اسقاط الحكومات الواحده وراء الاخرى ولم اعرف الا فيما بعد ان بوناماريف قد اشار قبل ذلك الى ضرورة مساندة السوفيت للشيوعيين العرب او (للديموقراطيات الثوريه) •• فهذه هي التسميه الجديده التي اطلقوها على الاحزاب الممالئه للسوفيت والعميله لهم في المنطقه • ففي يونيو ١٩٧١ كتب بوناماريف مقالا في (مجلة العالم الماركسي) تعليقاً على المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي :(ان الحزب الشيوعي السوفيتي يجب ان يضحي في سديد الصداقه لكل الديموقراطيات الثوريه ، انهم رفقاء السلاح ضد الامبرياليه)•• ثم قال ايضاً في هذا المقال مامعناه : ان مساهمة الاحزاب الديموقراطيه الوطنيه في جلسات مؤتمر الحزب الشيوعي السوفيتي يؤكد هذا النمو المتزايد لعلاقات الصداقه والتفاهم • وان مثل

هذه العلاقات بين هذه الأحزاب والحزب الشيوعي السوفيتي لدليل على نوع جديد من الحركه الشيوعيه في العالم كله وحركات التحرر الوطني .. وأن مثل هذا التضامن سوف يقوى علاقتها بالحزب الشيوعي السوفيتي . وعلاقتها ببقية المواطنين في البلاد الأخرى) .

وفي نفس الوقت كان واضحاً أن رأى السوفيت في الشيوعيين العرب متواضع جداً . بل انهم اتهموا الأحزاب الشيوعيه العربيه بالهزال أو بالتفاهه وقد وضح الآن أن هذا الاتهام كان نوعاً من (التعمية) حتى لا يتوقع أحد في العالم العربي أن الشيوعيين يمكن أن يكون لهم أى دور من أى نوع. وبذلك تغمض العيون عنهم . لأنها يجب الا تراهم .. أو لا تستطيع أن تراهم لضآلتهم وتفاهتهم .. حتى جاءت هذه الحركه في السودان . ومن المؤكد أن السوفيت ليسوا سعداء لكل ماحدث في مصر بعد جمال عبد الناصر .

فأنا لست رجلهم .

وأنني صفيت رجالهم .

وأنني الغيت الحراسات التي فرضت على الناس . ثم أنني بطبيعتي ضد القهر والظلم وأثارة الأحقاد بين الطبقات والفئات . كما أنني أسمح بالخلاف ولا أسمح بالصراع .. ثم أنني أكدت أنني مختلف معهم . وصارحتهم بغضبي وضيقي . ولا بد أنهم يتوقعون مني مايضايقهم أكثر . وقد هددتهم بأن للصبر حدود أو بعدها لا بد أن أقول للشعب ماذا جرى. وفي ذلك فضيحة لهم أمام العالم كله .. فهم يخافون أن أكشف القناع الذى يضعونه على وجوههم فيعرف الشعب حقيقتهم . وحقيقة الهوان العذاب الذى لقيته وتلقاه مصر معهم . ولهذا كله كان لا بد أن يفعل السوفيت شيئاً بسرعه في مصر أو في السودان أو في أية دوله أخرى في العالم العربي أو الشرق الأوسط كله . وقد حدث بوضوح بعد ذلك .. وفشل الانقلاب الشيوعي في السودان . وفجأة تحرك هذا الرجل الروسي الموجود في القاهره بوناماريف . ماذا يريد .

انه يريد مقابلتي لامر هام . وجاء لي بالقرب من الاسكندريه حيث كنت استريح . وكان الرجل منهاراً . وانا اعذره فقد فشلت كل خططه في الاطاحه بي في مصر وبجعفر نميرى في السودان . وجاء يطلب مساعدتي . شيء غريب . وقد رفضت من اول لحظه ان يقوم اى نظام مثل هذا الذى اتي به السوفيت في السودان . ارفض وجود مثل هذا النظام في السودان وعلى حدودى الجنوبيه . ارفض رفضاً باتاً . واعلنت في خطابي يوم ٢٣ يوليو على مسمع من بوناماريف هذا .. التهنئه بالتأييد الكامل لحكومة وشعب السودان . وجاء بوناماريف يطلب مني ان اساعده على انقاذ حياة بعض الشيوعيين اصحاب الانقلاب الفاشل في السودان . وطلبت جعفر نميرى تليفونياً وكان بوناماريف جالساً الى جوارى . وسمعني وانا اتشفع لدى جعفر نميرى حتى لا ينفذ الاعدام في الشفيع احمد الشيخ .. احد اقطاب الانقلاب الشيوعي . وجاء الرد من جعفر نميرى : ان الشفيع قد اعدم منذ ساعتين . وغضب الرجل والاتحاد السوفيتي طبعاً وولوا في موقفي من السودان عملاً غير ودى . او لعلهم راوه تدخلاً في شئونهم (الداخليه) .. مع ان هذا الرجل قد سمعني وانا اعلن في المؤتمر القومي امتنان مصر للمساعدات السوفيتيه . وكيف صفق الناس لذلك .. وفي نفس الوقت اعلنت بمنتهى الوضوح انني لست شيوعياً : لم ولن اكون شيوعياً . ورغم ذلك فانني اعتز بهذه الصداقه واحرص عليها من اجل مصر . لقد سمعني وانا اقول : ان الاتحاد السوفيتي قد قدم لنا بشرف ، وقدم لنا بلا قيد ولا شرط . معونات كنا بدونها لا يمكن ان نصمد السنوات الاربع الماضيه . وسمعني وانا اقول لقد اعلنت في ١٥ مايو امام القوات المسلحه ، واعيدها مرة اخرى امامكم ومن خلالكم الى الشعب كله . وللامه العربيه . ولاصدقائنا واعدائنا انني لن اسمح ان تمر سنه ١٩٧١ دون ان تحسم هذه المعركه . فاسرائيل الان في اوج حالاتها .. فلا نحسن في حالة حرب

ولا نحن في حالة سلم .. واسرائيل رابضه على الضفه الشرقيه بدون خسائر وتنتظر أن يحدث انفجار داخلي في مصر .. وقلت في ذلك اليوم وعلى مسمع من بوناماريف والشعب والعالم : أن التحقيقات اثبتت ان على صبرى كان ينتظر (فرقعه) على حد قوله .. فرقعه في داخل مصر .. فاذا حدثت الفرقعه والت لهم السلطه فلا داعي للحرب .. فلا قواتنا تحارب ولا أحد من شعبنا يصاب بسوء .. ولكني اقول واكرر ان سنة ١٩٧١ حاسمه . واذا اقتضت المعركه أن يكون هناك مليون من الضحايا فنحن على استعداد لذلك .. ومرة أخرى في ختام الدوره الاولى للمؤتمر القومي يوم ٢٦ يوليو قلت لقد قلت امامكم والتزمت امام شعبنا واسمعت العالم كله أن هذه السنه سنة ١٩٧١ سوف تكون حاسمه في ازمة الشرق الاوسط . ومعنى ذلك أن الشهور القادمه سوف تكون شهور قرار . لست اقول أن طريقنا الى النصر يجب أن يكتمل خلال هذه السنه .. وذلك أن الطريق اطول واصعب . ولكنني اقول ان هذه السنه يجب أن تشهد ـ بعون الله ـ تحركنا العملي نحو ازالة آثار العدوان .. وقلت ايضا .. وعلى اساس ما اعلناه من مبادىء ومواقف مهما اقتضاه ذلك من جهد وتضحيات . فلن نسمح لهذه الازمه أن تتجمد معالمها ومعالم حقنا تحت تراب النسيان . لا بد أن نتحرك . وسوف نتحرك بعون الله ، سياسه وقتالا . واكرر امامكم ما قلته في اول مايو : العين بالعين ، والسن بالسن ، والحمق بالحمق ، والنابالم بالنابالم . بعد هذا كله . وبسببه . حصلت قطيعة بيننا وبين الاتحاد السوفيتي .. لا كلام بيننا . ولا سلام ايضا . وبدأت انا الكلام . وبحثت اذكرهم بما قاله الرئيس بود جورني من أن كل شيء سوف يصلني بعد اربعة او خمسة ايام . وان هذا العام هو عام الحسم وشرحت لهم معنى الحسم . ويجيء السفير السوفيتي وعلى لسانه العباره التي عرفتها وطلتها : القاده السوفيت في القمم . اى انهم يصطافون على شاطيء شبه جزيرة القرم على البحر الاسود .. والدنيا كلها مطلعه : ذهابا لا شيء يصل . وايابا لا شيء يجيء :

واعود اذكرهم بالمعاهده التى بيننا ..

والجواب: القاده في القدم .

واقول للسفير : أن موقفي من السودان موقف مبادىء .قل لهم ذلك .

فيقول : انهم في القدم ..

ـ وسنة الحسم ..

ـ القاده في القدم ..

ـ ماذا اقول للشعب المصرى وللعالم العربي وللعالم .

ـ في القدم ..

اما مالذى يجب أن افعله فهذه مساله تخصني انا وحدى. ومن الضرورى أن افكر في كل الذى قلته ووعدت به . لابد أن اجد لي صيغه مناسبة اواجه بها الشعب . وهل احكي للشعب قصة السوفيت هل افضح هذه العلاقه . لو فعلت ذلك لكان اضرارا مباشرا بالسوفيت هل من مصلحة مصر أن افعل ذلك . ثم ماهي اقصى درجات احتمالي للاذى . انني قادر على أن احتمل الكثير . ورصيدى من الصبر كبير . ولكني اخشى أن ينصب هذا الرصيد فاجدني امام حالة من الغضب لا استطيع أن اسيطر عليها . ولكن مصر . فمن اجلها يهون كل شيء وقد هانت اشياء كثيره كانت عزيزه على نفسي .. حتى كرامتي هانت من اجل مصر . وابتلعتها كثيرا وشربت وراءها اكوابا من التشهير بي وبنظامي في الحكم . وفي كل يوم اشعر انهم لا يجففون الجراح . وانما يضعون الملح على الجرح .. واخيرا وفي اخر سبتمبر جاءني السفير السوفيتي يقول لي : القاده السوفيت على استعداد لان يعروك .

قلت : خير .. متى .

قال : في ١١ و ١٢ اكتوبر .

ولا اظن أن السفير قد لاحظ انني كتمت غيظي او ربطت (الدم على القيح) كما نقول في الريف .

فقلت : لا مانع . انها قضيه مصر .

ولكي يفهم الرجل بالضبط ما اردت أن اقول كررت المعنى قائلا : انها قضية مصر • ومن اجلها فانني اتهاون مع نفسي •• رغم كل ما اصابني فانها قضية مصر • قبلت هذه الدعوه فورا • ولم اقل له ماكان يدور في نفسي من انه لو كان الامر يخصني انا ماذهبت الى موسكو او حتي رايت هؤلاء الناس • ولكن الضروره لها احكام • والضروره هي مصر • واحكامها ان امد يدى اطلب المزيد من السلاح • وكما حدث في اول مارس سافرت الى موسكو في ١١ اكتوبر • والذى جرى في الكرملين هو ماتوقعته بالضبط • فقد كان لزاما علي أن ارى من جديد كل ماحدث للعلاقات بيننا •• وماوعدوا به جمال عبد الناصر • وما وعدوني به •• مع انني حكيت ذلك عدة مرات • ومن الغريب أن لديهم استعداد لسماع الشيء الواحد الف مرة • وكانهم يسمعونه لاول مره • وارتفعت درجة حرارة المناقشه بيني وبين جيريتشكو وثرت عليه • وكانت لهجتي عنيفه جدا • وتدخل كوسجين بيننا • ثم تدخل برجنيف مرة اخرى • وبرجنيف رجل ممتاز ومشاعره معنا دائما ثم أن فهمه السياسي لقضيتنا سليم وواضح • ثم اعدت عليهم ماسبق أن قلته الى أن وصلت في كلامي الى ذكر (سنة الحسم) فاذا بهم في نفس واحد يسالون :-

قل لنا شيئا عن سنة الحسم هذه •

اقول لهم سنة الحسم • بعد كل هذا الذى اعلنته في مصر امام رجلهم بوناماريف •• وما اعلنته بعد ذلك •• وما حكيته لهم • مطلوب أن اشرح لهم معنى سنة الحسم • ثم مطلوب مني أن اشرح لهم ماهو الحسم ووجدت أن المناقشه طالت واصبحت مملة وكانني انفخ في (قربه مقطوعه) كما نقول في الريف •• اى أن الذى انفخه من هنا يخرج من الناحيه الاخرى •• فهو جهد ضائع • وهم جالسون امامي في هدوء وبرود •• وأن كانت سياستهم هي رفع درجة الحراره حتى الغليان • ثم انزالها الى ماتحت الصفر • ويتفرجون وينتظرون ليروا ماهي النتيجه •

وقد حفظت هذه السياسه جيداً . ولكن احتمالي لها لم يعد مستطاعاً . ووجدت امامي فرصه لهز الموقف ورفع درجة الحراره فقلت لهم : يفوتني أن أشكركم على اطقم صواريخ سام ٢ السوفيتيه التي بعثتم بها الى القاهره . شكراً جزيلاً . ولكن احد منهم لم يهتز ، فهم يتوقعون هذا الشكر او المزيد من الامتنان . واتجهت مباشرة الى ما اريد أن اقوله لعلهم يفيقون فقلت : اشكركم . واحب أن انهى لكم أن رجالنا قد تدربوا على استخدام هذه الصواريخ ومن الممكن أن يشغلوا مكان رجالكم في دقيقه واحده .. ولذلك أن الاوان لسحب الاطقم السوفيتيه .. واهتز الاقطاب الثلاثه بعنف وكانني وجهت اليهم صواريخهم واطلقتها عليهم . وتحدث برجنيف وهو الذى يهمني فيهم جميعاً فقال : انها كارثه على الاتحاد السوفيتي .. فقلت : اريد أن اعرف منك الان لماذا هي كارثه على الاتحاد السوفيتي ..فاجاب : الوجود السوفيتي في خطر . واحسست أن برجنيف قد اعطاني السلاح الذى في يده فقلت له فوراً : تقول الوجود السوفيتي .. انني طلبت اليكم وطلب جمال عبد الناصر . وجوداً سوفيتياً في مصر فرفضتم .. طلبنا الدفاع الجوى وقيادة الدفاع الجوى .. وطلبنا سلاح الردع .. وجعلتم الموقف صعباً علينا فقلتم أن الاوامر يجب أن تكون من موسكو .. وطلبتم المعاهده فوافقت عليها فوراً وتم توقيعها .. وجاء بود جوربي ووعدني بأن كل شيء سوف يصل بعد ايام وأن صفحة جديده سوف تبدأ في سجل العلاقات السوفيتيه المصريه .. والان تخاف على الوجود السوفيتي ياسيدى هات مائة الف جندى سوفيتي الى القاهره . وانا موافق على هذا الجيش فوراً ..ولم يرد احد . ثم عدت ادق الحديد الساخن بيننا فقلت : اقبل هذا الوجود السوفيتي ولكن بشرط ..واهتز الاقطاب الثلاثه ولا بد أن درجة حرارتهم قد زادت بمقدار انخفاض درجة حرارتي . عندما قلت : بشرط أن يكون القرار مني .. فلن يحارب من اجلنا احد . انها معركتنا وحربنا وضحايانا ايضاً !

وانخفضت درجة حرارة الحديد الذى بيننا . واصبحنا ندق حديداً بارداً .. وقلت لهم أن الوجود السوفيتي لا يخيف أحداً . لأن الجنود السوفيت لن يحاربوا . ولكن اذا أرسلتم لي صواريخ أوسلاح الردع .... أو طائرات الاستطلاع التي تزيد على سرعة الصوت مرتين وثلاثا .. فأن هذه الطائرات الاستطلاعيه سوف تزعج اسرائيل ٢٤ ساعه في اليوم لانه يستحيل على أى سلاح أن يلحق بها أو يقاومها .. أما الوجود السوفيتي بمائة الف جندى فهو لا يخيف . واذا كنت قد أخرجت خمسة عشر الفاً في اسبوع . فانني سوف أخرج المائة الالف في عشرة أيام عند ما أريد .. ثم سحبت مقعدى الى الوراء لاقول : الآن أصبح كل شيء واضحاً ولكنهم بسرعه قالوا معاً : سوف نبحث لك الاسلحه التي طلبتها قبل نهاية السنه . وأعدت السؤال عليهم مرة أخرى : قبل نهاية هذه السنه ..

قالوا : نعم قبل نهايتها .

قلت : هذا يكفيني .

أما الاطقم السوفيتيه فرأيت أن تبقى كما هي . فلن تزيف شيئاً . ولا خساره علينا من وجودها . وانما المهم أنني حصلت على صفقه جديده وفي ذلك اضافة الى قوة مصر .. وتوالت الشهور بطيئة جداً . ومزعجه جداً . واحسست بأسنان الزمن اليمه . واقترب أكتوبر وانتهى . وجاء نوفمبر واختفى . ثم ديسمبر .. وفي يوم ٨ ديسمبر وقعت الحرب بين الهند وباكستان . ووقف الاتحاد السوفيتي الى جانب الهند واستخدم مطارات مصر قاعده لامداد الهند بالذخيره والسلاح . وفي نفس الوقت الذى كنت فيه في موسكو كانت انديرا غاندى تلف العالم تمهد لهذه الحرب سياسياً واعلامياً . اذن لقد كان السوفيت يعلمون ماسوف يحدث في ديسمبر . وكانوا قد اعدوا كل شيء لذلك . وكان في استطاعتهم أن يقولوا لي / لا داعي لسنة الحسم هذه فسوف نكون مشغولين لسبب أو لآخر .. وبعطيه حسابيه بسيطه جداً . ادركت أن سنة ١٩٧١ .

لن تكون سنة الحسم • وليس من العقل أن أجعلها كذلك •• فأن حرب الهند وباكستان قد لفتت العالم كله • واستوعب كل اهتمام الناس عطفهم وغضبهم وحرصهم على المساعده أوالتوسط أو الدعوه الى السلام •• ولا يمكن أن تحظى مصر بهذا كله •• فسوف تكون حربنا هذه قضيه صغيره أمام قضيه كبيره أو حدثاً عابراً أمام كارثه دوليه •• اذن لقد انتهى كل شيء • ولن تكون سنة ١٩٧١ هي السنه التي ناديت بها ووعدت وهددت • انحسمت سنة الحسم بلا حرب •• واشتد عيت يوم ٩ ديسمبر السفير السوفيتي لاقول له : واضح الآن انكم لن تبعثوا بأية أسلحه واذا جاءت فبعد عام الحسم •• فماهو العمل ••

ولم يقل السفير شيئاً •

وقلت: حتى اذا أرسلتم هذه الاسلحه • فلن تصل قبل فبراير • وبعد ذلك بشهور يتم تركيبها والتدريب عليها •• ولم ينطق السفير • ولم يرسل السوفيت هذه الاسلحه حتى كتابه هذه السطور سنة ١٩٧٦ •••

وعدت أهز السفير بعنف : ماذا أقول للشعب •• انني لو حكيت كيف حدث هذا كله • وما كان منكم لكانت هذه فضيحه كبرى لكم • ولأضرت بكم ضرراً بالغاً في المنطقه وفي العالم كله •• وطلبت من السفير السوفيتي أن يبلغ موسكو انني أريد رؤية القاده السوفيت قبل نهاية ديسمبر • وهذه المره دعوت نفسي الى زيارة قادة الكرملين ••

وقلت له : قبل أن أصل أحب أن يكون معروفاً مقدماً أن الغرض من هذه الزياره هو أن نصدر بياناً نغطي به الموقف الفظيع الذى يواجهني في مصر وفي العالم كله • وعن طريق التليفون المباشر مع موسكو اتصل بهم السفير وأخبرهم • وتوقعت أن يحددوا الموعد بعد أسبوع أو أسبوعين • ولم يحدث شيء من ذلك • فقد مضى أسبوع من بعده أسبوع آخر •• وفي يوم ٢٨ ديسمبر جاءني السفير السوفيتي يحمل هذه البشرى: القاده السوفيت يسعدهم أن يستقبلوك يومي ١ و٢ فبراير ••

ومعنى ذلك انه مطلوب مني وحدى أن أغطي موقفي •••

فأنا الذى قررت وأنا الذى أتحمل ذلك . مع أنني لم أقرر ذلك الا استنادا الى وعودهم وعلى أرفع مستويات القيادة السوفيتية . اذن هذا هو المطلوب . ومعنى ذلك أنه اذا كان السوفيت برجالهم وعملائهم لم يفلحوا في أسقاطي فهذه هي الفرصة التي أقوم فيها بأسقاط نفسي .. بيدى لا بيد السوفيت .. ودارت الافكار في رأسي والسفير جالس أمامي .. وتذكرت اشتراب يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٧١ . وتذكرت أننا الغينا المعاهدة مع الانجليز يوم أول يناير سنة ١٩٥٧ والسوفيت يستحقون ما استحقه الانجليز . فمعاهدتهم هذه يجب الغاؤها في نفس التاريخ . ولا أعرف كم مضى من الوقت وأنا أتذكر ماقالوا وماقلت .. ودوختني بين الامل واليأس . بين الصبر والغضب . بين الصمت وبين السكوت على الفضيحة .. وتذكرت ماقاله لي المشير أحمد اسماعيل من أن برجنيف كان حريصا على أن يصب الماء البارد على راسي . لأن راسي ساخن .. مع أن راسي ساخن من الداخل ولكن في مواجهة هؤلاء الناس كان راسي باردا .. وأحنيت راسي للعاصفة الهوجاء التي هبت من موسكو فاطاحت بسنة الحسم كلها .. ولكن لن أسمح لها بأن تطيح بي وبآمال شعبي ..

وعندما أحنيت راسي للعاصفة أعترف أنني أحنيته لمصر . فقلت للسفير : قل للقادة السوفيت أنني مسافر يوم أول فبراير ....

من " أوراق "

الرئيس السادات

الجليد ... يذوب :

بين موسكو والقاهره !

١٠

وكما حدث في كل الاجتماعات السابقه في الكرملين : وعود وعهود وورقة تخرج من تحت المائده تعلن عن أسلحه غير مطلوبه .. ولكن الرئيس السادات في هذه المره ايقن انه لا أمل . وكانت هذه نقطه تحول كبرى في العلاقات بيننا وبينهم .. وضاعف الامريكان معونتهم لاسرائيل . وصعدوا الحرب في فيتنام . وظهرت لعبه (الوفاق) الدولي . وكان المطلوب من الرئيس السادات أن يساهم في مسرحيه (استعراض القوى) التي اعدها السوفيت ليهزوا بها الرئيس نيكسون ..

ومن أجل مصر ذهب الرئيس السادات وهو على يقين من انه لا جدوى لشيء يقوله أو يقال له هناك ...

ودعوت الله الا أسافر

الى موسكو لأي سبب

(ليس) من السهل على نفسي • وما كان في أى وقت • أن أقول أن سنة الحسم ذهبت بلا حسم •• وهي عباره قصيره تمر عليها العين في ثانيه ولكن كم من الساعات وأنواع العذاب والهوان عصرت نفسي وطوتها على أشد أنواع المراره التي عرفتها في حياتي • ولو كان الأمر يخصني وحدى لهان كل شيء • وقبل ذلك هانت على نفسي أشياء •• ولكنها قضية شعب • ومستقبل أمة • وقدر منطقه • لقد ذهبت سنة الحسم •• وكان على أنا وحدى أن أواجه الشعب وأقول ما أقدر عليه • وأشهد الله سبحانه وتعالى أنني لم أكن وحدى في هذه المحنه • فقد كان الشعب الصديق معي وكانت مشاعرى كلها تشد أزرى • فشعبنا قد أدرك بوجدانه الأصيل أنني كنت صادق العزم • وأن السوفيت هم الذين أخطأوا فهمي وفهم الشعب وأخطأوا في الحساب • أرادوا أن يكشفوني فانكشفوا • أرادوا أن يفرقوني في وعودى ففرقوا هم بوعودهم • وثار الناس عليهم في كل مكان في مصر والذى يسترجع ماقيل في الصحف وفي البيوت وفي المدارس وفي كل مكان •• يجد أن الناس قد صبوا الغضب كله على السوفيت •• ورغم ذلك وقفت أحييهم وأشيد بصدقتهم • وأذكر لهم مساعدتهم لمصر في أشد الأزمات والله يعلم أنني كنت صادقاً فيما أقول •• ذهبت سنة الحسم • وكان المفروض أن تذهب بي • ولكن أرادة الله ومساندة الشعب • وقد فوتت على السوفيت هذه الكارثه المحققه ••ود افحمت عليهم • فقد كنت حريصاً على أن تكون سنة الحسم • هي (السنه) وأن يكون نضالنا حاسماً لقضية مصيريه •• هذه القضيه أخشى عليها أن تتجمد وأن يصبح جمودها أمراً واقعاً • وأن تكون خطوط القتال خطوطاً طبيعيه لقد حدث ذلك وأنا لا أتحدث من فراغ • وأنما أتحدث من التاريخ الحديث الذى يعرفه أى طالب صغير • يدرس تاريخ أوربا وحروبها المتكرره • فأمريكا وأسرائيل كلتاهما تريد أن يصبح مانحن عليه — وما أسوأ مانحن عليه :— أمراً واقعاً • فتحتل أسرائيل الضفه الشرقيه للقناة والأرض العربيه وبعد عشرين عاماً أو خمسة وعشرين عاماً يتكرر ماوقع في أوربا ••

كما حدث في الاتفاقيات المشهوره على خط نهر الأودر - نيس وكذلك اتفاقية برليـن وتقسيمها الى مدينتيـن • واحده في المانيا الغربيـه والاخرى في المانيا الشرقيه • وآخر تصريح لموشى ديان في ذلك الوقت كان يوضح هذا المعنى تماماً • فقد قال أن اسرائيل في حاجه الى عشر سنوات أو خمس عشرة سنه لكي تجد حلاً لهذه القضيه • والحل الذى ينتظره هو أن يضع العالم كله أمام الأمر الواقع • والأمر الواقع هو أن يبقى اليهود على أرضنا كما هم • ونظل نحن نحترق في عجز ويأس كما نحن •• واذا ظللنا كذلك فهو أقصى العقوبه التي نستحقها •• فهل نستحق نحن هذه العقوبه • نحن نستحق هذه العقوبه وزيادة اذا ارتضينا الهوان • اذا قبلنا الجمود • واذا نظرنا الى الضفه الشرقيه من القناة ولم تغل الدماء في عروقنا •• وأن لنا مئات الألوف من الجنود يعيشون تحت نار الشمس وفوق التراب وأيديهم على السلاح ينتظرون لحظة الانتقام للكرامه للأرض وللعرض • ما في ذلك شك • وقد حددنا لهم سنة الحسم •• ولم يبق أمامهم الا أن يضغطوا بأيديهم على الزناد فتنطلق نيران التحرير •• وانتهت السنه وكأن الجليد الذى سقط على أوربا كلها قد نزل على خطوط النار المصريه فأطفأ نيران السلاح ولكنه أوقد الدماء في العروق • ومزق القلوب••• وكان علي أنا وحدى أن أواجه الملايين • وأن أشيد بالصداقه المصريه السوفيتيه وأن أؤكد أنها قاعدة استراتيجيه لا يمكن أن ننسى فضلها ولا أن نستغني عنها • أقول ذلك اليوم • وقلته أمام مجلس الأمه • وفي نفسي ما فيها •• ولكن الذى في نفسي •• أخبيه جانباً••• فعندما أواجه الشعب يجب أن أعطيه الأمل والأمان •• فاذا الشعب فقد الأمل غربت الشمس من سمائه واذا لم أعطيه الأمان اختفت الأبواب والنوافذ من بيوته وأصبح الناس جميعاً بعضهم عدو لبعض •• فبدلاً من أن نوجه العداوه للأعداء فاننا نستبقيها للأهل والأصدقاء • وهذا لن يكون • وما لم يكن • فقد كان شعبنا عظيماً • ولا يزال •

وقد عرف الحقيقة بأساسه العميق الصادق • ومع أوائل سنة ١٩٧٢ اشتد الهجوم العنيف على السوفيت • فهم الذين تخلوا عنا • لأنهم ارادوا أن يوحدوا لي وللعالم : انني لا أستطيع أن اتخذ قرار • فالقرار قرارهم والرأي رأيهم • تماماً كما عرضوا علينا من قبل أن نستخدم طائرات تتلقى أوامرها من موسكو • ومعنى ذلك – تأديباً وتحذيراً جديداً – انه بعد الآن يجب الا أعلن قرارا قبل أن آخذ موافقتهم على ذلك فسنة الحسم هذه ماكان يجب أن أعلنها قبل أن أخطرهم بذلك • واذا أخطرتهم قامت لجانهم وهيئاتهم تدرس الموضوع سنة بعد سنه • حتى تصل الى قرار • ويجي القرار بعد سنه أو بعد عشرين سنه • هذه هي الأصول التي يريدون مني أن اتبعها والا أخرج عنها ...

واستشعر الناس في مصر أهانه بالغه • وفوجئت في ذلك الوقت بعريضه موقعه من عدد من السياسيين كان من بينهم د • مصطفى خليل الأمين الأول للاتحاد الاشتراكي •• وفي هذه العريضه تحدثوا عن أن مصر تمر بمحنه فضيعه • وأن هذه المحنه تهدد مصر شعباً وأرضاً وحضاره • وأن الاتحاد السوفيتي يقدم لمصر العون الذى لا يسمح بتحرير الأرض واسترداد الحق • وقالت العريضه انه آن الأوان لأن ترسم مصر سياسة التحرير الوطني • على أساس أن قوى مصر الذاتيه وحدها روحيه ومادية • هي الركيزه الأولى الأمينه الوحيده لتلك السياسه •• وانه آن الأوان لمواجهة الأشراف في الاعتماد على الاتحاد السوفيتي •• لأن الاعتماد على السوفيت كل هذه السنوات • لم يحقق تحرير الأرض وردع العدو •• ورغم كل ماأعرفه عن مشاعر الناس • فانا واحد من أبناء الشارع وانا فلاح أدرك تماماً مدى عمق هذه الجراح • فقد دافعت عن السوفيت وعن الصداقه بيننا • وذكرت لهم فضلهم •• بل انني ذهبت الى القول أمام مجلس الأمه أهدد : هذا موقفي • والذى لا يريد أن يتعاون معي فليقدم استقاله أمام المجلس • الى هذه الدرجه كنت أغطي موقف السوفيت • الذين ارادوا تحريتي أمام الشعب وأمام الأمه

العربيه • وأخيراً سافرت الى موسكو يوم أول فبراير • وتكرر المنظر: جلسنا الى المائده الكبيره • كان برجنيف وكوسيجين • ولم يظهر بود جوربي • لا أني لا أحب أن أرى هذا الرجل الذى شتم الجيش المصرى أمامي • واشتبكت معه • وكان من الطبيعي الا يعود الى مثل هذه الجلسه تفاديا للاحتكاك وبعد الكلمات التقليديه والحفاوه من جانبهم ومن جانبي •• دخلنا في الموضوع • فهناك موضوع ••ولا بد انهم يعرفون أن في قلبي الكثير • وكنت انا أول المتكلمين وسألت بوضوح : من الذى أمر بمنع وصول الاسلحه الينا • مخالفاً بذلك ماسبق أن اتفقنا عليه في اجتماع ١١و ١٢ أكتوبر سنة ١٩٧١ •• اظن أن من حقي أن أعرف ذلك • وانطلاقاً من الوضوح الذى انشده المصارحه التي جعلناها اسلوباً في الحديث بيننا • وبمنتهى الاخلاص اريد أن اعرف ذلك الآن•• ونظرت الى برجنيف وكوسيجين • وانتظرت لحظه وجاء الرد من برجنيف فقال : انا الذى قررت ذلك • سألته لماذا ••

أجاب : انه الروتين عندنا • وانت تعرف اننا نشكو من هذا الروتين• وان الطريق امامنا طويل لكي نتخلص منه • فقد كان في بيننا أن نبعث لك بالاسلحه لولا هذه العقبات التقليديه عندنا • فقلت له : انت طبعاً قررت هذا • لانك تعلم عن يقين • انني لا استطيع أن ارد عليك• فانا أصدقك • وانا اعتبرك صديقاً قادراً على التفاهم والاقناع •وانا مؤمن انك معنا بقلبك •• والحقيقه ان برجنيف هذا • رجل سياسي ممتاز • وانه قادر على الفهم والتفاهم • وانه معنا بمشاعره حقيقه • وانا صادق فيما اقول• وقد قلت هذا المعنى كثيراً في موسكو وفي القاهره ولعدد كبير من الساسه في الشرق والغرب • ثم اعطيت الكلمه لكوسيجين رئيس الوزراء • فقال : ياريئيس السادات اريد أن اؤكد هذه المره •• اريد أن اؤكد لك انه من الآن فصاعداً باعتبارى رئيساً لوزراء الاتحاد السوفيتي في الوقت المتفق عليه وبالاسلوب المتفق عليه • لعلك ترض وتهدأ وتهدأ • ولن يتكرر ماحدث قبل ذلك • ونحن شديدو الاسف لكل ماوقع منا قبل ذلك • فهل يرضيك الآن ماأقول •• ولوكانت مثل هذه العبارات قد سمعتها مره واحده أو حتى عشرين مرة لهان الامر •• ولكن هذه

المعاني سمعتها حتى سئمتها • وتطلعت الى وجه كوسيجين ومنعت نفسي من أن أستعرض تاريخه العجيب في الحكم •• والذى أعرفه جيداً ثم توجهت الى برجنيف وقلت له : أن العواقب أسوأها تتصورون • أن أشاعة سنة الحسم قد أصابتني في أعماقي •واوجعت شعبي •• ولكن أحب أن أؤكد لك أن نتائج أخرى أسوأ من ذلك سوف تصيب السوفيت في المنطقه • اذا كنتم لا تدركون ذلك فأنا هنا أؤكد لكم هذه الحقيقه • أنني أتحدث اليكم كصديق • وقد أكدت هذه الصداقه وفي كل مناسبه أجدد ذلك • حتى على الناس وطلت أنا أيضاً •• أن موقفكم هذا سوف يسيء اليكم أسماء بالغه • خذوها مني •• والسوفيت حريصون على جمين قواعد الاخراج المسرحي • فكل شيء تقليدى لا يتغير •• فالاجتماع يبدأ في هدوء • أنا في ناحيه وهم في الناحيه الاخرى وتتبادل كلمات التحيه التي ظاهرها الحراره وباطنها الغليان من جانبي وبرودة الجليد من جانبهم • ويبدأ أحدنا في الكلام ويرد عليه الاخر ويحتدم النقاش • ويتطوع واحد منهم بمضايقتي واهانة الجيش المصرى أو الشعب المصرى أو اهانتي شخصياً • ويتقدم برجنيف وهو الذى يفعل ذلك دائما بتهدئتي • وبالاعتذار عن الذى حدث في هذه الجلسه وفي الجلسات السابقه • وبدلاً من أن يسدل السوفيت الستار فأن واحدا منهم يخرج من جيبه ورقه فيها قائمه بأسلحه لم أطلبها • ولا أريدها • وفي نفس الوقت لا ارفضها • لانها الى ما عندى من سلاح • كل شيء بهذا الترتيب الجامد القاطع •• القاطع للانفاس ولكل خيوط الامل أن يحدث شيء جديد لصالحنا أو حتى لصالحهم هم • ولكن في هذا الاجتماع حدث شيء من التغيير البسيط الذى جعل الاجتماع منعشاً الى حد ما •• كأن بابا قد انفتح فجأة ودخل هواء ساخن تغييراً في جو الغرفه •• هذا الهواء الساخن هب من ناحية جريشكو وزير الحربيه في ذلك الوقت • وهو صديق • وأنا أحبه حقاً وأكن له كل الاحترام • الله يرحمه • فقد تدخل في المناقشه •

وثرت عليه قائلاً : لو كنت وزيراً للحربيه عندى لعزلتك فوراً . فنحن نعرف أن أى وزير في روسيا لا رأى له . وأن وزير الحربيه والجيش جميعاً على الهامش . والرأى أولاً وأخيراً للحزب . وعلى الرغم من ذلك فقد حاول جريتشكو أن يقول كلاما ليس من شأنه . أو اذا قاله . فلن يكون مسؤلاً عنه . وانما هو كلام من باب اثبات انه موجود والسلام . وقلت له : ماذا كان يحدث لك لو أن طائرات معاديه قد هاجمت لك مصنعاً مثل مصنع (أمو زعبل) وقتلت مئات العمال . أو هدمت لك مدرسه أطفال مثل مدرسة بحر البقر . ماالذى كنت تفعله . وما الذى كان يكفيك لكي تشرب من دم عدوك .. وتدخل برجنيف لفض هذا النقاش الحاد . وانا ارتاح لهذا الرجل برجنيف . ويعجبني فيه انه الرجل السياسي القادر على الفهم السريع والاستيعاب . وانفض الاجتماع الذى اكدت فيه كما حدث في كل مره انني لا اريد جنديا روسيا واحدا يحارب من اجلنا .. ولا اريد مواجهة بين السوفيت والامريكان في المنطقه وأن تكون مصر هي السبب .. وخرجت الورقه من جيب برجنيف وتقول بالحرف الواحد : وافق المكتب السياسي للحكومه السوفيتيه على تزويدكم بالاتي : ....

وتسمع برجنيف وهو يقرأ هذه القائمه وكأنه شاعر يتغنى بجمال الطبيعه .. مع أن كل هذه القائمه لا تحتوى على شيء واحد اقولها مرة أخرى .. وتحتوى على شيء واحد طلبته أو أشرت اليه .. أو تحتاج اليه .. انها ولا شك قدره طبيعيه عجيبه .... أن يقول الانسان الشيء الواحد الف مرة دون أن يستشعر الملل أو القرف ولا بد أن يكون المطلوب طبعاً هو أن يصيبني الملل والقرف والسأم فاقول بأعلى صوتي : لا .. لا اريد شيئاً من هذه الاسلحه التقليديه ولكني لا افعل . وكما هي عادتي فانني ابتلع غضبي ومعه كرامتي واقول لنفسي : أن هذه الاسلحه مهما كانت قيمتها المتواضعه جداً فهي اضافة الى قوة مصر ....

ثم أن الطريقه التي يلقي بها برجنيف هذه القائمه والعقد والخاتمه تضعني في موقف صعب جداً . هذه الصعوبه تحتم .. أن أقلها ... والا ... والا أضطر برجنيف الى دعوة المكتب السياسي واللجنه المركزيه لمناقشة الرفض . أو لمناقشة أضافة وحذف أسلحه أخرى .. ومعني ذلك الا أخذ هذه الاسلحه . فلا أملك الا أن أقول موافق . حاضر ولكم الشكر على ماقدتم وتقدمون أو سوف تقدمون لنا من أسلحه . وللتاريخ وللذين يدرسون تاريخ العلاقات السوفيتيه المصريه التي أريها من تجربتي الشخصيه أومن تجربتي كشخص وكرئيس لمصر . أقول أنني شعرت بالتشاؤم وعذري معي . وهو عذر واضح فالذى رأيته وسمعته هذه المرة قد رأيته وسمعته قبل ذلك . وهذه هي المره الثالثه . فما معنى ذلك .. لا معنى عندى الا أنهم يستخفون بي يلعبون بي وبقدرى وبمصر . فلا الاتحاد السوفيتي كبيراً جداً . ولا أنا صغير جداً . والاتحاد السوفيتي صادق اذا تصور انه وحده القادر على الفهم وعلى تسير الامور .. فنحن أيضاً قادرون على الفهم . وعلى معرفة مايفعلنا وما يضرنا أنها قضيتنا في الدرجه الاولى . وعلينا أن نحسم مانراه . وأن نتحمل النتائج . ونحن قادرون وعلى أستعداد تام لكل شيء من أجل مصر .. أن السوفيت حاربوا واستماتوا من أجل أنفسهم . فكيف يتصورون أننا لن نفعل ذلك ...

وعندما أستعيد هذه الجلسه التي كانت نقطة تحول حقيقيه في العلاقات بيننا . أجد أن كوسيجين هو الذى تعهد هذه المره بكل شيء . وكوسيجين هذا رجل سياسي عتيد .. انه أخر رجال الحرس القديم .. انه أخر الذين شاركوا في قيام الثوره السوفيتيه . وهذا الرجل الكبير القدير لابد أنه يعني مايقول فهذا الرجل قد عمل وزيراً في عهد ستالين ثلاثة عشر عاماً . وكان ذلك مستحيلاً لولا أن ستالين الجبار فقد كان الوزير اذا طالت مدة خدمته . فانه يبقى عاماً أو عامين . ولكنه أستطاع أن يصمد هذه الفتره الطويله التي تعتبر رقماً قياسياً .

وكان ستالين طاغيه من الطراز الاول • باعترافهم وشهادتهم ويكفي ماقاله خروتشيف نفسه عن ستالين في بيان المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي • لقد سمعت من خروتشيف هذا سنة ١٩٦٤ في حديث شخصي وكنا ثلاثه : جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وانا : ان ستالين ايام الحرب كان يستدعيهم في الساعه الحادية عشرة من مساء كل يوم • وكان كل واحد منهم يودع زوجته واولاده • لانهم يعرفون مقدما ان هناك نهايتين تنتظرهما : اما الاعدام رميا بالرصاص لاى سبب • واما النفي الى مجاهل سيبيريا • وكان يتولى تنفيذ ذلك وزير داخلية رهيب •• اسمه بيريا •• هذا ماسمعته من خروتشيف وقد طلب الينا الا ننشر ذلك • ثم انه في بيانه في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي قد اعلن أن ستالين كان يطلب اليهم أن يرقصوا امامه • وكان يتسلى بهم ويضحك •• وبعد أن يضحك عليهم وهم يتساقطون من الشرب ومن الاعياء يجيء النوم فيداعب جفنيه وينام •• كل ليلة •• وهذا يذكرني بما كان يفعله الامبراطور الروماني كاليجولا فقد كان يجمع الشعراء والفنانين ويطلب اليهم أن يرقصوا على ساق واحد •• ثم أن يلقوا بانفسهم من النوافذ •• وكان يسعده أن يتحول الشعراء الى بهلوانات ثم الى موتى •• فاذا فعلوا ذلك جاء النوم ليريح بدنه واعصابه التي تعبت من رؤية الشعراء والفانين وهم يتهشمون انفسهم امامه •••

واستطاع كوسيجين أن يعيش مع ستالين وأن يتآمر عليه •• وأن يعيش مع خروتشيف وأن يتآمر عليه •• وأن يعيش مع برجنيف الآن •• ثم هو الذى يحدثني بأن يقول لي بكل ماتعهد به في هذا الاجتماع • فماذا اقول •• هل يصدق هذه المره •• هل هو طراز مختلف •• هل يستطيع أن يفعل بمفرده شيئا لم يقرره المكتب السياسي واللجنه المركزيه ••ولماذا لم يتعهد برجنيف اذا كانوا صادقين هذه المرة •• ثم ماالذى جرى في الدنيا ليجعلهم صادقين هذه المره •• ماهي المعلومات التي تلقوها عن مصر اوعن العالم العربي تدفعهم الى تغيير موقفهم • ثم اليسوا هم الذين يؤكدون دائما انه لاحرب ••• وأن الحل السلمي هو الحل •••

ولكن كيف يكون سلام دون استعداد للقتال، كيف، هل انا اقنعتهم بشيء هذه المرة، عدت الى مصر هذه المرة .. جيبي خال . ولكن قلبي ملآن . قلبي ثقيل . يكاد يهبط في قدمي . واحسست تماماً انني كرة يلعبون بها .. ارادوا ان يجعلوني كرة يلعبون بها . ولكني ارفض ذلك رفضته وسوف ارفضه ويرفضه شعبي من ورائي ومن امامي ومن حولي . وانا معذور اذا استعرضت صور الماضي كلها وانتهيت الى حقيقه واحده انهم يراوغونني . فعلوا ذلك مع جمال عبد الناصر حتى قضوا عليه حتى قتلوه . ويحاولونه معي .. فاذا كان هناك جليد فهم لا يذيبونه وانما هم يضاغونه ويكدسونه .. وعدت الى مصر وانا لا اقوى على ان احمل قلبي بين جوانحي .. وكل ما مضى هو وعد ببعض المواريخ القديمه وتلاحقت الايام . مضى فبراير كله . ومن بعده مارس وابريل . وفجاة ظهر واحد ساحر على مسرح السياسه الدوليه . الساحر في يده عصا وعلى راسه قبعة . وعرض القبعة على الناس . وتاكدوا انها خاليه تماماً . ضرب القبعة بالعصا وخرج الارنب . هذا الارنب . اسمه (الوفاق) بين روسيا وامريكا . وهذا الحاوى الجديد اسمه : هنرى كيسنجر .

مفاجاة . الامريكان يريدون وفاقاً مع الروس . يريدون ذوبان الجليد بينهما واستئناف الملاحه والتجاره والصداقه . والاحضان والقبلات . هل جداً وان اللقاء الموعود سوف يتم يوم ٢٠ مايو في موسكو . وان الرئيس نيكسون هو الذى سوف يبدأ بتذويب الجليد + او بتكسيره او بازالته من الطريق الشائك المليء بالالغام بين واشنطون وموسكو . شيء عجيب . ولكن ما هو المعنى الذى استخلصه انا من هذا الاتجاه الجديد او الموجه الجديدة او هذا السحر العظيم : لابد ان اجد لي تفسيراً .. ولابد ان اعرف اين انا واين شعبي من هذه اللعبة الجديدة .. اعود الى اول يناير ١٩٧٢ ماذا جرى .. اعلن مستر روجرز وزير خارجية امريكا انه سوف يمد اسرائيل بمزيد من الفانتوم . اى انه يريد ان يحدث خللاً في ميزان القوى . وان يكون ذلك لصالح اسرائيل . هذا المستر روجرز قد هاجمته بحلف السيده جولدا مائير .. ومسحت به الارض ..

ولم يجرؤ أن يرد عليها بكلمه واحدة • وانما كان رده يشبه الاعتذار العظيم لها : المزيد من طائرات الفانتوم •• ولكن المشكله أكبر من ذلك فأمريكا قد خسرت معركتها بين الهند وباكستان • ثم انها حاولت أن تقوم بتعويض لهذه الهزيمه فراحت تصعد المعارك في فيتنام •• تصعد الموقف في الشرق الأوسط وتتحدى وتقول لنا وللسوفيت انها هي الدوله التي في يدها كل شيء في الشرق الأوسط والشرق الأقصى •• فهل مستر هذا يريد أن يمشي على سياسه سلفه مستر دالاس بأن يدفعنا الى حافة الحرب أو حافة الهاويه • انا لا أعتقد انه قد أحسن فهم الموقف • ويكفي أن يستعيد بذاكرته ما الذى فعله دالاس • ثم ماذا كانت النتيجه لم تنفع سياسة دالاس ولم تأت النتيجه الموجوده • بل كانت النتائج عكسيه تماماً • ونحن لم نخف من دالاس • ولن نخاف من روجرز •• ثم اننا قد انتصرنا في كل معاركنا ضد الأمريكان في المنطقه • وسوف ننتصر •• أكثر من ذلك • فقد أعلن روجرز أيضاً أن الولايات المتحده سوف تزود اسرائيل بمصانع لانتاج الأسلحه • هذا ما تفعله الولايات المتحده لاسرائيل ! فما الذى يفعله الاتحاد السوفيتي لمصر • لقد تعبت مع الروس من تكرار عباره واحده : ياناس أريد أن أصل في التسليح الى مستوى اليهود •• أجعلوني وراءهم بدرجتين • وليس بعشرين درجه • انهم هم المحتلون لأرضنا • ونحن نريد تحرير أرضنا • فكيف يكون ذلك ونحن بفضلكم • على هذه الصوره من التخلف • قلتها مئات المرات • ولا حياة لمن تنادى • انا الذى أقول وانا الذى أسمع • أما هم • فكما ذكرت أكثر من مرة : لا أحد يسمع • واذا سمع فانه لا يهتز • واذا اهتز فلكي يخرج ورقه تقول : قرر المكتب السياسي ••• أى قرر المكتب السياسي تزويدنا بكل الذى لا نحتاج اليه من سلاح •• انها اذن حرب أعصاب تشنها الولايات المتحده • هذه الحرب قد تردد صداها عند فلاسفة بيروت •• فامتلأت الصحف بالاجتهادات والتخمينات • وتحول الكتاب هناك الى أناس يفتحون الكوتسيله • ويقرأون الفنجان ويقولون •• وكل واحد أصبح ماريشالا في العسكريه وقطباً في السياسه •• وأصبحت الكره الأرضيه كلها حبه في مسبحة طويله تلعب بها أصابع الصحفيين والسياسيين •• لقد انتهت الدنيا والعالم كله سوف يخرب • وأمريكا

تقف وراء اسرائيل . ومصر ليس وراءها احد كأن الملايين من شعبنا الواح خشبيه ليست لها قوه ولا تاريخ طويل عريض عميق . انهم في بيروت يقررون ويحتكرون التفكير . ونحن هنا لا نقرر ولا نفكر . وانما نائمون في الهزيمه غارقون في اليأس . ونحن راضون بذلك وراضون بما هو اسوأ من ذلك : أن نتلقى تفسير احلامنا من بيروت .. أن مصر لم تهبط الى هذه الدرجه . وأن احدا لم يتعاظم في اى مكان في العالم العربي الى هذه الدرجه . فالمعركه هي معركتنا . لا شك في ذلك . ونحن الذين سوف نحارب . لا جدال في ذلك واستعدادنا للتضحيه الى غير حد وهذه حقيقة .. وانتقلت عدوى الفلسفات البروتيه الى بعض المثقفين في القاهره واهتزوا وارتعدوا .. وتسلل الخائفين معلى غريب : اذا كانت امريكا وروسيا تتفقان . فلماذا لا نتفق نحن ايضا : اى لماذا لا نفعل ما فعله المان شرقا والالمان غربا . لماذا لا نتفق مع اليهود وينتهي كل شيء بلا حرب .. أن امريكا تتفق مع روسيا . وامريكا اتفقت مع الصين وهذا اكبر واعظم الامثله في التاريخ !!

ونسى هؤلاء المرجفون المترجفون أن هذا هو المطلوب . وأن هذه هي سياسة اسرائيل منذ المؤتمر الصهيوني الذى انعقد في سويسرا سنة ١٨٩٧ والذى قرر أن تكون دولة اسرائيل الكبرى ممتده من النيل الى الفرات .. اى ليس الوقوف فقط عند قناة السويس وانما الاستيلاء على كل شرق الدلتا . فقد خرج اليهود من الزقازيق . ابتداء من فرع دمياط فهذه المنطقه تسميها التوراة ارض جاشن .. والخرائط التي يحملها الطيارون اليهود الذين سقطوا في ايدينا كانت كتوبه باللغة العبريه وكتوبا عليها أن كل الارض شرق الدلتا هي ارض جاشن .. بل مصر كلها ارض جاشن .. ولكن لم يتسلل هذا الفزع الى القاعده العريضه من الشعب .. الى التسعين في المائه الذين وقفوا ورائي صفا واحدا يريدون شيئا واحدا .. تحرير الارض . ومضى اكثر شهر ابريل ..

وفجأة جاءني السفير السوفيتي ...

يقول لي : القادة السوفيت .

قلت : خير .

قال : يريدون رؤيتك يوم ٢٨ أبريل ..

قلت : لماذا .

قال : زيارة قصيره جداً .

قلت : قصيره جداً .. ماذا تقصد ..

قال : ٢٤ ساعه فقط .

قلت: أزورهم ٢٤ ساعه .. ياسلام .. ماهذه الزياره .. وما الذى سيتم فيها بهذه السرعه . كان في أستطاعتهم أن يبعثوا الي رساله . وتقوم هذه الرساله مقام الزياره .. أو أبعث اليهم أنا رساله تستغرق قراءتها خمس دقائق . وتكون بمثابة زياره قصيره جداً جداً . مارأيك ..

قال : أن الموقف جاد .

قلت : وأنا جاد . ولم أكن قط معكم الا جاد جداً .

قال : أرجوك . في عرضك . في طولك . ٢٤ ساعه تكفي .

قلت: أنا الذى أرجوك وأنا الذى أقول لهم وأقول لك :في عرضك .. في طولك .. أنا قرفت . أنا زهقت . أنا ضقت بكل هذه الزيارات . وليس هناك أى أمل في أن يحدث أى شيء جديد . أنا عارف .. وأنت عارف وهم عارفون . والعالم كله الآن يعرف ما الذى تفعلونه بمصر . وما الذى يفعله الأمريكان لليهود .. أرجوك أن تبلغهم أنني لاأريد هذه الزياره . أرجوك .

وكانت الزيارات الثلاث الماضيه بناء على طلبي . أما هذه الزياره فقد كانت من القاده السوفيت . ودارت كل الأحداث والأحاديث في رأسي . ماذا ياترى يعده السوفيت . ماهو هذا الشيء العاجل جداً الذى يمكن أن يتم في ٢٤ ساعه . ماهذا التغيير المفاجيء الذى أطرأ على أدمغتهم هذا . ما الذى يدبره المكتب السياسي واللجنه المركزيه للحزب. هل أستطاع هذا السياسي العتيد كوسيجين أن يقنعهم بشيء جديد ..

أن رأسي يحسب الف حساب لكل شيء .. ووجد تلي قد وصلت الى شيء بسيط ومهم جداً هو أن نيكسون سوف يزورهم يوم ٢٠ مايو . وهم في حاجه الى أستعراض قوتهم في الشرق الأوسط . وأين . في مصر ذات المركز الرفيع في الشرق الأوسط وفي العالم العربي وفي افريقيا . ومن مظاهر قوتهم وحضورهم في مصر أنهم أستطاعوا أن يفوتوا سنة الحسم .. نحن قلنا أنها سنة الحسم . وهم الذين قالوا أنها فعلاً سنة الحسم ولكن بين الهند وباكستان وليست سنة الحسم بين مصر وأسرائيل . فهم الذين يقررون ويقدرون ويدبرون ويفكرون ويستدعون رئيس دولة مصر الذى أحرجوه أمام الملايين ورغم هذا الأحراج الرهيب فقد جاءهم في موسكو لأجتماع عاجل قبل زيارة نيكسون . وطبعاً لن يعرف أحد ما الذى قالوه لرئيس مصر . ولكن يكفي أنهم قالوا له : تعال فقال : حاضر ..

هذه الصوره المروعه ـ اذن ـ هي المطلوبه أمام الأمريكان لكي تكون دليلاً على قوة السوفيت وحضورهم في المنطقه وسوف تكون هذه نقطة تضاف الى حسابهم على مائدة (الوفاق) التي أعدها الساحر الجديد هنرى كيسنجر .. يعني المطلوب مني أن أقوم بدور في مسرحية (أعظم أستعراض في العالم) التي يعدها السوفيت قبل زيارة نيكسون ولم أكن في حاجة الى مجهود عقلي كبير لكي أدرك هذه الحقيقه . اذن هذه الزيارة تافهة الشكل . والمضمون من وجهة نظرى . ولكنها من وجهة نظر السوفيت جزء من اللعبه التي يريدون أن يبهروا بها الأمريكان . وكنت قد دعوت الله مخلصاً وصادقاً ومن كل قلبي : اللهم لا تضطرني الى زيارة موسكو هذه . اللهم لا تجعلني أرى هؤلاء الناس . فقد تعبت وتحملت ما لا يتحمله البشر . اللهم رحمتك . وأفقت من حيرتي والسفير السوفيتي جالس أمامي . ووجدت أني قد أنقسمت على نفسي بين : المصرى الفلاح المقاتل .. ورئيس الدوله .. فباسم المصرى الفلاح قلت : لن أذهب . أما باسم رئيس الدوله فقلت له : نعم أذهب الى موسكو . وأقابل القادة السوفيت ولمدة ٢٤ ساعه وأقل من ذلك اذا أرادوا ...

من "أوراق"
الرئيس السادات

الجديد ... يذوب:
بين موسكو والقاهره !

١١

واخرجت ورقه قائلاً: عندى سبحة مطاليب محدده لم تلق مذكرات سياسيه في العالم العربي مالقيته (أوراق) الرئيس السادات التي تنشرها معنا جريدة(السياسه) اليوميه في الكويت و (الرياض) اليوميه في السعوديه ...

واهميه (أوراق) الرئيس السادات هذه : انها للمرة الاولى في التاريخ يسجل رئيس دوله عربيه تفسيراً وتحليلاً للعلاقات بين مصر وروسيا • من واقع تجربته : كرئيس لمصر ، شارك في كل الجهود المضنيه من أجل تصحيح مسار الاحداث والمساهمه في صنعها • ثم كان اسلوبه واضحاً • وكان منطقه موضوعياً وكان في جميع الاحوال مصرياً عربياً مخلصاً • وكان يتحلى بالصدق والصبر • وهو يضع مصر فوق كل اعتبار شخصي ونفسي • ولذلك يؤكد دائماً: انه من أجل مصر هانت عليه اشياء كثيره • وتهون وسوف تهون • فليست القضيه قضية شخص يرأس دوله • ولا قضيه ماأصابه في شخصه • ولكن المهم والاهم دائماً؟ مصر وماسوف تحصل عليه مصر وماتصل اليه وماتحققه • وتوجه الرئيس السادات في (أوراقه) هذه الى المؤرخين ودارسي التاريخ والى شباب مصر - ونصف سكان مصر دون الخامسة والعشرين - يحدثهم عن الذى

جرى ويجرى وراء الستار • وقد أخذ الرئيس السادات نفسه بمنتهى الشدة: فقد ألى على نفسه أن يكون صريحاً ولا يحجب شيئاً من أحد •• والا يحجب مايحدث لمصر ويصيبها عن مصر وعن الامه العربيه •• وايماناً منه بأهمية ماحدث • فقد سجل التاريخ تاريخه هو وتاريخ دوره القيادى ودوره الريادى وثورته والثوره التي سبقته وساهم في تحويلها وتطويرها وتصحيح مسارها ومدارها •• كل ذلك سجله بصوته •• فالتاريخ : ذاكرة الشعوب •• والتاريخ هو المسرح الذى يتحقق عليه وبه المزيد من التحرر من الظلم والجوع والمرض والجهل •• والرئيس السادات اذا كانت السياسه هي حياته • فأن الحديث وصناعة الكلام وسيلته الى الناس والثوره على الاوضاع •ولذلك مجده العظيم عندما حرر الكلمه وأصحاب الاقلام فقد كان صحفياً وكان مؤلفاً وقد عرف في سجنه متعة القراءة ولذت ـ أن يتعلم اللغات وأن يحرص على الكلام بها في أرفع المناسبات الدوليه •• وهو في هذه الحقيقة من (الاوراق) يكمل رحلته الرابعه وفي عام واحد الى موسكو وفي قلبه مافيه وأحلامه تسبقه الى موسكو •• وهو يعلم عن يقين أن هذه الزيارة وما تلاها من أحداث هي (فقره) هامة في البرنامج الاستعراضي الكبير الذى يسبق زيارة الرئيس نيكسون •• وقد اتفق مع السوفيت في شيء واحد : أن نيكسون ليس قادراً على أن يحل أو يربط أو يرتبط بشيء •• ولكن لا بد من التأثير عليه بالقوه ••• أى باستعراض القوه •• وسوف يبدو ذلك أوضح فيما بعد عندما يروى الرئيس السادات كيف جرى كل شيء وتحشد قبل حرب أكتوبر وبعدها ••حتى اليوم •••

من عادتي عندما أسافر في مهمة أن أفكر كثيراً فيما سوف يحدث ويدور في نفسي حوار طويل أجيب فيه عن كل التساؤلات وأستعرض الأحداث والصور • وأستوقفها وأتوقف عندها •• فاذا نزلت من الطائرة كنت كمن قرأ كل ملفات القضيه واتخذ قراراً • أو على الاقل كنت فاهما بوضوح شديد لكل ماسوف أقول ويقال لي •• وفي رحلتي الرابعة هذه الى موسكو استعرضت كل الصور وكل الاحداث وكل الوجوه • وكل الذى قلت وقيل لي •• وما أثار وما أغضبني وما هدأ نفسي •• ثم الاهانات التي لحقت بي بمصر وبقواتنا المسلحه •• وتنتهي هذه المراجعة والمحاسبة والمناقشة الى نهاية واحده : لابد من الصبر • فانا في حاجه الى مزيد من القوه • والمعركة طويله • وليس أمامي الا مصدر واحد للسلاح وصديق كبير هو الاتحاد السوفيتي •• وهذه حقيقة قلتها مرات كثيره • ولكن الذى أقوله لنفسي شيء والذى أقوله للآخرين شيء آخر •• فانا وحدى الذى يعرف الحقيقة وأكتمها عن الناس ـ وقد حدث هذا كثيراً كما قلت • وكما سوف أرى عند الاعداد لحرب أكتوبر والجسر الجوى ومابعد ذلك ـ لأن لي هدفاً من هذه المذكرات هو أن أعرض لجانب خطير من تاريخ مصر ••• بصدق وأمانة وقد اليت على نفسي أمام الله وأمام شعبنا أن أضع الحقيقه • مجردة من الغرض والهوى • وعلى الاجيال القادمة أن تحكم لنا أو علينا • والله على ما أقول شهيد •• وفي الطائرة سألت نفسي : ياترى هل يتغير شيء هذه المرة • هل من مظاهر استعراض القوه أن يتظاهر السوفيت بالعطاء والسخاء ويمنحوني ماطلبت من أسلحة • وما تعهد به كوسيجين ذلك السياسي العنيد المتشدد أنها فرصة أمام السوفيت ليؤكدوا للأمريكان أنهم هم الذين قرروا أن سنة ١٩٧١ لن تكون سنة الحسم •• واذا أفلح الروس في اقناع الأمريكان بذلك لايهم •• وانما المهم أن يعطوني سلاحاً • لقد ذهبت سنة الحسم ولابد أن أفكر في هذه السنة وما بعدها ••

فهل سيتغير السوفيت قليلاً أو كثيراً . هل أعود هذه المرة أحسن حالاً . أتمنى ذلك .. وأن كانت في داخلي حاسة غريبة تؤكد لي أن شيئاً من ذلك لن يحدث .. أن هذه الحاسة التي في أعماقي لم تكذب قط . هل هي الفراسه . وهل هي السادسة . انها لم تخني مرة واحده . فانا أستعين بها في الحكم على الاشخاص وعلى الامور الحاسمه في حياتي السياسيه . تمنيت من الله أن تكذب هذه الحاسة هذه المرة وأن أعود من موسكو خفيف القلب ثقيل الجيب ... ربنا كريم ..

وتوقفت الطائرة في مطار موسكو . ووجدت أن كوسيجين رئيس الوزراء في انتظاري . والاصول أن يكون برجنيف هو الذي في انتظاري . فهو الرجل الاول في بلده كما أنني الرجل الاول في بلدي . هنا أحسست بضيق شديد فحاستي السادسه لم تكذب هذه المرة . وهذه هي البدايه فرئيس الوزراء الرجل الثاني جاء لاستقبالي . وتلاشت حاستي السادسه مع الاحضان والقبلات والتحيات والانحناءات . وتخطيت ببالطوكيف ورتته من الايام والمعاناة أشده . : الصبر والمزيد من الصبر . لم يكن يهمني طبعاً أن يجيء بودجورني رئيس الدوله لاستقبالي . لانه الرجل الثالث عندهم . وانا لا أحب أن أراه . صحيح أن مجيء كوسيجين أهون من مجيء بودجورني ولكن مجيء كوسيجين لا يليق .. واتجهنا الى الكرملين .. وسمعت أعتذاراً من عدم مجيء برجنيف وكلمات حلوه كثيرة . كل ذلك لا يهم لانه لا قيمة له . فانا لم أذهب الى موسكو لاشترك في مهرجان للشعراء والادباء وليسمعوني أجمل العبارات والتحيات . فانا أعرف لماذا أنا جئت . وهم أيضاً يعرفون . والله وحده يعلم ما أحببت قط أن أجيء الى هذه المدينة . ولا أن أرى مارأيت وأسمع ماكرهت أن أسمع ..

وفي الكرملين جلسنا حول المائده . وكل الذي يهمني هو أن يكون برجنيف موجوداً . وكان هناك . كوسيجين وجريتشكو وذلك الرجل الكريه بوناماريف المسؤول عن نشاط الاحزاب الشيوعيه في العالم وفي العالم العربي . وهو الذي أستطاع أن يخرب لهم الشرق الاوسط . بغباوته واعتماده على

المعلومات التافهه . وعلى اشخاص اكثر تفاهة في تقدير الموقف في الشرق الاوسط .. كان هذا الرجل موجودا ايضا .. ولكنهم جميعا ظلال في الصورة . او ظلال للتمثال الحقيقي وهو برجنيف . فانا استريح الى هذا الرجل لانه رجل له عقليه سياسيه متفهمة وقادرة على الحكم وعلى القرار . وما دام هو موجودا . فكل شيء يهون او كل واحد من هؤلاء يهون في عيني فلا يصبح شيئا . لانه هو الرجل الذى اقصده بالزياره والحوار والقرار وهذا السؤال :

يا اخ برجنيف .

نعم ..

اريد ان اسأل وان ابدأ بالكلام معك . فقد تكلمت مع نفسي كثيرا في الطريق بين القاهره وموسكو .. واريد ان اسمعك ماذا في نفسي .

ـ على ايتعداد ان اسمع كل ماتقول . تفضل سيادتك .

ـ سؤال بسيط جدا . هل كان من الممكن ان يجيء نيكسون الى موسكو في ٢٠ مايو القادم لولا ماحدث في فيتنام في الثلاثة الشهور الاخيرة .

ـ اريد ان توضح لي ماتقول ..

ـ هذا بالضبط ما اريد . هل كان من الممكن ان يجيء الامريكان الى هنا لولا الهزيمه الحقيقة التي اصيبوا بها في فيتنام بسبب السلاح السوفيتي المتطور الذى يستخدمه الفيتناميون .. هل كان هذا من الممكن لولا الهزيمه الحقيقه التي اصابت امريكا في فيتنام . والتي هزت صورتها في العالم كله .. هل كان من الممكن ان يحدث اى تحرك سياسي بغير هذا التحرك العسكرى العنيف ...

ـ الان فهمت .

ـ هل توافقني على ما اقول ..

ـ نعم اوافقك على هذا التحليل .

يعني من رأيك ان التحرك السياسي جاء نتيجة للتحرك العسكرى ..

ـ نعم ..

– الا تـرى أن هناك تشابهـا بل تطابقاً موحـداً بيـن الـذى حـدث فـي فيتنام وبين الذى أريـده أن يحـدث في الشرق الأوسـط ..

– نعـم أرى ذلـك .

– أذن أنـت ترى أننا في مصر لا يمكن أن نتحرك سياسياً دون تحرك عسكرى ..

– أنـا أقـرك على ذلـك تمامـاً .

– الا تـلاحظ أن هـذا بالضبط ما أطلبه وماطلبته وماوعدتني بـه أكثر من مـرة . فالذى حدث في فيتنام صورة صارخه هائله لما يجـب أن يحـدث عـنـدنـا .

– أوافقـك تماماً على ماتقـول . وأرى أن تحليلـك للموقـف يتفـق تمامـاً مـع تحليلـي أنـا أيضـاً .

– يعـني أتفقـنـا ..

– نعـم . نحـن متفقـون في ذلـك .

– الا تـرى أن الذى حدث في فيتنام هو شيء عـجيب : لا أنتم أكلتم هزيمـة الأمريكان . ولا أمريكان أكلوا الا تنصـار عليهـم ..

– تمـام ..

– أذن هـذا التحرك .. هـذه الصدمه العسكرية التي أدت الـى هـذا التنشيط السياسي .. الى هـذا الوفاق .. أو محاولة الوفـاق .. أو وضـع الأيدى في الأيدى .. تمهيداً لوضـع السـلاح ..

– أوافقـك تمامـاً .

لقـد قال أنه يوافقني تماماً . واسترحت نفسياً . وكأن جبلاً على صدرى قـد تحـول الى هباء بعيداً عني .. وأحسست أنني قـد استرجعت قلبي وتراجعت في مقعـدى وأرحت ظهـرى ومددت ساقي تحت المائـده .. أو تخيلـت أنني فعلـت ذلك كلـه . فاسترحت .. فقـد أردت أن يفهمني الرجل . وقد فهمني وقـد أقرني على كل ماقلت لنفسي . ولما أطلعتـه على دخيلـة نفسي . أعلن أمام الجميع أن تحليلي للأمور سليم . واكتفيـت بهذه الجرعـه السياسيه من الرجل الأول فـي روسـيا ...

ورأيت في ذلك بداية طيبة. ولكن حاستي السادسة عادت الى الظهور . وتضايقت لذلك . تمنيت أن تخونني هذه الحاسة هذه المرة أو تتخلى عني في الكرملين . وتعاودني في الطائرة أو حتى في القاهرة . ولكن هذا ما حدث . فقد أخذت أتطلع الى الوجوه من جديد . وأتطلع الى برجنيف بالذات . فهو الرجل الذى قصدته . والذى يعنيني قبل كل شيء وكل واحد في هذه البلاد . ثم عدت أقول له كمن يريد أن يطمئن لآخر مرة . كأنني لا أصدق ما سمعت :

— هل صدقتني الآن ..

— قال تماما .

— الم أقل لك هذا في الزيارات السابقة ..

— أنت قلت ذلك ..

— هل اتفقنا الآن ..

— نعم ..

وانتهزت هذا الاتفاق الذى سادنا جميعا لكي استأنف الكلام من جديد وكما يقول المثل عندنا : زيارة وتجارة .. فقلت له :

— يا أخ برجنيف . ما الذى تتوقعه من زيارة نيكسون لكم في ٢٠ مايو القادم ..

قال : لا تتوقع أى شيء ..

قلت : كيف ..

قال : أنت تعلم أن سنة ١٩٧٢ هي سنة الانتخابات الأمريكية وهي سنة من الصعب فيها على الرئيس الأمريكي أن يتخذ قرارا حاسما .. لأنه يخطب ود الشعب كله .. ولا يريد الا أن يفوز بأصوات الجميع .. وسوف يحرص على أصوات اليهود .. ومعنى ذلك أنه لن يتورط في قرار في الشرق الأوسط .. فيغضب اليهود وأنت تعرف وزن اليهود في أمريكا .. وإذا لم يكن موقفه سيئا . فسوف يكون أسوأ .. معنى ذلك أننا سوف نلتقي برئيس أمريكي في وضع سيء ..

أو بعد قليل سيكون في أسوأ حالاته ..

قلت: وأنا أوافقك على هذا التحليل أيضاً . أوافقك تماماً .

— هل أنت متفق معي في هذا .

— نعم . أنت وافقتني في تحليلي للموقف في فيتنام . وأنا أوافقك في أمريكا . اذن نحن متفقان .

— نعم تماماً .

— كم نسبة الاتفاق فيما بيننا ..

— مائة في المائة ..

— يعني أنت وافقتني على أنه بدون الهجوم الكبير الذى شنه الفيتناميون بالأسلحة السوفيتية على الأمريكان ماجاء الرئيس نيكسون الى هنا ..

— هذا صحيح ..

— وبدون هذا الهجوم العنيف ماأعادت أمريكا مندوبيها في مؤتمر باريس لبحث الموقف في فيتنام . بعد أن قاطعت هذا المؤتمر .

— تمام ..

— عال . مادمنا قد اتفقنا تماماً على تحليلنا للموقف في فيتنام وللموقف في الانتخابات الأمريكية . وأن هذه الزيارة لن تكون لها أى جدوى لأن الرئيس الأمريكي مشلول . اذن مارأيك ..

— في ماذا .

— هل نقف عند هذا الحد ..

— ما الذى تقصده ..

— الا ترى أنه لا داعي لاضاعة الوقت وعلينا أن نسارع بعمل شيء ..

— مثل ماذا ..

— هذا هو السؤال ..

— ماذا تريد .

— أنت تعرف ماذا أريد ..

— تفضل واعرض ماتريد فوراً .

– اريد الاتي : اريد نفس الاشياء التي طلبتها في الزيارات الثلاث السابقه • اطالب بما طالبت به من قبل •

– اطلب بالتحديد •

– بالتحديد اطلب سبحة اشياء •

(هذه الاشياء قد ذكرتها في كتابي الذى سيصدر في اكتوبر القادم في امريكا بعنوان (البحث عن الذات) ولذلك امسك عن ذكرها في هذه (الاوراق) فقد جعلت مكانها هي واشياء اخرى كثيره تتعلق بالعلاقات المصريه السوفيتيه في هذا الكتاب)••

ثم تلوت المطالبه السبحه الواحده وراء الاخر ••

ثم قلت له : حتى لا نضيع الوقت • ارجو ان اجاب الى هذه المطالب فزيارة نيكسون سوف تنتهي يوم ٢٥ مايو •• وامامنا من هذا التاريخ حتى يوم الانتخابات الامريكيه في ٧ نوفمبر القادم متسع من الوقت لاجابتي الى هذه المطالب المعقوله • وخصوصا بعد ان اتفقت وجهات نظرنا على (تقدير الموقف) السياسي والعسكرى امامنا اذن خمسة شهور كافيه جدا • فان جاءت الانتخابات الامريكيه بنيكسون طلبنا اليه ان يوضح موقفه فيضع تسويه شامله للموقف • او نفرض نحن عليه التسويه عن طريق التحرك العسكرى كما اتفقنا •

– تمام • موافقك • مائه في المائه •

وقلت في نفسي : الحمد لله على هذه النتيجه •

وكان في حسابي ان اصل الى مثل هذا الاتفاق السوفيت : فهم يعطونني الاسلحه • ويعلنون ذلك للعالم كله • او نحن نعلنه لليهود •• او حتى لا داعي لان نفعل ذلك لان كل الاسلحه التي تجيء الينا والتي تذهب الى اسرائيل معروفه في العالم كله • فلم تعد هناك اية وسائل لاخفاء شيء • فالاجهزه الالكترونيه الحديثه واجهزة التجسس الفضائيه وجمع المعلومات والرصد الجوى •

والارض في البحر والبر والجو ، قد جعلت من المستحيل على ايه دوله أن تخفى شيئاً • فالذى عندنا معروف لاسرائيل • والذى عند اسرائيل معروف لدينا تماماً • لا توجد اسرار مطلقاً • ولكن الاسرار هي : مدى استعداد الانسان لاستخدام السلاح • ومتى يتخذ قرار المعركه وكيف يديرها ويكملها • فالجانب الانساني الشخصي هو الذى يمكن أن يكون سراً • فاسلحتنا في حرب اكتوبر معروفه • ولكن المجهود الذى بقي سراً محيراً ومعجزه هو : الانسان •• هو المقاتل •• هو الخطه •• هو القرار والاستمرار •• وبشهادة خبراء العالم كله استحقت قواتنا عظيم الاحترام والتقدير • اليوم ولاجيال بعدنا •• وكان من الحجج التي قدمتها لبرجنيف: انه من الافضل أن يعرف الامريكان واليهود انكم اعطيتمونا سلاحاً • • ولا مانع أن تبالغوا في كمية السلاح وفي نوعيته • فقط لكي يعرفوا أن لدينا قوه مخيفه • وأن وراءنا من يساند قضيتنا وما قضيتنا الا حرصنا على أن نحرك الموقف السياسي عسكرياً •• وكل هذه بدهيات يعرفها برجنيف• أومن هو أصغر من برجنيف الف مرة •• ولكن هذه هي المحنه التي أمر بها في كل زياره اقول واقول •• تماماً كما يفعل اى انسان وهو يكرر جدول الضرب مرة بعد مرة • وعلى الرغم من أن هذا الجدول هو بديهيات حسابيه •• لست في حاجه الى أن أكررها •• ولا اذا كررتها أن اقولها بحماس • ولا حتى أن اشعر انني اقول شيئاً جديداً •• ولكن مع السوفيت يجب أن اقول الي ٥ الواحد الف مرة • وأن يسمعوه هم باهتمام شديد دون أن يشعروا بالملل ولعلهم ينتظرون أن يصيبني الملل فازهق او تزهق روحي • قلت وكانني ماقلت وسمعوا وكانهم ماسمعوا •• ولم تستغرق زيارتي ٢٤ ساعه •• وانما ٢٧و٢٨و٢٩ ابريل اكثر من المده المقرره • او التي كان يريدها السوفيت • وانا لا احسبها بالساعه • فالوقت لا يهم • اقصد الوقت الذى استغرقه في اقناع السوفيت بموقفي وصدقتي الحقيقه • ولكن العبره بالنتيجه • والواضح لي الان انهم اقتنعوا : اليس برجنيف هو الذى قال ••

اليس هو الذى اعلن سلامة تحليلي للموقف كله • الم يعلن انه يوافقني مائه في المائه • اذن الموقف الان امامي هو هكذا : في الاجتماع السابق اعلن كوسيجين تعهده بالوفاء بكل ماطلبت • وفي هذا الاجتماع اعلن برجنيف اقتناعه التام واستعداده لاجابتي الى كل مطالبي السبعه • ثم انهم — وهذا احساسي الذى لا يخيب — يريدون استعراض قوتهم في المنطقه وان زيارتي هذه جزء من هذا الاستعراض • وربما توهموا انني لا اعلم ذلك ومن الافضل ان يتصوروا انني بهذه السذاجه • ولا مانع عندى ان اوكد لهم ذلك ولكن الذى يهمني هو ان احصل على السلاح • وفي الطائرة عائدا الى القاهرة عاودتني كل افكارى وتكاثرت على راسي • ولم انسى ماجرى في سنة الحسم • فهذا شيء لا انساه • وكيف •• ثم هذه الوعود وهذه العهود وهذه الوجوه • واخفيت راسي بين يدى وتذكرت دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام يوم خرج من الطائف اللهم اليك اشكو ضعف قوتي • وقلة حيلتي • وهواني على الناس • وهواني على الناس • وهواني على الناس • يا ارحم الراحمين •• وصالحت نفسي على نفسي وقلت : كل شيء يهون من اجل مصر وقد هان الكثير • وانا اتمسك طول الوقت بعبارة واحده معنى واحد • هو الذى طالعت به الشعب يوم اول مايو بعد ذلك : انه لا فائده من الحل من اجل السلام الا اذا كان السلام له سلاح يدافع به عن نفسه • ويفرض به كرامة الحق وشرف المبدأ • واذا ظللنا نتكلم عن السلام مائة سنه من الان • فلا سلام •• الا اذا كان هناك استعداد للمعركه في هذه اللحظه سوف يكون هناك كلام اخر ومنطق اخر •• وقلت في خطابي في عيد العمال ايضا : ان اهتماماً بالدعم السوفيتي لا يعني ان نقلل من قيمة الاعتماد على النفس • نحن الذين سنحارب وليس الاتحاد السوفيتي • ونحن الذين سنقاتل ولن نترك لغيرنا ان يقاتل بدلا منا • نحن الذين سندفع الثمن لا مالنا • لانها امالنا نحن • وانما قيمة المساعدات التي نحصل عليها من اصدقائنا انها تختصر الوقت والجهد ••

وقلت أيضاً : من نحن . نحن قوى الحق والخير والتقدم والمحبه والسلام
أين نحن .. نحن في وسط النضال من أجل الخير والتقدم والمحبه
والسلام .. وأن ماتخلله مكتوب له النصر بإذن الله . وما نحاربه مكتوب
عليه الهزيمه بإذن الله . وفجأة ـ وكل تحركات السوفيت تكون مفاجئه
جاءني خبر يقول أن وزير الدفاع السوفيتي جريتشكو سوف يصل الى القاهره
يوم ١٤ مايو . خير أن شاء الله وجاء جريتشكو ومعه قائد الطيران
كوتاخوف . ولا بد أن يكون هناك شيء خطير . وعرفت أنهم يريدون أن
يقوموا باستعراض جوى في مطار غرب القاهرة . ما الذى في مطار غرب
القاهرة : هناك أربع طائرات ميج / ٢٥ .. من ذلك الطراز الذى هرب به
أحد الطيارين السوفيت ونزل في اليابان وتكاثر الخبراء الأمريكان على
الطائره وفكوها قطعه قطعه وعرفوا سرها تماماً . هذه الطائرات
هي أحدث ماعند السوفيت وهي تنطلق بسرعة تفوق سرعة الصوت
ثلاث مرات وعلى ارتفاع ٢٠ كيلو متراً .. والروس يملكون هذه الطائرات
ويضعونها في غرب القاهرة . وهي محرمه على أى مصرى ..
وقالوا لنا : أنها ممنوعه على أى مصرى .
قلت : موافق .
قالوا : لا يقترب منها أحد .
قلت : موافقون .
قالوا : السوفيت فقط .
قلت : موافقون .
قالوا : لا مانع أن تروها بالعين .
قلت : موافقون . وحتى اذا أردتم الا يراها أحد . فلا مانع ..
قالوا : من الممكن أن تروها .
وظلت هذه الطائرات في مكانها على أرضنا ومحرمه علينا .
وجاء جريتشكو هذا الصديق العزيز الله يرحمه وقال لي :
مارأيك ..

قلت : موافق على ماتريدون .

قال : أن تقوم باستعراض لهذه الطائرات .

قلت : لا مانع ابداً .

طبعاً انا رأيت هذه الطائرات . انها متطوره جداً . وفتحات الموتورات مربعه . وقد سبق بها السوفيت تصميم طائرة الكونكورد التي اخترعها الانجليز والفرنسيون هذه الطائره ستظل جديد حتى سنة ١٩٩٠ وليس في امكان اية طائرة اخرى أن تلحق بها ولا اى صاروخ . ولما اطلقها السوفيت من مطار غرب القاهره فوق اسرائيل طاردتها الفانتوم . ولكن ما الذى تستطيعه الفانتوم . أن الفانتوم كانت مثل عربه كارو تطارد سيارة كاديلاك . ارجع واقول مرة اخرى : انهم اشترطوا كل هذه الشروط لكي تبقى هذه الطائرات في مطار غرب القاهرة : في ايدى السوفيت وللسوفيت ومحرمه تحريماً قاطعاً على المصريين .. الا مجرد النظر من بعيد لبعيد . واحنيت راسي ووافقت . وقلت لنفسي : يمكن .. اى يمكن استخدامها في الاستطلاع وجمع المعلومات من اسرائيل . يمكن وانا اعلم أن السوفيت يستخدمونها في التجسس على الاسطول السادس في البحر الابيض المتوسط . اعلم ذلك يقيناً . ولكني غلبت الامل على اليأس ووضعت مصر فوق كرامتي . ووافقت . وذهبت الى المطار . واتى السوفيت بطائرة مقاتله اسمها سوخوى ١٧ من مزايا هذه الطائرة أن تنشر جناحيها وأن تطويهما . فاذا انطوى الجناحان تحولت الطائرة الى صاروخ .. الى قذيفه .. واصبحت مقاومة الهواء لها اقل . وفي نفس الوقت اصبحت المساحة المعرضه منها للاصابة اقل ايضاً . وكل ذلك من اجل أن تكون اسرع .. ولكن عيب عملية فتح جناحيها وطيهما . ان هذه العملية تتم يدوياً .. وهذا عيب خطير . فهو يحتاج الى بعض الوقت وفي مطارات الطيران . وبهذه السرعه ومن استخدام الاجهزه الالكترونيه التي توجه الطائرات وتقذفها . يجب أن تكون هذه العمليه سريعه جداً وتتم في ثانيه او اقل .. لان ثانيه واحده تكفي لتحطيم اية طائرة ...

ولكن الامريكان اخترعوا طائرات تنشر جناحيها وتطويهما باستخدام العقل الالكتروني • وهذا اسرع واسلم واكثر تطوراً • وطارت الطائرات وارتفعت واختفت بسرعه • وكان السوفيت في غاية السعاده • وانا اقول لنفسي ربما يجيء الوقت الذى يتدرب فيه اولادنا على هذه الطائرات •• ربما تصبح هذه الطائرات لنا •• ربنا كريم •• وانتهى الاستعراض للطائرات السوفيتيه • ومن المؤكد انه جزء من الاستعراض المطلوب قبل زيارة نيكسون لموسكو فاخبار هذا الاستعراض قد ملأت الدنيا •• والطائرات السوفيتيه قد رصدها اليهود وحاولوا مطاردتها • ورصدها الاسطول السادس وعرف نوعيتها وقدرتها • كل شيء معروف • وكل شيء بحساب وجزء من الاستعراض الكبير • واين •• في مصر وبموافقة من •• بموافقتي ولماذا •• السبب الذى قلته مراراً : محاولة للتأثير على الرئيس نيكسون واقناعه بأن السوفيت هنا في مصر : في قلب العالم العربي • والشرق الاوسط وافريقيا •• ومن المؤكد أن هذه المعلومات والمفهومات قد بلغت الامريكان واليهود • وهي موضع بحثهم وتقديرهم • لا شك في ذلك • اذن لقد وصل السوفيت الى الهدف الذى يريدون • وانا موافق على ذلك تماماً • وفي انتظار ماوعدوني له •• وفجأة مرة اخرى وجدت الوزير جريتشكو يقترب مني ويقول : بيان من اللجنه المركزيه سألته : معك بيان من اللجنه المركزيه ••

قال : نعم •

سألته : بخصوص ماذا •

قال : انهم يريدون أن يصالحوك •

قلت : لا مانع ••

قال : ومكتوب باللغه الروسيه ••

قلت : يذاع دون ترجمه وفوراً •

واندهش جريتشكو • أولكي اكون دقيقاً اقول : انه اصيب بذهول • وسألني : الا تريد أن تعرف مابه ••

قلت : لا أريد ما دامت القيادة السوفيتية ترى أنه بيان يقصد مصالحتي فهو بيان لمصلحتي لا شك وذلك يذاع فورا ..

قال : أريد أن أفهم منك أكثر .

قلت : أنا أعرف وأنت تعرف . أنكم في حاجة الى تدعيم موقفكم في مصر قبل زيارة نيكسون . أنتم في حاجة أن توهدون لنيكسون أن الارض تحت أقدامكم قوية في مصر وفي أرض مصر وفي سماء مصر وأنكم قادرون على التحليق في سماء اسرائيل وفوق الاسطول السادس . وأنكم سادة هذه المنطقة .. كما أنكم سادة في فيتنام .. كل ذلك أعرفه أنا . وتعرفه أنت ...

وسكت الرجل ولم ينطق بكلمة واحدة . ثم قلت له . لا داعي للترجمة لقد أتيت بأذاعة باللغة الروسية . وأكثر من ذلك .

وسألني : ماهو الذي أكثر من ذلك .

وتلفت الى حسني مبارك وكان وقتها قائدا للطيران وقلت له : ياحسني لقد قررت مع جريتشكو وكوتاخوف وكل الضباط السوفيت نياشين فاتصل بالقائد العام وأبلغه هذا القرار . وكان هدفي من وراء هذا كله أن أساهم في أن يبدو السوفيت أقوياء أمام الامريكان . يهمني ذلك فهم قد وعدوا بأجابة المطالب السبعة . وعدني برجنيف وأكد لي ذلك وسط جو من التفاهم والاتفاق التام .. وازدادت دهشة جريتشكو ورفاقه .. وأذيع البيان بالروسية والعربية وباللغات الاوربية الاخرى .. وأقولها للتاريخ : انه جاء في هذا البيان أن الاتحاد السوفيتي قد زود مصر بقاذفات طويلة المدى وأسرع من الصوت .. وفجأة وبعد زيارة جريتشكو جاءتني رسالة من الرئيس حافظ الاسد يقول لي : وأين هذه القاذفات التي جاءت في البيان السوفيتي .. وكان ردي على الرئيس حافظ الاسد : لا قاذفات ولا أي شيء أنها مسألة دعائية قبل زيارة الرئيس نيكسون .. وجاءني رد من الرئيس الاسد يقول فيه : أن الضباط عندنا يسألون . ولماذا لا نحصل على مثل ..

هذه الطائرات التي حصلت عليها مصر .. فأرجوك الا تعود هذه المسايره في الدعاية ..

ورددت على الرئيس الاسد مرة أخرى قائلا : لقد ساهمت في هذه الحملة الدعائية (فهم في حاجة اليها . ونحن في حاجة اليهم .. ثم انهم أصدقاء ..

وسافر جيوشكو والوفد العسكري المرافق له .. وبدأت موسكو تستعد لاستقبال الرئيس نيكسون . ليخرج العالم كله على الاستعراض الكبير الذي اسمه : الوئام بين الدولتين العظميين ..

الرئيس السادات

الجليد ... يذوب:

بين موسكو القاهره !

١٢

أصدرت قرار خروج السوفيت من مصر:

يصل الرئيس السادات في أوراقه الى فترة دقيقة حاسمة في العلاقات بين جمهوريه مصر العربيه واتحاد الجمهوريات السوفيتيه : القاده وعدوه هذه المرة بصورة قاطعه . وانتظر في مصر بصوره ملهوفه على المطالب السبعه . ولا بد أن هذه المطالب تتعلق بمزيد من الأسلحه المتطوره : وكما توقع هو برجنيف لم تسفر زيارة نيكسون عن شيء الا عن تأكيد الصداقة بين الدولتين العظميين وعن تعبير جديد يبحث على اليأس هو (الاسترخاء العسكرى) أو التراخي العسكرى .. أى مطلوب أن تسترخي مصر وجنودها على ضفة القناة وهم يرون عدوهم على الضفة الأخرى .. وأن يكون ذلك الاسترخاء الى ماشاءت الدولتان العظميان . وتجيء رسالة فارغه من المعنى . ومن بعدها رسالة أكثر فراغاً فيرفضهما الرئيس السادات شكلاً ومضموناً .. وترتفع درجة الغضب والسخط فيصدر قراراً خطيراً وهو في غاية الهدوء الظاهرى ...

وفي ظل وفي أعقاب وفي مضاعفات هذا القرار تتعثر العلاقات بين البلدين ...

اثبتت زيارة الرئيس نيكسون لموسكو في يوم الخميس ٢٥ مايو • وهو لقاء تاريخي • اهتز له العالم كله • ولا بد أن السوفيت والامريكان قد تصارحوا باشياء كثيره • واتفقوا • واملي كبير الا يكون هذا الاتفاق على فرض التسويه علينا في الشرق الاوسط • حتى السيده جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل قد انزعجت هي الاخرى من أن تتفق الدولتان العظميان على فرض التسويه بالقوه •• على الرغم من أن اسرائيل هي المعتديه وهي التي تحتل ارضنا والعلاقه التي بين امريكا واسرائيل مختلفة تماما عن العلاقه التي بيننا وبين السوفيت •• فاسرائيل عميلة لامريكا وتعيش على امريكا ابتداء من الرغيف حتى الصاروخ وكل ما اتوقعه في ذلك الوقت أن تلقى ما اتفقت مع القادة السوفيت عليه فانا انتظر أن يفوا بمطالبي السبعه التي حددتها • وقد تكهنت بعض الصحف الغربيه في ذلك الوقت أن مطالبي السبعه هي انواع مطوره من الاسلحة •• وليست هذه التكهنات بعيده عن الحقيقه وان كنت اعترف بانني لم اطلب المساواة باسرائيل • انني طبعا أن يكون نصيبي من الاسلحه السوفيتيه يعادل ما تتلقاه اسرائيل بغير حساب ولكني كنت معقولا جدا في مطالبي فانا ارض أن اقف وراء اسرائيل بدرجتين • لا بعشرين درجه • كما ذكرت ذلك من قبل •••••

ثم صدر (البيان الوفاقي) الاول •• وفي هذا البيان أن الدولتين العظميين تتعهدان ببذل كل الجهود المستطاعه من اجل تسويه سلميه في الشرق الاوسط •• والا تنفرد احداهما باجراء ايه مكاسب على حساب الاخرى •• وأن تبذلا كل الجهود ضد تصعيد الموقف حتى لا يزداد التوتر الدولي وتكون مواجهة بين الدولتين ••وجاء في هذا البيان (الوفاقي) أن الدولتين تؤيدان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وليس في هذا البيان شيء جديد • ولكن الذى يهمني في المقام الاول أن اتلقى من موسكو كل ما اتفقنا عليه •واول ما اتلقاه عادة أن يجيء بيان او معلومات او اخبار عن قيام السفن السوفيتيه من البحر الاسود •

الى الاسكندريه • لكي نستعد لاستقبالها في ميناء الاسكندريه ليلاً وحتى لا تتكدس الذخائر على ارصفة الميناء • هذا ما اتوقعه • وحتى ذلك اليوم كنت • وبمنتهى حسن النيه • اؤمن بانهم سوف يفعلون فليست مسالمي بالغائيها • وهذا واضح في كل اجتماعاتي بهم • مضى شهر مايو كله • وفات الاسبوع الاول من يونيو • وقلت للسفير السوفيتي فينوجرادوف : انت كنت معي في موسكو ! فاين الذى تعهد به القادة السوفيت ..

قال : انا اذكر ذلك التعهد بوضوح •

قلت : اتصل بموسكو فوراً •

وفي السفارة السوفيتيه في القاهره خط مباشر مع موسكو • وفي استطاعة السفير ان يرفع السماعه ويتحدث مباشرة مع برجنيف .. وان ينقل اليه كل ماقلته له • وما قلته ليس اكثر من اني اذكرهم بوعودهم وان الوقت يجرى ضدنا • وان الشهور الباقيه حتى انتخاب الرئيس الامريكي الجديد يوم ٧ نوفمبر كافيه لارسال ما اتفقنا عليه • وان كنت ارى ان الوقت يضيق • وان الوضع يزداد صعوبه • وان الناس في مصر قد ضاقت بموقف السوفيت • وانني شخصياً قد ازددت ضيقاً وبدات الدماء تغلي في عروقي • وليس هذا تعبيراً مجازيا • ولكنه قريب جداً من الحقيقة • رغم حرصي الشديد على ان ابدوا غير ذلك • وفي الاسبوع الثاني من يونيو طلب السفير السوفيتي مقابلتي • وقلت لنفسي : فرجت انحلت • وكنت اظنها لن تفرج او لن يكون لها حل قريب • ولم اقل جاء باى شيء مما قاله السفير السوفيتي • كل شيء • كما توقعت السفير يحمل رساله من برجنيف هي نسخة اخرى من البيان (الوفاقي) الذى صدر بعد نهاية زيارة موسكو • مع اضافة واحده ... وهي ان برجنيف بذل جهداً كبيراً في اقناع نيكسون بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ شيء عجيب • ومن طلب اليه ذلك • وهل نحن في حاجة الى ان يقتنع نيكسون بذلك ..

فقط .. أن بوجليف قد بذل جهداً كبيراً في اقناع الشعب الامريكي

أما بقية الرسالة السوفيتيه فهي كلام ضخم فخم تافه من أوله لآخره وهو لا يختلف كثيراً عن البيانات الرسميه للدول الشيوعيه . فهذه البيانات تمتلئ بعبارات اهازين وطنيين وبها تراكيب غريبه وعجيبه . والمعنى لا شيء يلفح أو يشفع .. ينفع قضيتنا أو يشفع لهم عندنا .. ويحدد أن فرغ السفير فيسوجرادوف من رسالة .. قلت وأنا أغلى حقاً شكراً على الرسالة . وفعلاً جاءت موافقة تماماً لما توقعناه قبل ذلك من أنه لا شيء جديد في العلاقات الامريكيه السوفيتيه . وأن أمريكا في سنة الانتخابات لن تستطيع شيئاً .. كل هذا توقعته . وحدث كما توقعته ولكن أين ما اتفقنا عليه ..

قال السفير : هذا سوف أفعله مباشرة .

قلت حتى الآن لم يصلني خبر واحد عن تحرك سفن الشحن السوفيتيه هل جفت مياه البحرين الاسود والابيض ... ولم ينطق السفير بكلمه

قلت له : الآن .. اذهب فوراً وانقل كل كلمه قلتها لك للقيادة السوفيت .. كل كلمه .. وذهب السفير ومعه ذهب شهر يونيو كله .. واقبل اليوم الأول من يوليو .. ولا اعرف كيف اصف هذه التغيرات النفسيه العنيفه التي طرأت على اعماقي . أن الايام قد علمتني الا اتخذ قراراً في حالة الغضب . وأنا في قمة الغضب اخشى أن اتخذ قراراً . فأنا لا احب أن يكون رأسي ساخناً . ولا احب وأنا في هذه الحالة أن اقرر شيئاً اسف عليه . أو اجد بي مضطراً على الرجوع فيه . وأنا اؤمن بأن الوقت يجب أن يكون في خدمتنا وليس سيفاً على رقابنا . ومع الساعات الاولى من شهر يوليو . استطيع أن اقول بمنتهى الوضوح الآن : أن بذور قرار ٨ يوليو قد سقطت من يدي على الارض الممتده بيننا وبين السوفيت .. انها بذور .. ولا اعرف ما اسم هذا النبات الذي انبتته هذه البذور .. اي نوع من الاشجار الشائكه بيننا وبين السوفيت ...

هل هي بذور أو هل هي قطع من الجليد تساقطت بكثره فائقه .. أن شيئاً سقط من أيدينا على أرض الصداقه المصريه السوفيتيه . وبسرعه تحول الى نبات غريب .. شائك .. أبيض . وهل هو نبات .. هل هو جبال من الجليد .. ولكن من المؤكد أنه منذ بداية يوليو بدأ الجليد يتساقط كثيفاً عنيفاً بين مصر وروسيا . ما في ذلك شك . هل كان من الصعب أن أستعرض الأحداث كلها . ليس صحيحاً المثل الذى يقول . مافدت مات فالذى فات لم يمت .. وأن كنت حرصت كثيراً على أن أميت في نفسي الكثير مما قاله وفعله الروس. ولكنهم هم الحريصون على أحياء كل الذى ضايقني وأهان مصر وأحرجها وأهان قواتها المسلحه . والا فما معنى أن ابني أستراتيجيي العسكريه والسياسيه وعلى وعود وعهود ثم أن شيئاً من هذه العهود والوعود لا يتحقق .. ما معنى أن ابني القصور السياسيه والقلاع العسكريه على رمال متحركه . ما معنى أن أستخفي بالسراب . ما معنى أن أصرخ في مواجهتهم صادقاً . وأن أواجه الشعب بوجه أخر .. يعلم الله ما الذى كان يخفيه هذا الوجه من المراره والعذاب .. لو كان الذى وعدني زعيماً واحداً ثم أخلف وعده لقلت أنه واحد من ثلاثه أو من أربعه .. ولكنهم جميعاً - كل القاده السوفيت حتى برجنيف رجلهم الاول - أتفقوا جميعاً على أحراجي وأرهاقي ما الذى أستطيع أن أفعله ..

السؤال سهل . ولكن الاجابه صعبه وفي رأسي أشياء كثيره . وعلى مسامعي تتردد أصوات وأصداء وأجتهادات . وأمام عيني : الشعب وغضبه والقوات المسلحه وصبرها الطويل على مرض .. وما أسمعه كل يوم عن أستخفاف الخبراء السوفيت برجالنا . وأستهانتهم بقدرتنا . لقد سمعت ذلك بأذني في أحد أجتماعات الكرملين . فما الذى لا يقوله رجالهم لرجالنا أن لديهم تعليمات صريحه بذلك . فليس بينهم واحد يقدر على أن يفعل شيئاً مهما كان صغيراً دون تفويض بذلك . اذن هو موقف عام وسياسه يتبعونها مع مصر من أعلى مستوى حتى أصغر جندى ...

كل الذى دار في راسي أن أصدم الروس في رؤوسهم • كيف ••
أن الروس في حاجه الى صدمه كهربيه • الى شي يصدمهم ويكهربهم
لعلهم يفيقون • ولكن أين •• ومتى وكيف ••
ووصلت الى قرار أقنعني • وأريد أن أناقشه بالفعل مع احد • أو لعلى
بهذه المناقشة أعطي لنفسي فرصة للتريث أو أقوم بتبريد رأسي الساخن
تفاديا لخطأ قد أقع فيه • واتجهت في يوم ٧ يوليو الى بيت د • محمود
فوزى طرترعة المصوريه • وكان وقتها نائبا لرئيس الجمهوريه • وهو
رجل عاقل حصيف • علمته الحياة في الشرق الاقصى أن يكون هادى النفس
صافي العقل • ذهبت اليه • وعرضت عليه ما في نفسي بكل صدق • وكان
أول انسان أطلعه على قرارى • وأقربي عليه • وفي الطريق من بيت
د • فوزى الى القناطر الخيريه تزاحمت الصور على رأسي • فانا أعرف
بالضبط كل ماحدث • وأعرف تماما ماسوف يحدث • ولو عرف الشعب
حقيقه ماحدث لي ولمصر لاقربي الناس جميعا على ذلك • وانا أعرف
كل نهضات الشعب • وأعرف مايدور في رؤوس وقلوب قواتنا المسلحه • هذه
الصور قد أوصلتني الى اقتناع واحد : أن الذى سوف أعطه هو
الصواب • وليس أمامي الا هذا القرار • واتصل بي الرئيس حافظ الاسد
وكان في زياره سريه الى موسكو •• وجاءني في اليوم التالي • بعد أن قررت
في رساله خاصه للقاده السوفيت انني انهيت الوجود السوفيتي في مصر •
في نفس هذا اليوم جاءني من السفير السوفيتي أن لديه رساله عاجله
وانه يريد أن ينقلها الي •• ولم اتفاءل • فما الذى يمكن أن يقوله
السوفيت بعد بيان (الوفاق) الذى تحدث فيه السوفيت والامريكان عن
شي جديد اسمه (الاسترخاء العسكرى) •• أو التخاذل العسكرى ••••
أو اللامبالاة بكل ماقلت وما طلبت •• من الذى يسترخي عسكريا في المنطقه
هل تسترخي قواتنا وأرضنا محتله • هل تسترخي أقدارنا وقد أقمنا
أستراتيجيتنا على الوعود السوفيتيه • على أرفع المستويات • ما الذى
يمكن أن تضيفه الرساله العاجله بعد أن وضح كل شي في موقف •••

السوفيت والامريكان .. وحددت للسفير السوفيتي لقاء في قصر القاهرة في الساعة الثامنة من مساء السبت ٨ يوليو . واتصل بي الرئيس حافظ الاسد من موسكو يقول انه في زيارة سريه . وانه لم يشأ ان يعلن عنها ولكنه سوف يجيء الى زيارتي يوم الاحد ٩ يوليو .. ولكن القرار الذى اتخذته قد وضحت معالمه تماما ولم يبق الا ان اعلن ذلك ..

جاء السفير السوفيتي فينو جرادوف ومعه المترجم . وكان معي حافظ اسماعيل وقلت له : ياحافظ .. اكتب كل كلمه . فقد اردت ان اسجل في هذا اليوم كل شيء فذلك يوم تاريخي .. وجاء السفير السوفيتي وتقدم بالبيان واخذ المترجم يقرأ النص العربي واسندت راسي الى يدى ثم وضعت يدى على خدى . وانتظرت . وتوالت العبارات ومعها الصور . والرساله تتحدث صفحه وراء صفحه عن كل ماجاء في الرساله السابقه من جهود روسيا في اقناع الامريكان باهمية قرار ٢٤٢ لا جديد . والكلام يدخل ويخرج من اذني دون ان يترك اثرا . الا المزيد من الغيظ . اما عن المعركه والحرب فالرساله تقول : ان لهم تجارب طويله مريره في القتال . واننا لا نعرف معنى الحرب ولا معنى ان نشن حربا جديده .. ان الموقف اخطر واقطع مما نتصوره في مصر .. وتذكرت نغمه كانت ساريه في الصحف الشيوعيه في ذلك الوقت .. ان السوفيت لا يريدون الحرب خوفا على الانظمه التقدميه في المنطقه . وخوفا من ان تؤدى هذه الحرب الى (غليان قومي) اى قيام النزعات القوميه وتماسك الشعوب العربيه . وارتفاع المد الوطني والقومي في مصر وفي غيرها . يعني انهم لا يريدون الحرب . لان الحرب سوف تمزق النشاط الشيوعي في المنطقه . هذه النغمه اعرفها ولكنها لا تهزمني ايضا . وانما الذى هزني هو ماحدث بعد نهاية زيارة نيكسون والرسائل التافهه التي تتوالى من الكرملين . وبعد انتهى العدوان الظاهرى . والانفجار البركاني في اعماقي قلت للسفير السوفيتي : هل انتهت الرساله ..

قال : نعم .

قلت: وكل مافيها هو هذه السطور الخمسه الاخيره عن الحرب وعجز مصر عن دخولها .. وقصورها عن فهم ابعادها .. ولم يرد الرجل .. طلبت الى حافظ اسماعيل أن يكتب كل كلمه اقولها وتلفت الى المترجم السوفيتي في نفس الوقت قائلاً: احب أن اقول للاخوة السوفيت أن هذه الرساله مرفوضه شكلاً ومضموناً. ولا اقبل ولن اقبل مثل هذا الاسلوب في مخاطبتي ومخاطبة الشعب المصرى من ورائي. ثم اطلعت تاريخ العلاقات المصريه السوفيتيه من اوله لاخره. وقلت كل ما في نفسي. والذى لم افصح عنه حتى الآن قد اطلعته في ذلك الوقت فلم يبق في نفسي شيء لم ابحث به اليهم. اخرجته من اعماقي. رفعته من فوق صدرى. صفيت حسابي. اقفلت دفاتري. ولم اترك حتى الحوار الذى دار بيني وبين برجنيف عن التحليل السياسي والعسكرى للموقف. وعن ضرورة الاستعداد العسكرى لتحريك الموقف السياسي. تماماً كما حدث في فيتنام مما ادى الى زيارة نيكسون .. واستغرقت ساعة املاء هذه الرساله وكان وجه السفير في لون الشمع. ثم تلفت الى السفير وحافظ اسماعيل قائلاً: انتهت الرساله. وهذه هي القرارات.

اكتب: اليوم الاحد ٨ يوليو وغداً الاثنين ٩ يوليو .. ويوم الاثنين الذى يليه يخرج الخبراء السوفيت بالكامل من مصر. جميعاً. واذا كانت لكم هنا اسلحه مثل الطائرات الاربع الميج ٢٥ .. فخذوها معكم. واذا كانت هنا محطات انذار مبكر. فخذوها ايضاً. فهي قديمه ولا قيمه لها. او نشتريها منكم. وكل مالكم من اسلحه خذوها او نشتريها منكم. ومحطات الانذار لا هي محطات ولا هي انذار مبكر او متأخر. انها قديمه باليه متداعيه .. وقد اشترينا محطات افضل منها من فرنسا انهم في فرنسا يبيعونها في الدنانين. وليست سراً عسكرياً. ولم اتبين أن وجه السفير قد اصبح في لون الثلج وأن حافظ اسماعيل كانت حالته النفسيه اسوأ. وانما مضيت اقول انه لابد بعد ذلك أن نلتقي لنبحث معاهدة السلام التي بيننا وبينكم. ولابد أن نعرف مداها وجدواها ..

وما الذى افدنا واستفدنا منهـــا ..وطلبت من اسماعيل حافظ ان يرافق السفير السوفيتي حتى الباب .. انتهى كل شيء .. نزلت الى حديقة قصر الطاهره . وكنت قد جمعت عزيز صدقي رئيس الوزراء . وممدوح سالم وزير الداخليه .واحمد اسماعيل ـ الله يرحمه ـ مدير المخابرات .. يومئذ ومراد غالب وزير الخارجيه . اما عزيز صدقي فقد كان واضحا اعلن انه قد ان الاوان لكي تكون علاقتنا بالسوفيت (ابيض واسود) وقد كان ذلك تفكيرا سليما لرئيس وزراء مسؤل .وطلبت من ممدوح سالم ان يستعد لمواجهة الموقف كله .. اما مراد غالب فقد كان مهتزا لم يعجبني . فلان ثقافته شيوعيه . فقد اطاح به الموقف واذا بي اجد وزير خارجيتنا تائها ضائعا . لا يعرف معنى هذا القرار ولم يكن هناك معنى لان يبقى في موقعه ..لئن كان خروج الخبراء السوفيت. صوتا صارخا . فان صداه مايزال يتردد حتى اليوم ... وان كان طريقنا فنحن مانزال نسير فيه ..وان كان هوة بيننا فقد تردى فيها كل شيء .. وان كان مارا فلا يزال لها شرار .. وان كان جليدا فهو الذى يملأ الطرق والجسور التي بين موسكو والقاهره ..هل كان هذا القرار ضروريا .. نعم .. كان ضروريا لنا . وكان ضروريا لهم فقد كانت هناك قضايا يجب ان يعاد النظر فيها .. فليس من القضايا المسلم بها ـ ابدا ـ ان يصدر قرارنا من موسكو .. ولا من المسلم به ايضا انه لا ارادة لنا .. ولا من المسلم به ان نظل في حالة لا هي حرب ولا هي سلم ولا احد قال من موقعي هذا ان الروس سوف يحاربون لنا ويموتون بالنيابه عنا . ويخرجون اليهود من ارضنا .. وكان من الضرورى ان يعرفوا وان يتاكد لديهم من الذى يستطيع ان يحرك الموقف .. ومن الذى يستطيع ان يضغط على اليهود .. ومن الذى يستطيع ان يدفعهم الى الوراء .. وهل يستطيع المقاتل المصرى ان يدفع عدوه وان يدافع عن ارضه .. وهل هو حقا قد استوعب السلاح الذى في يديه ؟. وهل صحيح ان قادتنا قادرون على التفكير والتدبير ....

وانهم ليسوا كما قال الخبراء والوزراء السوفيت لا يصلحون للقتال ؟ ....
وهل صحيح أن الجندى اليهودى قد ولد ليتنصر . وأن الجندى المصرى ولد ليهزم . وانهزم . وسوف ينهزم .. انني لم اقبل ذلك في اى وقت ولم يقبله جنودنا في جميع مواقعهم وعلى كل مستوياتهم أن وجود قواتنا على التراب المصرى وتحت وهج الشمس وفي زمهرير الصحراء ليلا وشتاء . واصرارهم على القتال لانه مكتوب علينا . ومن اجل مصر ومن اجل كرامة العرب . كل ذلك كان سندى ودليلي عندما اتخذت القرار باخراج الخبراء السوفيت .. وقرارا اخر تاريخيا هو : الحصور .. اما كيف كان صدى هذا القرار بعد اعلانه رسميا في العالم الشيوعي والصحف العميله . فكان عنيفا . لان احدا لم يتوقع شيئا من ذلك . فالسوفيت - كما اكدوا للامريكان - قد وضعوا اقدامهم في مصر وعلينا أن نضع رؤوسنا حيث وضعوا اقدامهم . وكان عملاؤهم في مصر يقولون ذلك .. ويكفيني ما رايته من الهلع والضياع . عندما سمع وزير خارجيتنا هذا القرار . لقد كان صوره مصغرة من الف صوره في الف مكان .. ولكن صحيفة برافدا نشرت مقالا عن (الخروج من مصر) بتاريخ ٢٠ يوليو تقول فيه : (أن الخبراء السوفيت في جمهورية مصر العربيه قد انهوا مهمتهم . وبعد مشاورات بين الطرفين وتبادل وجهات النظر . رأى الطرفان عودة العسكريين السوفيت الذين كلفوا بمهمات محدوده لفتره محدوده وكما قال الرئيس السادات في خطابه الى اللجنه المركزيه أن هذا لن يغير من المبادىء الاساسيه للصداقه ..

وما جاء في صحيفة برافدا نقلا عن خطابي الى اللجنه المركزيه كان صحيحا فانني حريص على الصداقه السوفيتيه .. ولكن يبدو انه لم يكن قد اصبح واضحا تماما . انهم هم غير الحريصين . ولا بد أن لهم فلسفه في ذلك . وارى انه قد أن الاوان لكي يعرف كل منا . مصر وروسيا ...

ماهي حدود الصداقه ؟ وماهي حدود الارادة الوطنيه وحدود المصلحه ؟ .. وعلينا في جميع الاحوال أن نمشي وراء الذى نراه أفضل من أجل مصر ..

الرئيس السادات

الجليد .. يذوب !

بين موسكو والقاهره !

١٣

أشتراح الرئيس السادات الى هذا القرار الذى أتخذه . وترك للمؤرخين العسكريين والسياسيين باب الأجتهاد مفتوحاً الى آخره .. وحاول أن يناقش السوفيت في كل الذى قاله كيسنجر لمصر وعن مصر . وأن الذى قاله يؤكد كل نظريات الرئيس السادات في ضرورة تحريك الموقف بقوة الأسلحه المتطوره . ولم يجد الرئيس السادات مبرراً واحداً لأن يحتفظ بأى أمل في تغيير الأسلوب السوفيتي في التعامل معه . فأتجه الى الأعداد والأستعداد للقتال في الساحتين المصريه والعربيه . وعلى طريقة الرئيس السادات في أن يترك الباب مفتوحاً وراءه . وأن يحتفظ بوسيلة للأتصال بالسوفيت .. أستدعى السفير السوفيتي لآخر مره ليسأله سؤالاً واحداً ..

وبعد ذلك حرب أكتوبر ..

هل هي "تصفية حساب"

هل هي "تصفية وجود"

للسوفيت في مصر ؟

((ارتحت)) ضميرى عندما أصدرت قرار ((انهاء)) مهمة الخبراء السوفيت في مصر ولكن هواة الصيد في ((السياسه العكره)) لم يتوقفوا عن التساؤل .. هل هو ((خروج)) للسوفيت ؟ ..

هل هو ((اخراج)) للسوفيت ؟ ..

هل هو ((اخراج)) للسوفيت في مصر والشرق الاوسط .

هل هي تصفيه ((لهم)) او تصفيه ((لحساب)) معهم ؟ ..

او هل هي تصفيه للوجود السوفيتي ؟ ..

هل هي محاوله لتكذيب كل ما اعلنه السوفيت من استعراضات للقوى في موسكو وفي العالم بمناسبة الوفاق بين امريكا وروسيا ؟..

هل هي مساومه على السوفيت ؟ ..

هل تم بالاتفاق مع الامريكان ؟ ..

انني اعرف ان مرحلة جديده من محاولة اقناع الروس بان هذا القرار وطني يجب ان تبدا فورا . واعلم مقدما ومن مواقع تجاربي الطويله معهم ان رد الفعل السوفيتي يجيء متاخرا جدا . وانني ساحتاج الى وقت طويل لكي اقنعهم بان القرار مصرى وطني صميم . وانني لم احتج الى خلفيه تاريخيه اكثر من التي يعرفها الروس والتي تعبت من تكرارها لهم .. ان بعض هذا الذى يحدث يكفي . ولكني انسان صبور .. وقد اساء السوفيت فهم صبرى هذا . ولم يتصوروا ان للصبر حدودا ، بعدها يفقد الانسان السيطره على نفسه .

واحمد الله انني لم افقد سيطرتي على اعصابي في اشد الازمات . ومن بينها وفي مقدمتها هذه الازمة : ان اقف وقفه موضوعيه مع صديقنا الكبير الاتحاد السوفيتي .. ويبدو ان هذا القرار كان مفاجئا وكان هادئا لدرجة ان السفير السوفيتي وهو يسمعه لم يصدقه ، او خشى ان يصرح لي بذلك . وانما تصور راسي ساخن وانني اتوعد . وانني عندما يبرد راسي ، سوف اعدل عن الذى اعلنته وطلبت اليه ان يبلغه للقادة السوفيت . او لعل السفير السوفيتي

قد سمع القرار ولكنه ولكنه لم يستوعبه . او لعله هو في حاجه الى تسفير من موسكو لكي يفهم هذا القرار الذى صدر في القاهره فهذه ايضاً من عادة السوفيت ، فهم هناك في موسكو يحتكرون التفسير والتبرير والتفكير والقرار ! . ولذلك حاول السفير ان يؤكد لي اننا اصدقاء فقلت : مافي ذلك شك ..

قال : اذن كيف نكون اصدقاء وتصدر مثل هذا القرار ؟.. لاننا اصدقاء . ولان الصداقه لها حدود . صحيح انتم دوله عظمى . ونحن دوله صغيره . ولكن الكبرياء لاتعرف المساحه الجغرافيه لاى بلد . فكبرياؤنا لاحدود لها . وانتم تنسون ذلك دائماً ونحن لاننسى ذلك ابداً . هذا هو الفارق الجوهرى بيننا وبينكم .. هل يمكن ان نبقى اصدقاء بعد ذلك ؟ .. مافي ذلك شك . ولكن احب ان اؤكد لك ان هذه قرارات . ان هذا قد تقرر . وانني سوف ابلغ وزير الحربيه هذا الاسبوع ماذا يجب ان يفعل بعد ذلك .. وسوف اجتمع باللجنه المركزيه واخطرها بكل شيء . ولم يجد السفير مايقوله . وكان لابد ان اتحرك بسرعه . فانا لااريد ان اقطع صلتي بالسوفيت ولكن هذا القرار كان ضروريا لهم ولنا . ولذلك كان من الضرورى ان اضع هذا القرار في ثوب من حرير . لانني لااريد ان احرج السوفيت . فقد جاء هذا القرار مفاجئاً لهم . ووضعتهم في مازق . ولقد رايت هذا المازق صورتين : صورة السفير السوفيتي وصورة سفير خارجيتنا الذى يتعاطف مع السوفيت . ثم انني لست في حاجة الى ان اقول لشعبنا انني لم اتصل بامريكا قبل اصدار هذا القرار . فالشعب يعرف كل شيء . وقد صارحته دائماً . وانا الان اصارحه بما في نفسي .. ولكني اعرف انني ساحتاج الى وقت طويل لكي اؤكد للسوفيت ((مصريه)) هذا القرار مائه في المائه . وبعد يومين اتصلت بعزيز صدقي رئيس الوزراء . واخبرته بانه لابد

أن نجد وسيلة لشرح هذا القرار للسوفيت ومعرفة رد الفعل عندهم . كل ذلك قبل أن نعلنه .. فحتى هذه اللحظه لم نكن قد اعلناه . وان كنت ذكرت تعليقاً رسمياً على القرار بعد اعلانه ، فلكي اؤكد صحة ماجاء في التعليق من حرص على الصداقه السوفيتيه . ولكن القرار لم يتجاوزنا نحن الذين اجتمعنا في قصر القاهره . وتواصينا بكتمانه . وكتمناه .. وطلبت الى عزيز صدقي أن يتصل بالسفير السوفيتي . واتصل به . واخبره برغبته في السفر على رأس وفد الى موسكو .. كل ذلك لاني لا اريد أن اريق ماء وجه السوفيت . وانما فقط أن اصب الماء على رؤوسهم الساخنه جداً لعلهم يرون الصوره اوضح .. صورتنا نحن في مصر وفي المنطقه . وطلبت الى عزيز صدقي أن يقترح على السفير السوفيتي أن يسافر هو على رأس وفد . وكان ممدوح سالم ضمن هذا الوفد . ورحب السفير السوفيتي باقتراح عزيز صدقي . ويبدو أن الترحيب الشديد كان سببه أن السوفيت تصوروا أن هذا القرار نوع من التهويش . وانني ارسلت عزيز صدقي لكي يساوم . وانهم يعرفون ذلك مقدماً . وانهم قبلوا الزياره والتجاره معاً . وسألوا عزيز صدقي أن كانت هذه الزياره مبادره منه هو شخصياً ، أو انني اعرف ذلك وموافق عليه . ولم يكونوا يعرفون هذا الاقتراح مني انا . وسافر عزيز صدقي . وقد تمنيت له التوفيق في مهمته . ولكني في نفس الوقت اكدت لعزيز صدقي أن يجاهر بأن هذه القرارات لا رجعة فيها .. انتهى كل شيء . وأن هذه الزياره ذات هدف واحد : هو البحث عن شكل محترم وعبارة ناعمه لمواجهة العالم في بيان مشترك يصدر من الدولتين بانهاء مهمة الخبراء الروس . وأن مصر تشكركم على نجاح مهمتهم في مصر . وانها لن تنسى لهم هذا الفضل مدى الحياة . وكان موقف عزيز صدقي مفاجأة لهم فقد اعتقدوا اننا غير جادين . ولكن عزيز صدقي اكد لهم انه ليس مفوضاً في مناقشة هذه القرارات . لان القرارات صدرت . ولم يتقبل السوفيت هذا الموقف من مصر . وعاد عزيز صدقي الى مصر .. وايقن السوفيت أن مصر جادة . وبسرعة

سحب الروس كل خبرائهم من جميع وحدات الجيش المصرى . ونفذوا قـــرار الخروج من مصر قبل الموعـد المحدد بأربع وعشرين ساعه .. واعلنت انـــا بعد ذلك في اللجنة المركزيـه يوم الثلاثاء ١٨ يوليو ان السوفيت قد نفذوا قـرار الخروج من مصر تماما . قبل الموعـد المحدد لهم ..

وبعد هذا القرار دخلنا في مرحلة او في مراحل او في طريق طويل عريـــض متعرج شائك هو الذى يؤثر في علاقتنا منذ ذلك الوقت حتى ساعتنا هذه في يومنا هذا من شهر يناير هذا سنتنـا ٧٧ هـذه .. ولكني كما قلـت منذ لحظات قد ارحت ضميرى .. واحسست ان جبلا ثقيلا قد سقط من فوق قلبي .. وانني كأى فلاح ظل مختبئا وراء شجرة او تحتها والشمس تشرق وتغرب .. ولكن شيئا في نفسي لا ينام .. لا يعرف الليل ولا النهار .. لا يعرف الجوع والعطش والتعب .. هذا الشيء ان هناك ثأرا انـــي اخذت بثأرى . ومن حقي بعد ذلك استريح .. وان اذهب الى الاسكندريه .. فمنذ ٦٧ حتى صدور هذا القرار لم اذهب الى البحر ككـل عباد اللـه .. فقط يوما في نهاية كل اسبوع ، ثم اعود الى القاهره . ولكن في هذا الصيف من يوليو ١٩٧٢ وجدت انه من الضرورى ان استريح .. وان انزل البحـــر . فقـد كنت اشعر قبل ذلك ان ماء البحر لا يقوى على حملي ، لانني احمـــل شاطيء على صدرى .. اما الآن فانني خفيف على الماء . لقد خففت همومي كلها .. واعتمدت في حساباتي على ان السوفيت ـ كعاداتهم ـ ســـوف يحتاجون الى وقت طويل لكي يحللوا ابعاد هذا القرار . وان كنت اعلـم مقدما ان الروس شكاكون بالطبع . وان اول ما سوف يهتدى اليه تفكيرهـم هو انني اصدرت هذا القرار باتفاق مع الأمريكان . وقلت للذين يعاونوننى يجب ان نعطي للسوفيت وقتا كافيا ليفكروا في القرار وفي ابعاده وفـــي الخطوات التاليه .. ورأيت في اغسطس ان اتوجه الى السوفيت بنفســـي .. اكتب اليهم خطابا بقلمي . وجلست استحضر كل افكارى . واستعرض كـل تاريخي معهم . واحسست انني اجلس امام محكمـه التاريخ . وانني ذهبت اليها بقدمي . وامسكت القلم . ويعلم الله انني ماعانيت يوما مثلما عانيـت

في ذلك الوقت . لقد شعرت انني امسك قلماً لاول مره . وانني لا اعرف كيف احركه على الورق . فقد استحصت المعاني في رأسي . ورايت المسافه طويله بين بداية السطر ونهايته . وظللت اكتب اكثر من سبع ساعات . ثم مزقت كل ماكتبت . وسلمت نفسي للنوم . وفي اليوم التالي اعدت كتابة هذا الخطاب في خمس ساعات اخرى . وارسلت اليهم الخطاب . ولم انشره . وانما احتفظ به لفرصه اخرى . وفي هذا الخطاب وضعت كل شيء في مكانه وفي حجمه ووزنه . وبخطي . امامهم وامام الشعب والتاريخ . وفي هذا الخطاب طالبت لضرورة أن نجلس معاً وان نتناقش بمقتضى المعاهده التي بيننا .. ومضى اغسطس وسبتمبر وفي اكتوبر تلقيت من موسكو ان الرئيس حافظ الاسد سيجيء الينا في زيارة سريه . والرئيس حافظ الاسد لديه نسخه من هذا الخطاب . وهذا طبيعي لاننا ننسق سياستنا معاً . ولملحقيقه فان الرئيس حافظ الاسد قد زار موسكو بمبادرة منه . واتفق مع القاده السوفيت على ان يستقبلوا وفداً مصرياً برئاسة رئيس الوزراء لمناقشة الموقف . وخصوصاً بعد ان اتضح لهم ان القرار لم يكن طعنه في الظهر . واننا لم نبعهم للامريكان . وكان خطابي هذا يضم بمنتهى الوضوح كل حيثيات صدور هذا القرار .. وجاء الرئيس حافظ الاسد الى القاهره . ووافقته على كل شيء . وعلى ان يسافر الوفد المصرى يوم الاثنين ١٦ اكتوبر .. وقد اعلنت في افتتاح الدوره الثانيه لمجلس الشعب سفر عزيز صدقي ومعه وفد كبير الى موسكو وقلت انه مكلف بمهمه اريد لها ان تنجح . وانني ((اعطيها تاييدى الكامل مبدأ وضرورة في نفس الوقت واعدكم بان اجيء الى مجلسكم ولو في جلسه سريه واحيطكم علما بالتفصيلات والتطورات راجياً ان يكون في مقدورى سامتها ان اعطيكم ماتطمئن به قلوبكم وترضى عنه ضمائركم)) .. وفي موسكو حدث عتاب طويل . وتوضيح مستمر من جانب الوفد المصرى . وطالب الوفد المصرى بضرورة التعجيل بتنفيذ العقود المبرمه بيننا .. واعاد عزيز صدقي ما سبق ان قلته من ان الوضع في الشرق الاوسط لا يسر حبيباً وان كان يسر العدو . وان الزمن يجرى ضدنا .. الخ ... ولم يوفق عزيز صدقي في رحلته هذه . فقد كان الجو ملبداً في غيوم المراره

والشك .. وان كان الطرفان قد اتفقا على ان تكون هناك صله ما بيننا وبينهم. ووعد السوفيت بتقديم مواعيد ارسال الصفقات التي تاخر ارسالها الينا . وظل كل شيء على ماهو عليه حتى جاء فبراير سنة ١٩٧٣ . فقد اعلن السوفيت ترحيبهم بزيارة الفريق الاول احمد اسماعيل وكان قد عين وزيرا للحربيه . وكان قد عين في اكتوبر ١٩٧٢ . بعد ان اكتشف تصرفات خطيرة لوزير الحربيه الذى سبقه . . في شهر فبراير هذا سافر احمد اسماعيل الى موسكو .. وسافر حافظ اسماعيل الى باريس لمقابلة هنرى كيسنجر وزير خارجية امريكا .. وفي موسكو اكد لهم احمد اسماعيل ان قرار طرد الخبراء السوفيت ليست له اى خلفيات مريبه ، كما يتوهم السوفيت . وعلى ذلك عقدوا معه صفقة اسلحة . وفي هذه الصفقه بعض ماطلبناه قبل ذلك .. واقول ((بعض)) الذى طلبناه . فليس من عادة الروس ان يعطوا ((كل)) مانطلب .. وانما البعض دائما .. واحيانا كثيرة جدا يبعثون الينا ببعض الاشياء التي لم نطلبها ، ولا نحتاج اليها ، وفي الوقت غير المناسب لذلك ...

ولكنهم هذه المره قد وافقوا على ارسال اسلحه جديده ، كالتي اعطوها لسوريه قبل ذلك بسنه . وكان في تقديرى ان الروس اذا تاكدوا ان هذا القرار المصرى فسوف يغيرون موقفهم في مدى ستة او سبعة اشهر .. ولذلك تغير موقفهم بعد ثمانية اشهر ، اى بفارق شهر واحد عن تقديرى للموقف . والاول مره في تاريخ التعامل معهم وللحق والتاريخ .. اقول انهم ارسلوا جزءا من الصفقه فورا ! . وكان لهذه الصفقه اثرها الكبير في استعدادنا للحرب .. لاني حددت سنة ٧٣ بانها سنة المعركه وفي شهر فبراير هذا ، وقبل ان يسافر احمد اسماعيل الى موسكو كنت مع المجلس الاعلى للقوات المسلحه جلوسا ووقوفا امام ((تختة الرمل)) التي هي نموذج للصحراء سيناء بكل تفاصيلها . وقد وقف كل قائد وشرح خطته . لان احمد اسماعيل كان قد فرغ من الخطه تماما . ثم عاد احمد اسماعيل من موسكو . وعاد حافظ اسماعيل من باريس . . .

الاول عاد بصفقة اسلحه ، والثاني عاد بحديث مع كيسنجر . وكيسنجر

قال لحافظ اسماعيل ما معناه اننا مهزومون . ولذلك يجب الا نبالغ في مطالبنا . واننا لانستطيع ان نحارب . واذا حاربنا فسوف نلقى هزيمة اشنع من هزيمة ٦٧ . ومن الواجب ان نتصرف كمهزومين ، لاكمنتصرين ، ونحن لن ننتصر في اية معركة .. وقال كيسنجر لحافظ اسماعيل ! . ارجو ان تنصح الرئيس السادات الا يحاول تغيير الوضع عسكريا ، والا ..... والا كانت الهزيمه هي مصيرنا ، وفي هذه الحاله سوف يكون مصيرنا مستقبلا اسوأ مما نحن عليه ! .. اما احمد اسماعيل ـ الله يرحمه ـ فقد سألته عن الجو في موسكو فقال انه التقي بجريتشكو وزير الحربيه وتحدث اندرويوف وزير الامن القومي وهو صديق لاحمد اسماعيل الذى درس في موسكو وكان معروفا لديهم . وكان من رأى اندرويوف ان يخبرني بانه لاداعي لان يكون في النفوس شيء يفسد العلاقات .. وانه مستعد ان يحضر الى القاهره للقائي متى شئت .. واستدعيت السفير السوفيتي وقلت له : انتم تعلمون ان حافظ اسماعيل قابل د . كيسنجر في باريس . ليس هذا سرا فقد اعلناه . ولابد ان الوفاق الذى بينكم وبين الامريكان يجعلكم تعرفون كل شيء .. قال : نعم .. قلت : اريد ان التقي بواحد على مستوى اعلى لاتحدث اليه عن تفاصيل ماداربين حافظ اسماعيل وكيسنجر ...

قال : مستعدون .. قلت : اريد ان اؤكد لاى مسؤول يجيء من موسكو صحة نظريتي من انه ما لم يشعر الامريكان واليهود بقوتنا فلن يتحرك الموقف ولن نحصل على شيء .. وفي ذلك الوقت كانت قد انتشرت نغمة سوفيتيه او نغمة ((وفاق)) تقول انه لاداعي للحرب . وان الوسيله الوحيده لتحقيق السلام هي استخدام سلاح البترول والضغط على امريكا واللعب على وتر احتياجها للوقود .. اما الحرب فلا .. وتذكرت الخطاب الشهير الذى القاه تشرشل في فبراير سنة ١٩٤١ عندما توجه به الى الرئيس روزفلت يقول له : ان شيئا لن يهزنا ولن يخيفنا .. لا الحرب المفاجئه ولا اليقظه الطويله . لاتخف علينا . اعطنا سلاحا وسوف نقوم نحن بالمهمه ! ... بالضبط هذا ما قلته مرات عديده للسوفيت

وما قلته للسفير السوفيتي هذه المره وانا املئ عليه هذه الرساله : قل للقاده السوفيت ان يبعثوا لي بانديرويوف وزير الامن القومي لكي ابحث معه ما دار بين حافظ اسماعيل وكيسنجر في باريس . وعلى الرغم من انني اعلم علم اليقين ان كيسنجر قد اخطر السوفيت بكل شيء ، فقد احببت ان انقل اليهم بامانة ما دار في باريس ، لعلى استرد منهم بعض الثقه . ومضى اسبوعان . ولم اتلق ردا . وسالت السفير السوفيتي : اين الرد ؟ ..

فقال لم يات بعد ! . وكما قلت قبل ذلك .. انني اعلم ان بين موسكو والسفاره السوفيتيه هنا خطا اليكترونيا للاتصال باى واحد من القاده السوفيت ولكن هذا الخط لم يحقق السرعه المطلوبه . فالسفير يطلب فقط . ويظل ينتظر بالشهور . وبالمناسبه فقد طلبت من السوفيت خطا الكترونيا من هذا النوع يربط بين عواصم الاتحاد والقاهره ودمشق وطرابلس . فوافقوا بشرط ان يتولى ادارته ضباط سوفيت . فرفضنا طبعا . واشترينا هذا الخط من فرنسا ! ..

ومضى اسبوعان اخران . وسالت السفير ان كان قد اجابه احد على رسالتي . فقال لاجواب ! .. قلت : ان الموقف خطير . وان الحديث الذى دار بين حافظ اسماعيل وكيسنجر مهم جدا . ولا بد من مناقشته مع مسؤول كبير فلا القي منكم الا هذا الموقف .. اذن لم يتغير في سلوككم شيء ، ويبدو انه لن يتغير ! .. فلم يرد الرجل ...

فقلت له : يظهر انني نسيت انكم دوله عظمى . ونحن دوله صغيره . وان هناك مراسم لابد ان اقوم بها لكي اتصل وانتظر . ثم اتصل ولا التقى ردا وانتظر اذا كانت هذه هي المراسم المطلوبه فانا ارفضها . ولذلك ابعث لهم بانني الغيت دعوة وزير الامن القومي السوفيتي .. فليس عندى وقت للانتظار . ولا امل عندى في تغيير او تعديل سلوككم مني ، او من مصر .. فقد كنت مشغولا بالتجهيز للمعركه داخليا وعربيا وعالميا وسياسيا ودبلماسيا وعسكريا .. وجاءني الرئيس حافظ الاسد في ابريل . واتفقنا في برج العرب . ووقعت احداث وتفاصيل كثيره ليس هنا مكان ذكرها . فانا هنا اركز فقط على تطور او تدهور العلاقات السوفيتيه المصريه .. ثم جاء يوم ٥ يونيو .

وقد اعتدت في مثل هذا اليوم أن أذهب الى الجبهه . وعبرت الى سيناء من بور سعيد الى مدى ١٧ كيلو متراً منها . ثم عدت الى الجيشين والى المواقع كلها بالكامل . والذى لا يعرفه الناس حتى الآن ، ولم يعرفه اليهود هو أن كل المواقع التي مررت بها . ووقفت عندها ونظرت منها الى الناحيه الأخرى — وكان اليهود يظهرون أمامنا — هذه المواقع هي التي بدأ منها الهجوم . وفي هذه المواقع كنت أطلب من كل قائد أن يصف لي ما سوف يعمله تماماً كما اتفقنا أمام ((تختة الرمل)) .. وبعد ذلك كنت ألقي عليهم التعليمات النهائيه .. مثلاً : كانت تعليماتي بالنسبه للقنطره شرق للواء فؤاد عزيز غالي الذى كان مقرراً له أن يهاجمها : يا فؤاد لو كان عبد الناصر حياً لدخلت القنطره من هذا المكان .. وكنت قد اتفقت مع محمد فوزى والمرحوم عبد المنعم رياض أن يحجزا لي مكاناً في القوات الزاحفه على القنطره . ثم قلت لفؤاد غالي : لقد رتبت كل شيء لكي أستولي عليها بنفسي .. وفي أحدى الجولات على الجبهه ذهبت الى مطار القطاميه . وكان من عادتي أن ألتقي بالطيارين كثيراً وفي أحدى الدشم جلست معهم وورائي تلفون دق الجرس . قلت لأحمد اسماعيل : رد انت . وانشغلت بالحديث الى الطيارين .. ثم سألت احمد اسماعيل بعد ذلك عن المتكلم . فقال : انه السفير السوفيتي . ولديه رسالة عاجله . وانه يريد أن يحدثك شخصياً ... ولو كنت انا في القاهره لاستأذن في مقابلتي . ولكن لأني قد تعودت أن — المكالمات العاجله والرسائل الهامه لا تكون عادة عاجله ولا هامه ، لم أسأل احمد اسماعيل كثيراً عن الذى قاله السفير السوفيتي .. ولكن عدت أستوضحه بعد ذلك فقال أن السفير لديه رساله من موسكو تقول أن بودجورني سيزورني يوم ١١ يونيو .. وتسألت : رسالة عاجله .. زيارة بودجورني بعد خمسة أيام ؟ .. أن بودجورني غير قادر على أن يحل أو يربط فليس هو الرجل الذى تهمني زيارته . لقد جربته . وناقشته واختلفت معه . وليس هو الرجل الذى يحترم مصر ولا قواتها المسلحه ولا قدراتها . ولا أرى أن هذه الزياره ذات أهميه من أى نوع .. وأني أعلم لماذا قرر القادة —

السوفيت ارسال بودجورني . فقد الغيت دعوة اندرويوف . وحتى لاتتسع الهوة الواسعه اصلا بيننا ، فقد قرروا ارسال بودجورني . وقلت لاحمد اسماعيل قل لهم اننا مشغولون ! .. واكملت جولتي على الجيشين والصواريخ والقوات الخاصه والصاعقه والطيران لكي اقول للجميع : استعدوا للمعركه جهزوا للقتال والنصر باذن الله ..وفي الليل وبعد ان هبطت الطائره في اخر مطار في انشاص ، ركبنا السياره وسالت احمد اسماعيل : هل ابلغت السفير السوفيتي بما قلت لك ؟ .. قال : لا . قلت: لماذا ؟ .. قال : ربما اعدت سيادتك النظر في هذا القرار ونحن مقبلون على معركه . قلت : صحيح نحن مقبلون على معركه . ولكن بودجورني هذا لاوزن له في روسيا .. ثم ان زيارته مجرد ((منظر)) ..ولو كان الذى سيزورنا هو برجنيف لاحتفلت به اعظم احتفال .. فهو الرجل الذى يقدر على اى شيء . وطلبت الى احمد اسماعيل ان يبلغ السفير السوفيتي اننا مشغولون وغير قادرين على استقبال بودجورني ..ولم يكن ذلك شعورا نفسيا شخصيا فقط ، وانما كانت حالة نفسيه عامه ، فلست مستعدا الان اشترك في هذه التمثيليه التي مللت فيها الحوار والسيناريو وربما كانت البطوله الوحيده في هذه التمثيليه هي للاكثر صبرا . واعتقد اني قد اديت هذا الدور طويلا وكثيرا . وقد ارضيت الله والشعب . وهذا يكفيني .. لقد انتهيت من كل شيء . الاعداد والاستعداد . حتى اثناء الاتحاد الاشتراكي استدعيتهم الى برج العرب . ووضحت لهم ابعاد الموقف . وطلبت اليهم ان ينقلوا للناس اننا على ابواب المعركه . ما في ذلك شك باذن الله . كل ذلك كان قبل المعركه بشهرين . لقد اعطيتهم ((الاوامر الانذاريه ؛) كما نسميها في الجيش .. وعلى نهاية اغسطس كان كل شيء قد انتهى تماما . كل التدريبات قد كملت .. وفي سبتمر كان اخر لواء قد انتهى تدريبه على المهمه التي سيقوم بها في الحرب .. وفي اواخر اغسطس سافرت لزيارة الملك فيصل الله يرحمه ..وبعد الملك فيصل سافرت الى قطر ..ومن قطر اتجهت الى بلودان لمقابلة الرئيس حافظ الاسد .

وهناك حددنا الموعد النهائي للحرب يوم ١٠ رمضان (٦ أكتوبر)
واصطحبتمعي في هذه الرحلة محمد علي فهمي رئيس الاركان
وحسني مبارك قائد الطيران . وكان هدفي من ذلك أن أريحهما من
احمد اسماعيل . فقد ارهقهما ليلا ونهارا . واعتقد انهما حصلا
على نصيب لا بأس به من النوم . فاحمد اسماعيل كان قد ركز تماما على
الصواريخ والطيران . وكنت قد اتفقت مع احمد اسماعيل على أن استدعى
السفير السوفيتي يوم الاربعاء السابق على المعركة . وأن يستدعي هو
السفير السوفيتي يوم الخميس . ونتوجه نحن الاثنين بسؤال واحد
الى السفير لينقله الى القادة السوفيت: ما هو موقف الاتحاد
السوفيتي اذا قمنا بتحريك الموقف عسكريا ؟

الرئيس السادات

الجليد .. يذوب :

بين موسكو والقاهره !

١٤

كل رسائل موسكو :

((عاجله)) .. بلامبرر !

عندما طلب الرئيس السادات من السفير السوفيتي أن ينقل اليه ما الذى سوف يفعله القاده السوفيت اذا مصر حاربت. جاء الرد بطلب مطار عسكرى تقف فيه طائرات حربيه لنقل الرعايا الروس دون أن يراهم أحد ..

فلما اشتعلت الحرب بادر السوفيت بطلب وقف القتال .

وعندما أجاب الرئيس السادات بالرفض جاء كوسيجين نفسه يطلب وقفها فورا . وتلقى من الرئيس السادات نفس الرفض ..

وفي ذلك الوقت أحدث اليهود ثغرة بين قواتنا . وكانت الثغره ضربة لقلة من الانهزاميين في مصر زادتهم فزعا . ولكن الرئيس السادات اعلن منذ اللحظه الأولى أن يكرروا مافعله النازيون في الحرب العالميه في نورمانديا .. وأن الفشل كان مصير الثغره الالمانيه والثغره اليهوديه أيضا . وبزيارة كيسنجر الى مصر ازدادت العلاقات المصريه السوفيتيه سوءا . وانفتح باب الحوار من أجل فك الاشتباك الاول والثاني والسلام في المنطقه ...

وفي يوم الاربعاء السابق على المعركه استدعيت السفير السوفيتي وسألته : ماهو موقف الاتحاد السوفيتي لذا قمنا بتحريك الموقف عسكريا ؟ .. كان ذلك في بيتي في الجيزه ، قبل ان انتقل الى قصر القبه . وكما توقعت تماما بادرني السفير السوفيتي قائلا : ومتى قررتم هذا التحرك العسكرى ؟.. فاجبته : ان التاريخ لم يتحدد بعد . ولكني مع الرئيس حافظ الاسد قد قررنا تحريك الموقف . وانا اريد ان اعرف بالضبط مالذى سوف تفعله القياده السوفيتيه . فارجو ابلاغهم بذلك فورا . وانا في انتظار الرد بسرعه .. وهذه المره — ارجوك — يجب ان يكون الرد اسرع من كل مره ! .. وفي يوم الخميس طلب السفير مقابلتي بسرعه .. وقلت لنفسي : انهم قد ادركوا خطورة الموقف . وصدقوني هذه المره . اذن لقد فرحت .. وجاءني السفير وسألته : أن شاء الله تكون معك اخبار هامه .. فاجاب : هامه فعلا .. قلت : خيرا . قال القادة السوفيت يطلبون التصريح بهبوط اربع طائرات كبيرة لنقل الرعايا السوفيت .. قلت: متى ؟ .. قال غدا الجمعه ... قلت : وهل اجابوا على السؤال الذى ارسلته معك ؟ .. طبعا انت ارسلته ؟ . قال : نعم ارسلته . قلت: فماذا كان الرد ؟ .. قال : لارد .. ان القادة السوفيت يدرسون ويحللون . ولهم رجاء .. قلت : ما هو ؟ .. قال : ان تهبط الطائرات الاربع في مطار عسكرى حتى لايشعر احد من الناس بنزول الطائرات او صعودها ولا بالرعايا السوفيت . قلت : موافق تماما . وليس عندى اى مانع .. وفي يوم الخميس ليلا انتقلت الى قصر القبه نهائيا . وهناك اعدت غرفة عمليات كامله وفيها كل الضباط . وعلى اتصال بكل مكان في مصر وعلى احدث الاساليب العلميه .. وفي يوم السبت نشبت الحرب .. وفي الساعه الثامنه مساء طلب السفير السوفيتي مقابلة عاجله اى بعد قيام الحرب بست ساعات . وكنت ساعتها في غرفة العمليات . وكنت على وشك ان اترك غرفة العمليات . فالطيران كان قد ضرب ضربته بنجاح . والمدفعيه اطلقت فيضانا من نيرانها بمنتهى النجاح . العبور تحقق بنجاح عظيم .. كل شيء قد اتجه الى قلب العدو واصابه في الصميم ..

انهـا لحظات وساعات من اروع ما في العمر كله .. عمري وعمر شعبنا والامـه العربيـه . ولابـد ان التاريخ سـوف يقف طويلا عند هذه السـاعات .. وقـد وقف المؤرخون السياسيون والعسكريون امام هذا الانجاز العظيـم ويكفي ان نستعرض ماقيل في الصحف وفي المحاضرات وفي الندوات وفي المذكرات العسكريه . لنرى ابعاد هذا العمل العظيم بجميع المقاييس .. بل ان نجاحنا وهذه حقيقة يقولها العدو والصديق ـ كان اضخم ممـا توقعناه . مع صعوبات عمليات العبـور لقناة السويس .. وهي اعظم عائق وحائل مائي في كل العصور ه في الحروب التي مضت والتي سـوف تجيء . ولو تركت قلمي يصف ما يمـلأ نفسي ماتوقفت عنـد اي حـد .. ولكني اريد ان اكون قريبا من الخـط والخطه والاطار التي اتخذتها لهذه الاوراق .. وهنأت الضباط على النجـاح العظيـم . وتركت غرفة العمليات واتجهت الى قصر آنفا هره حيث ينتظرني السفير السوفيتي الذى يحمل رسالة عاجله من القادة السوفيت .. لقد اعتدت على ((الرسائل العاجلة)) هذه .. وهي عادة لاتكون عاجلة باي معنـى ولكني ((عودت عيني)) على ذلك . فلا انا مللت، ولا هم ايضا . او مـن المفروض الا اعـرف الملل ، حتى لا اعرف الغضب ، فاذا عرفت الغضب اتخذت قرارا خاطئا . وهذا ما لا اريد ولا احب .. ولذلك يجب ان اتوقع ان تكون كل رساله عاجله ، هي عاجلة ، وهي رسالة هامه في نفس الوقت . وفي الطريق الى لقـاء السفير السوفيتي . رحت افكر بسرعـه : ترى مالذى يتعجله السوفيت .. هل يريدون ان يعرفوا سير القتال وان يطمئنوا على السلاح السوفيتي قد نجحنا في استخدامـه .. وفي ذلك انتصار للسلاح السوفيتي على السـلاح الامريكي .. ان حـرب اكتوبر هي بداية عظيمه في عصـر الوفاق .. ولابد ان يكسب الروس من ورائها شيئا كثيرا .. انهم كسبوا الكثير بسبب تفوقهم في فيتنـام ... ثم هذه المـره .. لقد حاربنـا اليهود وفي ست ساعات تم لنـا اعظـم الانتصـارات .. فنحن العرب جميعا نستحق التهنئـه .. واحسسـت ان يدى قد امتدت امامي وطالت حتى بلغت حدود العالم العربي والاسـلامي اهنىء اشقائي واتلقى تهنئتهم ايضا .. فلم يكن ذلك انتصارا لمصر وحدهـا ،

وانما هو انتصار للعرب وبالعرب ايضاً .. ولا اعرف بالضبط ما الذى يريده القادة السوفيت .. ولم استطع ان اركز تفكيرى في اى شيء سوى المعركه الدائره . وكم من جنود عبروا القناة سالمين تماماً .. واين اتجهت نيران مدافعنا .. ثم ذلك المشهد الذى تمنيت ان اراه يعيني .. وهو دخول قواتنا الى قلب سيناء الى القنطره شرق .. وكم تمنيت ان ارى خط بارليف يذوب .. تتحول فيه الخرسانة الى رمال .. وتتحول فيه قضبان الحديد الى طين .. وارى اليهود هاربين فارين او اسرى .. ان ابنائنا قد شربوا العذاب والهوان . وشربوا العار ولم يعتادوا عليه وهم ينظرون الى الضفة الاخرى من ارضهم وقد ارتفع عليها العلم الاسرائيلي .. انه لشيء رهيب .. ولم يكن هناك شيء اروع من ان يروا اعلام اليهود وقد تهاوت عند اقدامهم .. واستغرقتني هذه الصور اختلطت فيها الاحلام والامال والامتنان لله سبحانه وتعالى ان نصرني على عدوى ، وان اعزني بنصر من عنده .. ورغم فرحتي بما حدث ، فانا كرجل سياسي ، تعلمت انه لاحدود للاحتمالات .. قد تجيء من هنا او من هناك .. ثم هذا السفير السوفيتي انه هو ايضاً واحد من هذه الاحتمالات .. ومددت يدى اصافح السفير السوفيتي ، ولم يلاحظ هو السعادة على وجهي ، ولا الارتياح في كلماتي ، فهو مشغول بالرساله التي حملها ، كما انني مشغول بالنصر الذى حققناه وادعو الله ان يبقيه لنا ويضيف اليه نصراً بعد نصر .. فقلت له : خير ان شاء الله .. قال : رسالة عاجله من القادة السوفيت . قلت : ما هي ؟ . قال : وقف اطلاق النار ! .. قلت : هم يطلبون وقف اطلاق النار ؟ . قال : نعم .. قلت : هل القادة السوفيت عندهم فكرة عن النار التي يريدون وقفها ؟ . قال : لا اعرف . قلت : تحب ان تعرف ؟ .. قال : انهم يطلبون وقف اطلاق النار .. قلت : انهم يطلبون . قل لهم انني ارفض ما يطلبون . قال : انهم يطلبون ويلحون . قلت : وانا ارفض بالحاح ايضاً .. ثم اين الاجابه على السؤال ؟ .. قال : اى سؤال ؟ . قلت : الم اكلفك بان تنقل للقادة السوفيت ما الذى سيفعلونه اذا تحرك الموقف العسكرى .. وقد تحرك الموقف ولم يتحرك القادة السوفيت .. وعندما تحركوا

طلبوا مني الا اتحرك .. هل هذا مايريدون ؟ .. قال : انهم يطلبون وقف اطلاق النار . قلت : لن اوقف اطلاق النار . ثم انني مازلت في انتظار اجابتهم . فاطلب اليهم ذلك وليكن هذا الطلب على شكل رسالة عاجلة .. قال : انهم يطلبون وقف اطلاق النار . قلت : لن يوقف اطلاق النار حتى يتحقق الهدف . قال : ما هو الهدف ؟ .. قلت : ان تصل قواتنا الى المضايق .. انها معركة محدوده . هل تعرف لماذا ؟ .. قال : لماذا ؟ . قلت : لان المعدة السوفيتيه لم تعطني من السلاح ما يجعلني استطيع ان اتحرك اكثر من المضايق .. او الى ماوراء المضايق بقليل .. خرج الرجل ولابد انه قد ابلغ القادة بكل مادار بيني وبينه . وعدت الى غرفة العمليات وفي اذني صوت الطائرات والمدافع وصيحات الجنود ودعواتهم الى الله وشكل الجنود وفوقها الدبابات والدخان يلف استحكامات بارليف .. وحيرتي بين ان ابقى في القيادة وان اسارع الى الجبهة كاي جندي لارى واملأ العين والقلب باعظم انجازات قواتنا المسلحه تمنيت ان اعبئ روحي بكل ذلك فليس في عمر الانسان ولا الشعوب لحظات او ساعات مثل هذه الساعات المجيده .. وتذكرت حوارا دار بيني وبين الملك فيصل الله يرحمه . كان ذلك في شهر اغسطس .. وكان هذا الرجل هو حكمة التاريخ .. كان نموذجا للهدوء والصفاء والاصاله . لقد وهبه الله حسن الادراك ونبل الشعور . وبعد النظر . قلت : سوف نحارب اليهود باذن الله . وقد اتفقت مع الرئيس حافظ الاسد على ذلك . ورفع الرجل راسه الى السماء ودعا الله لنا بالنصر . ثم قال : لي طلب وحيد . وهو اذا قمتم بحرب فلا توقفوها بعد ساعات او ايام قليله . اجعلوها معركة طويله . فاذا طالت استطعنا ان نبني عليها موقفا عربيا موحدا .. لا انسى هذه العبارة . انها عبارة في منتهى الحكمة . ان الانسان يستطيع ان يؤلف عنها كتبا في السياسه والاستراتيجيه .. انها حكمة هذا الرجل قد اودعها هذه العباره القصيره . انني لا ازال اتخيل هذا الرجل . ولا تزال كلماته الهادئه الهامسه ترن في اذني . لقد كانت وفاة الرجل خسارة بالغه للامه العربيه . وقد وقد ظن بعض الناس انني طلبت الى الملك فيصل ان يساعدنا بالبترول . ابدا .

وكل ماقلته للملك فيصل : انّ علينا انّ نحرك الموقف عسكرياً . ونحارب . امّا دورك انت فانني اتركه لك . فافعل ماتشاء وما تقدر عليه . وقلت له بالحرف الواحد : انت رب البيت . ورب البيت ادرى بما فيه ومن فيه ! . ولم يكن الملك فيصل في حاجة الى انّ اقول له اكثر من ذلك . فهو رجل حكيم عظيم . وقد ادرك كل شيء بذكائه وفطنته .. وعدت للحوار الذى دار بيني وبين السفير السوفيتي الذى جاء يطلب وقف اطلاق النار .. ثم ساق سبباً غريباً وهو انّ سوريا قد وافقت على وقف اطلاق النار . يعني انّ الرئيس حافظ الاسد قد قرر منفرداً وقف اطلاق النار . وسألت حافظ الاسد فانكر ذلك تماماً .. وفي يوم ٧ اكتوبر ، اى يوم الاحد وفي نفس الموعد جاء السفير السوفيتي ينقل لي رسالة عاجله : انّ القادة السوفيت يطلبون وقف اطلاق النار .. قلت : عندى اجابه عاجلة رداً على الرسالة العاجلة : لا ! . وبدأ الكوبرى الجوى بين موسكو والقاهره وتفاصيل الكوبرى الجوى والذخائر التي حملها الينا معروفه بكل تفاصيلها . امّا هذا الكوبرى الجوى فلم يكن ينقل الينا الا الاسلحه التي وعدوا جمال عبد الناصر بها . ثم عاقبوه بوقفها لانه بدأ حرب الاستنزاف ضد اسرائيل .. وكان الغرض من هذا العقاب انّ يستنزفوه هو .. انّ يسيلوا دمه وعرقه ودمعه وطاقة جنوده حتى يكف عن الحركه .. ويقبل الامر الواقع . وانّ يبقي الجنود على الضفة الغربيه من القناة واماهم العدو .. ثم يعتادوا على ذلك .. اى على الامر الواقع ! .. وقد شكوت كثيراً من قلة الذخائر بينما يكدسون الذخائر في سوريا مما دعاني الى انّ اطلب سلاحاً من سوريا . وقد اعطوني . امّا الاسلحه التي كان يبعث بها السوفيت الينا فهي قديمه .. ومن الحرب العالميه الثانيه .. وفي يوم ١٢ اكتوبر ايقظني السفير البريطاني .. يحمل رسالة من ادوارد هيث رئيس الوزارة البريطانيه وجاءني السفير البريطاني عند الفجر .. وسألته : ماذا عندك ؟ .. قال رسالة هامه من رئيس الوزراء .. قلت : ماهي ؟ قال : انّ كيسنجر وزير خارجية امريكا قد اتصل بمستر هيث واخبره انّ السوفيت قد نقلوا اليه انّ مصر وافقت على وقف اطلاق

النار . ولما كانت العلاقات بينكم وبين الامريكان مقطوعه فقد طلب كيسنجر من حكومتنا ان تتأكد من صحة هذا النبأ .. لانه اذا كان صحيحاً فسوف يتحرك كيسنجر بناءً على ذلك . فهل وافقتم على وقف اطلاق النار كما يقول السوفيت ؟ ..

قلت : لم نوافق على وقف اطلاق النار . ثم رويت له محاولات السوفيت لوقف اطلاق النار واشاعة ذلك .. وقلت له ايضاً اننا لن نوقف لقتال الا بعد ان تتحقق الاهداف .. فسألني السفير البريطاني : ماهي الاهداف ؟ .. قلت : لن اعلنها الا بعد ان تتحقق .. وخرج السفير ونقل ما دار بيننا الى رئيس الوزراء الذى نقله الى كيسنجر . وابلغنا السفير السوفيتي ان كوسيجين سوف يجيء الى مصر في زيارة ، اهلاً وسهلاً يا مرحباً .. وكان الهدف من زيارة كوسيجين شيئاً واحداً : وقف اطلاق النار ! .. هو يقول : اوقفوا النار ! ..

وانا اقول : لن اوقف النار .. وهو يقول : ليس من مصلحتكم الاستمرار في القتال .

وانا اقول : بل مصلحتنا ان نستمر . وهو يقول : انتم لا تعرفون الحرب .

وانا اقول : هذه فرصتنا لكي نعرف . وهو يقول : جربنا الحروب وشربنا المر ..

وانا اقول : نحن شربنا المر ، ولذلك يجب ان نجرب حلاوة النصر ..

ـ اوقفوا القتال ! .. ـ بعد المضايق ! .. وفي اثناء وجوده في مصر وقعت ((الثغرة)) اى تسللت القوات الاسرائيليه الى الضفة الشرقيه في فجوة بين الجيوش .. وهي غلطة عسكرية مشهورة في التاريخ . ولكن كثيراً ما حدث ذلك . ويعتبرها العسكريون عملاً انتحارياً فاشلاً . فقد جربها الالمان في الحرب العالميه الثانيه . في موقعة الاردن عندما فتحوا طريقاً عنيفاً دموياً بين قوات الحلفاء . وهذا الذى فعله النازيون ، كرره اليهود .. فهم يقلدونهم في كل شيء في الدعايه والكذب وفي غطرسة الحروب الهتلريه ، ولذلك محكوم عليها بالفشل .. لانها حركة بهلوانيه واستعراض تلفزيوني فاشل .. وهو يذكرني بما يحدث في الافلام : عندما يقوم اللصوص بسرقة البنوك او المتاحف او عندما يهربون السجناء في لحظة معروفه وهي لحظة ((تغيير الحرس)) .. في هذه اللحظة عندما يجيء الحرس ليتسلم العمل من حرس مرهق .. في هذه اللحظة ينجح اللصوص في دخول البنوك والمتاحف ، ويحاول السجناء ان يهربوا من السجن . وقد فعل

اليهـود بذلك .. ولم تضعف قواتنا ولم يتخاذل رجالنا . ولم يفسد ذلك من النصر العظيم الذى حققناه . فالذى حدث لايمكن تغييره . والموت أهـون من أى استسلام بعد ذلك . ولا استسلام بعد ذلك .. وكانت هذه ((الثغرة)) مأساة خلقية لكثير من الانهزاميين في مصر .. الذين نسوا ما انجزته قواتنا الباسله في عبورها وصمودها وزحفها واستشهادها . كل ذلك نسيه الانهزاميون ولم يعودوا يذكرون الا هذا التسلل اليهودى الدنيء ، بقصد تحطيم المعنويات وبقصد تأكيد الخرافة الاسرائيليه : ان الجندى اليهودى ولد لينتصر دائما ، والجندى المصرى ولد لينهزم دائما .. وقد انهزم ! .. طبعا لم ينهزم ... وانما الذى انهزم اناس مهزومون ودعاة هزيمة . ولكن اشهد لله وللتاريخ ان ٩٥ ٪ من شعب مصر ، من هذه القاعدة الشعبيه ظلت في صلابة الحديد . وقفت ورائي . وصدقتني ، وتمسكت بروحها العاليه . وسخرت من هذه القلة التي انهزمت سنة ١٩٦٧ ولاتريد ان ترفع راسها ، فاذا حاولت قواتنا ان ترفع لها الراس ، عادت هذه القلة الانهزامية فاحنت راسها وكرامتها ثم راحت تمتص الهزيمه من جديد .. ولكن هذه القلة لاتهم ولا تدخل في الحساب ..

وانما شعبنا العظيم العريق هو الذى يهم . انه شعب علمته الحياة والصبر والاحتمال والفطنة . وقد علمته فطرته ان يفهم ويحسن التقدير . فهو اعظم واصدق واحكم من كل الذين احترفوا السياسة وتاجروا بمشاعرة ولعبوا بها ..

ان هذه القاعدة العظيمة من شعبنا ، لم تهزها هذه الثغرة . امنت من اول لحظة ، ان هذه الثغرة سوف تنسد ، وسوف تنسحب قوات اليهود الى غير رجعة ...

وان هذه القوات التي اختارت لنفسها ان تدخل عمق مصر محاصرة بين جيوشها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، لايمكن ان تحتمل هذا المازق طويلا . وقد صح ما توقعه الشعب .. فزالت الثغرة ، ومعها اسطورة الامن الاسرائيلي والجندى الاسرائيلي . وتلاشي من الصورة كل فئران الهزيمة ! .. وبقى كوسيجين في مصر اربعة ايام . وبعدها عاد الى موسكو وفي اذنه عبارة واحدة : انني لن اوقف النار . وفي اذني عبارة واحدة : اوقف النار .. ولابد ان كوسيجين قد عاد غاضبا فلم يسترح الى مادار بيننا .. ولا انا استرحت الى الذى قاله . ولم اتوقع منه

شيئاً كبيراً . فهم لايثقون في قدرتنا على القتال . ويخشون في نفس الوقت انّ دخلنا الحرب انّ نورطهم معنا . وانّ نورطهم مع امريكا ، وخصوصاً انّ روسيا وامريكا في حالة وفاق . ويريدون انّ يظل هذا الوفاق طويلاً . ولا يريدون انّ نفسد هذا الوفاق . ولا انّ نضطرهم الى مواجهة عسكرية مع امريكا . ولست ضد الوفاق . ولكني ضد فرض السلام بالقوة . بقوة السلاح او بقوة الامر الواقع . ونظرية السلام بالقوة هي نظرية بن جوريون . فقد كان من رأيه : انّ العرب اذا لم يريدوا السلام باختيارهم فرضناه عليهم ! .. ثم لابد انّ اكون صريحاً واضحاً مع نفسي . ففي القاموس السياسي كلمات كثيرة جداً غير واضحة . ولكن الساسة يلعبون على الغموض .. اى يستغلون الغموض لصالحهم .. فيكون هذا الغموض كالسحب التي تطلقها السفن حتى لاتعرف الطائرات موضعها بالضبط ...

اى انّ هذا الغموض نوع من الكاموفلاج . اى نوع من التعميه او التمويه .. ومن بين هذه الكلمات التي تجلس على عرش الغموض كلمة : الصداقة ! .. وبصراحة شديدة جداً ، دون اسف ، ليست هناك صداقة بين دولة كبيرة ودولة صغيرة . هناك مصالح .. ولاتوجد صداقة دائمة ، وانما توجد مصالح دائمة .. فالصداقة لاتدوم ، ولكن المصالح المتبادلة هي التي تدوم ! .. وتشرشل هو الذى قال اثناء الحرب العالمية الثانية : من الذى يستطيع انّ يتنبأ بما سوف يفعله الروس .. انهم لغز ملفوف في فزورة ملفوفة في معضلة ، والمعضلة في صندوق له مفتاح والمفتاح في روسيا . والمفتاح اسمه المصلحة الوطنية ! .. وليست كلمة الصداقة الا احدى الكلمات الوطنية في قاموس كبير ! .. ثم سافر كوسيجين وكلماته ماتزال في اذني هو يقول : انّ الثغرة عملية عسكرية خطيرة . وانا اقول له : ليست خطيرة الى هذه الدرجة .. انها حركة بهلوانية .. وسوف ترى . ويؤكد كوسيجين : انها اخطر مما اتصور . وانّ الامور ليست بهذه السهولة ! .. والتاريخ يحكم بيننا الآن : صحيح انّ الامور ليست بهذه السهولة . فلا شيء سهل في العلاقات الدولية المعقدة . وخصوصاً اذا كانت الحرب احدى وسائل حلها . ولكن اين ذهبت الثغرة ؟ واين نقف نحن ؟ واين يقف اليهود ؟ .. وفي يوم ١٩ اكتوبر تدخلت امريكا . واعلنت ذلك . فقد تعهدت لاسرائيل بحفظ توازن

القوى في الشرق الأوسط . توازن قواها وقوانا . ومفهوم التوازن عند الأمريكان أن تكون اسرائيل أكثر تفوقاً . وكان التدخل الأمريكي بأسلحة متطورة جداً لم يستخدمها الجيش الأمريكي بعد . فقد أتوا بالقنابل التلفزيونية . والقنابل المضادة للدروع . وانفتحت الترسانة الأمريكية ونقلت الى اسرائيل كل ما تحتاج اليه وأكثر . ونزلت الدبابات من الطائرات الى القتال مباشرة .. واعلنت انا للعالم كله انني مستعد أن أحارب اسرائيل ، ولكني غير مستعد أن أحارب امريكا .. فأنا أمين على الشعب المصرى وقواتي المسلحة . ولن أسمح بأن يؤدى التدخل الأمريكي الى كارثة في مصر . ووافقت على اطلاق النار . وأرسلت الى الاتحاد السوفيتي لكي يخبر امريكا . وكان قد تقرر أن يقوم كيسنجر بزيارة الاتحاد السوفيتي في اليوم التالي لوقف اطلاق النار يوم ٢٣ اكتوبر . اوقف اطلاق النار يوم ٢٢ اكتوبر الساعة السابعة مساء . وخرقت اسرائيل وقف اطلاق النار بهدف الاستيلاء على الاسماعيلية والسويس في فترة استرخائنا العسكرى . فلا هم استولوا على الاسماعيلية ولا دخلوا السويس . وانما تسللوا ثم وقفوا على مشارفها . ورغم انها مهجورة فلم يفلحوا في أن يدخلوها . واحترق جنودهم وتحطمت لهم ١٢ دبابة . وكانت معركة السويس والتحام الشعب والجيش والشرطة ضد اليهود من اروع الاعمال البطولية .. ومن يعد الى قراءة ماكتب عن الثغرة او ماكتبه اليهود بصفة خاصة — يجد انهم قد طلبوا وزمروا كثيراً جداً .. قالوا أن موشى — موشى ديان — قد عاد فدخل مصر ، ونسوا أن موشي ديان يحتل ارضاً مصرية منذ ١٩٦٧ .. وكأنهم ارادوا أن يوهموا الناس أن سيناء ليست مصر . وانما مصر هي الضفة الشرقية والمواقع التي احتلوها وادعوا انها تبعد عن القاهرة ٥٠ ميلاً .. بل انهم ذهبوا الى ابعد من ذلك عندما جاءت مسز مائير رئيسة الوزراء الى السويس وصوروها الى جانب احد مستودعات البترول . وكل هذا صحيح . ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ .. النتيجة كما توقعت أن الثغرة اختفت . تلاشت . وكان لابد لهذه الحركة المسرحية أن تختفي من مسرح العمليات الحربية . لانها عملية دعائية لمواجهة الفضيحة العالمية والخليان في كل بيت في اسرائيل . في ذلك الوقت وحتى هذا اليوم . ويكفي أن تقرأ ما كتبه العسكريون

اليهود عن حرب ((يوم كيبور)) اى يوم الغفران .. وما كتبه مسز مائير نفسها وكيف انها بكت .. ثم كيف انهار الجنرالات وراحوا يعلقون المشانق لبعضهم البعض .. وكيفان الثغرة هذه كانت نوعا من الخداع القومي ، لا اكثر ولا اقل ! .. او ماجاء في التحقيق الذى اجراه القاضي ((اجرانات)) .. ان هذا التحقيق صورة مؤلفة لكل يهودى . وفيه ادانة للقيادة .. وفيه اعتراف بالمعجزة العسكرية المصرية .. وكل ذلك منشور في العالم وبعشرات اللغات . ولم يعد سرا خافيا علينا او عليهم . ولكن التاريخ لن يترك حرب اكتوبر وانما سوف يتوقف عندها كثيرا وطويلا وعميقا . لان الدروس المستفادة لايمكن اخفاؤها . وبشهادة اعدائنا ايضا . ولقد قلبت في الكتاب الذى طبع في تل ابيب بعنوان ((وجهات نظر عسكرية في الصراع العربي الاسرائيلي)) . وهو يضم مناقشات ندوة عقدت في القدس فيما بين ١٢ و ١٧ اكتوبر سنة ١٩٧٥ . الندوة موجزة . والعبارات خاطفة . والاحكام في غاية الحذر . والمتحدثون يخافون ان يدينوا اسرائيل ادانة كاملة . ولكنهم في نفس الوقت يقيمون التكريم لقواتنا المسلحة ويلمسون الاعذار لانفسهم .. ولكن الندم وخيبة الامل والصدمة العنيفة هي الجو العام الذى يتنفسه الجميع . ويكفينا ذلك شرفا عظيما على مدى التاريخ .. ولا اقول ان ما كتبه موشي ديان عن حرب اكتوبر شيء يستحق التقدير . فهو القائد الذى قضت عليه هذه الحرب نهائيا ومسحت به ارض سيناء واغرقته في قناة السويس ودفنته في خط بارليف .. الى غير رجعة .. وما كتبه عن حرب اكتوبر هو مزيج من الفشل والمرارة وخيبة الامل وبقايا الغطرسة والرعونة .. وكلما اصبحت مثل باقة من الشوك على نعش القائد الذى ادعى انه على راس جيش لايقهر . وما كتبه موشي ديان وهو كاتب سيء العبارة ، لايخلو من اعتراف صريح بعظمة المقاتل المصرى وروعة التخطيط وفداحة المفاجأة .. وقد اعترف موشي ديان ان اكبر مفاجأة في هذه الحرب : ان المصريين قد حاربوا حتى النصر . وانهم قد استوعبوا السلاح الحديث والاستراتيجية الحديثة .. وانهم بعد ان ذاقوا لذة النصر ، فلن يعرفوا الهزيمة ! .. ان عبارة مثل هذه من قائد مزقته المرارة ، وتكاثر عليه الجنرالات والقضاة والساسة حتى اسقطوه ،

والضحية الاولى لحرب اكتوبر ، ان مثل هذه العبارة لاتجيء هكذا بسهولة ..
ان القراء اليهود الذين راوا الموت وعرفوا العار هم الذين ارغموه على ان يقول الحق بعض الحق ، لانه لا يستطيع ان يقول كل الحق .. ذلك ما سوف يرويه التاريخ ! . وجاءنا د . كيسنجر وزير خارجية امريكا .. وبمجيء د . كيسنجر تنفتح صفحة جديدة تماما . . واذا كانت سحب من الضباب قد تكثفت في سماوات العلاقات المصرية السوفيتية ، فان زيارة كيسنجر قد اضافت الى السحاب الاسود عواصف رعدية شديدة .. واذا كان لدى السوفيت شك في نيات مصر وقيادة مصر ، فان هذه الزيارة قد جعلت الشك يقينا والوهم حقيقة ...
واذا كان لدى السوفيت ادنى شك في ان علاقة ما كانت بيني وبين الامريكان يوم قررت طرد الخبراء السوفيت ، فان زيارة كيسنجر هذه قد اكدت لديهم كل شيء .. والمعنى هو : انني اتفقت مع الامريكان عليهم ! . كيف وصلوا الى هذه النتيجة الخاطئة ؟ لا احد يعرف . ولا انا عرفت حتى اليوم ..
ومنذ زيارة كيسنجر هذه في شهر نوفمبر ونحن نمشي في عملية السلام . وبهذه الزيارة تغير موقف السوفيت تماما . وانقطعت الصلة .. او شيء ما انقطع بيننا وبين السوفيت . فقد غضب السوفيت من اشياء كثيرة وليس لهم ادنى حق في هذا الغضب . واخر ما اغضبهم ان يجيء كيسنجر الى مصر . وان اجتمع به ساعات . والذى اغضب السوفيت ان التقى به دون ان منهم اى انه كان من المفروض ان استاذن : هل اقابل وزير خارجية احدى الدولتين العظيمتين .. او وزير خارجية الدولة التي تساند الدولة التي تحاربني وتحتل ارضي . الدولة التي تمد اسرائيل بالرغيف والصاروخ معا .. الدولة القادرة على الضغط عليها من اجل السلام في الشرق الاوسط ومن اجل الحفاظ على مصالحها البترولية واسواقها في كل المنطقة .. طبعا لم اوافق على استئذان الاتحاد السوفيتي . ولم اوافق قبل ذلك . ولن اوافق في اى وقت . ورايت مع كيسنجر اسلوبا اخر في السياسة وفي التعامل . فهذا الرجل كيسنجر لم يكذب في شيء واحد قاله . ولم يخلف وعدا . ولم يعد بشيء واحد لم يستطع الوفاء به . ما من مرة استدعيته الا حضر . وبدانا في لقاءات الكيلو ١٠١ مع اليهود تحت

علم الأمم المتحدة . وقد حدث لقاء العرب واليهود في هدنة ١٩٤٩ . ويحدث ذلك في كل اتفاقيات الهدنة . وهذا اجراء عادى جدا .. وفك الاشتباك الاول والثاني .. وساءت العلاقات المصرية السوفيتية ، وتعقدت وتعكرت مياه البحرين الاحمر والابيض واطلقوا سحب الشك في كل سماء عربية في الشرق والغرب والجنوب . ولكني توجهت مباشرة الى امريكا .. الدولة القادرة على ان تحل وتربط .. ان تحل عقد القضية وان تربط خيوط السلام في المنطقة .

الرئيس السادات

الجليد .. يذوب :

بين موسكو والقاهرة :

١٥

لو .. أعطوني مائة دبابة

لتغيير وجه التاريخ :

يحلو للرئيس السادات أن ينظر وراءه من حين الى حين ليعرف ما الذى تركه وراءه ، وكيف فعل ولماذا ، ليستأنف السير قدماً الى الأمام .. وهذه عادة تكونت لديه مع خلوه بنفسه .. وهي بعض من العادات الكثيرة التي بقيت له ومعه منذ أيام السجن .. وقد ساعده على ذلك غرامه الشديد بقراءة التاريخ .. أى بالنظر الطويل الى ما وراء الشعوب ، الى خط مسارها في الماضي ، لعله يستأنس بذلك عند النظر الى الحاضر والمستقبل .. وفي كل نظرة عبره .. وهو عندما ينظر الى ما كان بينه وبين القادة السوفيت أو ما كان بين مصر وروسيا لا يجد الا محاولات مستميتة من جانبه ليكون مفهوماً ، وأن يكون مقنعا .. وقد نجح أحياناً ، ولكن لم يفلح مطلقاً في أن يزيل شيئاً مؤكدا هو أن : سوء الظن دائماً هو نقطة البداية في تفكيرهم . ولكن سوء الظن يصبح البداية والنهاية اذا كان هو موضع تفكيرهم . لماذا ؟ يقول الرئيس السادات : لأنني لست الرجل الذى يريدون .. فأنا لست رجلهم في مصر . لماذا مرة أخرى ؟ يقول الرئيس السادات : لأنني نذرت نفسي لمصر ، فأنا رجل مصر وهذا قدر وشرف .. ومع زيارات كيسنجر ورحلاته بين العرب وأسرائيل ينعطف أو ينكسر أو ينسد الطريق بين موسكو والقاهرة ..

لم يحدث في حياتي كلها أن التصقت ثلاث كلمات في أذني وبصورة مؤلمة مثل : وقف أطلاق النار : لقد سمعت في السجن عبارات تغلى الدم في العروق ، وتوقف شعر الرأس ، وتطير النوم من العين وتقضي على كل أمل في النجاة .. الا هذه الكلمات التي كررها السوفيت سفيراً ووزيراً ورئيس وزراء : وقف أطلاق النار .. لقد أوقفت النيران بعد ذلك .. ولكن هذه الكلمات ماتزال مدافع لم تتوقف نيرانها في أذني أو في ذاكرتي . وللتاريخ والله والشعب على ما أقول شهيد : لم أعرف كيف يمكن أن يتحقق شيء من ذلك .. أو كمل ذلك .. كيف أسترجع النار التي أنطلقت وأعيدها الى مدافعها .. وصيحات النصر كيف أردها الى حناجرها .. والله أكبر الله أكبر التي كانت أقوى من الصواريخ ، كيف أسحبها وأحبسها في قلوب المؤمنين .. أى كيف أعتقل الايمان في قلوب أبطالنا ، ثم أجردهم من البطولة أيضاً . وأجرد مصر والأمه العربيه من كرامتها .. شيء عجيب يطلبونه وهو أن أعود بالتاريخ من ٦ أكتوبر ١٩٧٣ الى ٥ يونيو ١٩٦٧ .. أن ((وقف أطلاق النار)) كلمات ثلاث لها معنى واحد هو : المستحيل . ولذلك في كل مرة كان السوفيت يطلبون وقف أطلاق النار كنت أحس أنهم ينظرون الي على أنني رجل فوق مستوى البشر ، أو دون مستوى البشر .. فوق مستوى البشر لأنهم يتصورون أنني أستطيع أن أعيد دموع الفرح الى العيون التي ذرفتها ، وهذا ما لا يقدر عليه بشر .. أو دون مستوى البشر .. سذاجة وبلاهة ، وذلك بأن أضيع فرصة العمر أو الفرصة التي أعطاها التاريخ لشعبنا .. فرصة الشرف والكرامه ومحو العار بكل رمال سيناء الطاهره .. والحقيقه أنني لست فوق مستوى البشر ولا دون مستوى البشر .. وأنما أنا مواطن مصرى أمين على شعب مصر ، قد وضعه التاريخ في موقع المسؤوليه .. شخص قرأ التاريخ وقلب فيه وتعلم منه الصبر والاعتماد على الله والشعب .. وتعلم أن الذى لا يساعد نفسه لا يساعده الله ، والذى لا يحترم نفسه لا يحترمه غيره .. وتعلمت أن مصر هي قاعدة النضال .. اذا أنتصرت فذلك نصر لها وللعرب ، واذا أنكسرت ، فذلك هوان وهزيمة للعرب .. وتعلمت أن الصراحه هي أقصر الطرق .. وأن الصدق هو أسلمها ...

واقول لنفسي دائماً : لا يصح الا الصحيح . فالصحيح هو الصدق الصريح أو الصراحه الصادقة . واحمد الله انني ما كذبت على اشقائي العرب .. ولن افعل ذلك .. ومن المناسب هنا ان اقول انني تعبت كثيراً جداً حتى جعلت مصر وقيادتها وسياستها موضع احترام العالم كله .. وكان هذا الاحترام وسيلتي لتحقيق الكثير من اهدافي ، تعبت في ذلك كثيراً . لا لان الصدق صعب ولا لان الصراحه مستحيلة . ولكن لان الاطراف الاخرى قد اعتادت على الشك في كل ما يصدر من القيادة المصرية . ولها في ذلك تجارب اليمة . فكان همي الاول والاكبر ان افوز بهذه الثقة في مباراة طويلة اسمها : الصبر من اجل النصر والسلام .. او من اجل السلام الذى هو النصر النهائي لكل جهودنا العسكرية والسياسية والدبلوماسية .. وتلك قصة اخرى ، ليس هنا مجال ذكرها .

و ((لو)) عدت بذاكرتي وخيالي الى ما كان يمكن ان يحدث لمصر ، ((لو)) انني اوقفت القتال .. ((لو)) حدث ذلك في اليوم الاول .. ((لو)) حدث ذلك في اليوم الثاني .. انني ادفع عن رأسي وعن خيالي بشاعة ما كان من الممكن ان يحدث .. شيء رهيب لو خطر على رأس واحد من قواتنا المسلحة الان ، لجن جنونه .. وفي استطاعة اى مواطن ان يقوم بهذه التجربة : هات اى مقاتل وقل له : الم يكن من الافضل ان نوقف القتال بعد عبور قواتنا في اليوم الاول ؟ انني على يقين من انك لن تستطيع ان تكمل هذه العبارة . لا لانها غير معقولة . ولكن لانك تلقي بالانسان الذى امامك في الوحل دون ان تدرى .. لانك تمسك طفلاً يهودياً وتغرسه في قلبه وتسقطه على الارض وتدوسه باقدام غليظة الى الابد .. ليس هو وحده بل تدوس نفسك ايضاً . والامه العربيه مئات السنين .. نعم مئات السنين التي سوف تجيء . ولا ازال اذكر عبارة للدبلوماسي النمساوى مترنيخ احد ابطال ((توازن القوى)) في القرن التاسع عشر يقول : اذا باريس عطست ، اصيبت اوربا كلها بالزكام .. نفس الشيء يحدث للامه العربيه اذا القاهرة عطست . فما بالك اذا انكسر انفها تحت اقدام اليهود ولمئات السنين . تلك صورة رهيبة لا اقوى على احتمالها . فلا كانت ولا شاء الله . ولذلك دفعت عن

رأسي غارات عنيفة لكلمات : وقف أطلاق النار .. ولا أزال أذكر أني قلت للسفير السوفيتي يوم ٧ أكتوبر : أن معركتنا معركة دبابات .. والذى يملك دبابات أكبر هو الذى سوف ينتصر .. هذه هي الحقيقة أنتم تعرفونها كما نعرفها نحن .. فيرد الرجل : نعم نعرف ذلك . وقلت له : اذن ؟ فأجاب : سيادتك تعرف ما هو المطلوب مني أن أقوله لك .. قلت : أعرف ذلك . ولا أحب أن أسمعه .. وانما أريدك أن تسمع مني وأن تنقل عني .. أننا في حاجة الى دبابات . ولست محتاجا الآن وفوراً . ولكن أعطوا حسابي . ولأن الروس يعرفون ذلك ، ويعرفون حاجتي الشديدة الى الدبابات لم يفعلوا شيئاً . مع أنهم قد نقلوا الى سوريا أكثر من ١٤٠٠ دبابة قبل وقف أطلاق النار آه .. ((لو)) أعطوني مائة دبابة فقط قبل وقف أطلاق النار لتغير وجه التاريخ . نعم لتغير وجه التاريخ ولتمكنت قواتنا أن تدفع اليهود الى حدود ٦٧ . مافي ذلك شك .. ولكن الذى حدث أننا ضربنا ٤٠٠ دبابة لليهود في الأيام الأربعة الأولى للقتال . ودخلنا كبرى معارك الدبابات في التاريخ . وانكسر فيها اليهود تماماً . وفجأة بعد ذلك وجدت أمامي عشرة ألوية مدرعة يحلي ١٢٠٠ دبابة واردة من أمريكا . ومعنى ذلك أن أمريكا ، وليست اسرائيل ، قد نزلت بثقلها لتحاربني . أمريكا نزلت . هذا فقط لا أستطيع أن أواصل القتال . فلست أنا في وزن أو حجم أو قدرة أمريكا . وأنا أعرف حدودى ، وأعرف الأمانة التي أحملها وأعرف أن أى عمل أقوم به بعد ذلك هو بطولة كاذبة .. وأنا لا أبحث عن البطولات الكاذبة ولا مثلي الأعلى عنتر بن شداد .. لست صاحب عنتريات من أى نوع على حساب الشعب وعلى جثث الألوف من أبناء مصر الشرفاء الذين يستحقون الحياة الكريمة ولكن عندما أغرقهم العار والهزيمة ، هانت عليهم الحياة من أجل مصر ...

وحدث بعد ذلك أن رئيس الأركان المصرى قد انهارت أعصابه يوم ١٩ أمام الثغرة البهلوانية التي أحدثها اليهود بين قواتنا من الشرق . ولم أوافق على ذلك . فلا انسحاب لعسكرى واحد ولا لبندقية . آه ((لو)) كانت عندى مائة دبابة فقط .. ولكن .. الذين لا يريدون لنا أن نغير التاريخ ،

أو أن تخلع رداء العار ، لم يبعثوا الينا بشيء من ذلك .. وبعد أيام سافر الرئيس هواري بومدين الى الاتحاد السوفيتي بمبادرة كريمة وغالية منه . ودفع للسوفيت مائة مليون دولار ، مقابل دبابات يبعثون بها الى مصر . ولم يبعث الروس بالدبابات في الوقت المناسب ، حتى لا يتغير وجه التاريخ .. على النحو الذى نريده نحن . ولكن الدبابات التي اشتراها الرئيس بومدين لم تصل الا بعد اختراق اليهود لقواتنا ونزولهم على الضفة الغربيه للقناة ، وبعد وقف اطلاق النار وبعد تثبيت وقف اطلاق النار . ولكن جاءتني دبابات الرئيس العظيم تيتو . فقد طلبت اليه مائة دبابة فأرسل لي ١٤٠ دبابة . هذه الدبابات جاءت بحراً . وجاءت مزودة بذخائرها ووقودها . كما أن الرئيس بومدين قد أرسل لواء جزائرياً ، أخذ مكانه . ولكن كانت النيران قد أوقفت . وجاءتني رسالة من الاتحاد السوفيتي تقول : قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي أهداء مصر ٢٥٠ دبابة .. ولم أعرف حتى الآن أن كانت الدبابات التي اشتراها الرئيس بومدين ضمن هذه الدبابات ؟ أو هل هي هدية من السوفيت على أن تجيء فيما بعد دبابات الرئيس بومدين ؟.. حتى هذه اللحظة لا أعرف شيئاً من ذلك . وقد طلبت من خبرائنا أن يدلوني على حقيقة هذه الدبابات لكي نعرف ثمنها . ولكي نعرف بعد الذى دفعه الرئيس بومدين .. ما الذى يجب أن ندفعه . هذا قرارهم . وهذه حيرتي . ومطلوب مني أن أحل هذه الفزوره . وأثناء حل هذا اللغز يجب أن أسوق سبباً معقولاً لذلك هو أن الحوار الذى دار بيني وبين كوسجين قبل ذلك لم يكن مريحاً له . فقد كانت نبرة المناقشة حادة .. وأظن أنه قد غضب من ذلك . ولا بد أن غضبه كان بداية معقولة لعدم الوفاء بأى وعد . أو للقطيعة التي بيننا من يومها حتى الآن .. مع أن الذي قلته لكوسجين لم يزد عن أن أذكره بأن الأسلحة التي بعثوا بها الى مصر ترجع الى الحرب العالمية الثانية . هذه حقيقة مؤلمة . لم يصدقنا أحد عندما أعلن الفريق الجمسي ذلك .. فعلاً معدات قديمة . ولكن كان انتصارنا بها رائعاً . فالأسلحة قديمة ، ولكن عزيمتنا جديدة . وخطتنا حديثة .

وكرامتنا عمرها سبعة آلاف سنة • ثم انني لفت نظر كوسيجين الى أن الجسور التي أرسلوها لنا معوقة لتقدمنا • فهذه الجسور يتم تركيبها في ست ساعات مع أن لديهم جسورا يتم تركيبها في نصف ساعة • ومرة أخرى أقول : لـــو : لو أعطونا هذه الجسور لتغير وجه المعارك •• لو وفروا خمس ساعات ونصفاً لكل مقاتل •• ولكنهم لم يفعلوا •• ومن المعروف الآن أن ٦٠ ٪ من هـــذه الجسور قد صنعناها في مصر • وهذه حقيقة أيضاً وقد سئلت كثيراً عن سبب طردى للخبراء السوفيت • هذا هو السبب : حتى لا يقال أن لهم فضلاً أو تدخلاً في الانتصارات الرائعة لقواتنا المسلحة •• بل أن وجود السوفيت كـــان سيعوق كل شيء •• وحتى اذا كنا ، رغم وجودهم ، قد حققنا أى شيء ولـــو متواضعا ، لرجع الفضل في ذلك لهم أيضاً • اذن من المؤكد أن هذا الحوار الحاد مع كوسيجين سبب أكيد من أسباب التلكوء في امدادنا بالدبابات التي دفع ثمنها الرئيس بومدين • وأعتقد أن هذا ليس السبب الوحيد • فالسوفيت قد قرروا قبل ذلك ، أنهم لن يساعدونا ، أو لن يساعدوني على الأصح ، على تحريك الموقف عسكرياً •• وقد أخبرني د • كيسنجر فيما بعد أنني لو استأنفت الحرب لأى سبب فأن أمريكا سوف تواجهني ما في ذلك شك • قالها الرجل بمنتهى الصراحه وقبل أن يقولها • كانت أمريكا قد دخلت الحرب • وهذا هو السبب المشـــروع والمنطقي الذى جعلني أقبل وقف اطلاق النار •• أى وقف اطلاق النيـــران الامريكية عينا • وكما وعد د • كيسنجر بأنه بعد وقف اطلاق النيران فـــأن أمريكا على استعداد للدخول في مفاوضات السلام في الشرق الأوسط •• بدأت أمريكا خطوات كيسنجر الى السلام •• ومضينا نعمل من أجل السلام وسط افراح الشعب المصرى وسعادته بقواته المسلحة • وافراح الامة العربية كلهـــا •• وتركنا البكاء والعويل لليهود في كل شبر من أرضهم والأرض التي احتلوها واغتصبوها واذا كان التاريخ سوف يتريث طويلاً عند أمجاد مصر • فسوف يستميت على الأرض اليهودية لتسجيل صيحات الندم ، وتصوير لطم الخدود وشق الجيوب ـــ وتلـــك عادات يهودية قديمة باقية حتى اليوم ـــ ومظاهرات الأمهات في الشوارع وحـــول قيادات الجيش ومجلس الوزراء والكنيست وعند حائط المبكي • فقد كانت أكبـــر

هزيمة دموية فادحة أصيبت بها اسرائيل • واذكر بهذه المناسبة عبارة قالها القيصر الروسي الكسندر الاول عن نابليون : يظن هذا الرجل انني ساذج ، ولكن من يضحك اخيراً يضحك كثيراً •• هذه العبارة اذكرها وانا اقلب فيما كتبه موشي ديان في كتابه ((قصة حياتي)) وهو يتحدث عن حرب اكتوبر التي كانت المقبرة التي دفنت غرورة وغطرسته الكاذبة ، فقد تساءل : هل نحن اخطأنا في وضع خططنا او هل نحن اخطأنا في تطبيقها ؟•• ويقول : نحن بنيناها على ثلاثة اسس : المدرعات والطيران وخط بارليف • وكل ذلك لم نعد نرى له اثراً •• ويقول وهو الذى يجعلني اضحك اخيراً : ان المصريين هذه المرة ليسوا هم الذين عرفناهم سنة ١٩٦٧ •• وهي دعوة مفتوحة لان يضحك كل رجال قواتنا المسلحة وكل ابناء شعبنا وامتنا العربية • لان الذى تحقق بدلا ، بكفاحنا وصمودنا ووحدتنا شيء عظيم • وسوف يبقى كذلك في كل العصور • وانا اكره الحقد واكره الشماتة • وانشر الحب والمحبة والتسامح وادعو الى الصبر • ولكن ارى ان السطور الاخيرة في الصفحة الاخيرة من كتاب موشي ديان تستحق القراءة والتأمل وتستحق ان نفهمها على نحو آخر غير الذى قصده •• يقول انه اتي بسيارة وربطها بحبل • ثم تدلى من هذا الحبل الى احد الكهوف وفي الكهف وجد بقايا نار كان اجداد اجداده قد اشعلوها ؟• ولابد انهم كانوا يأكلون ويشربون • ولا تزال آثار النار والدخان باقية كأن اصحابها قد فارقوها منذ لحظات •• وفجأة افسد هذا الصمت صوت العصر الحديث •••• طائرة نفاثة اسرائيلية •• ثم امتدت يداه الى الحبل ليصعد الى سيارته الى بيته واسرته ليستأنف حياة التقاعد •• او حياة النسيان بعد الهزيمة الشنيعة التي لقيها هو وجنوده •• انه يتصور ان هذا الحبل حبل نجاة • تدلي به من ماضي الغطرسة الى مستقبل السلام •• ولكن من المؤكد انه حبل مشنقة •• هذا الحبل نسيجه الغرور وسوء فهم التاريخ •• او نسيجه الغطرسة وسوء فهم الشعب المصرى •• واذا كان قد استخدم الحبل في الهبوط الى الكهف ، والصعود بعد ذلك الى سيارته •• فان هذا الحبل سوف يستخدمه المؤرخون العسكريون في شنق موشي ديان والغطرسه والرعونة

العسكرية الاسرائيلية .. واعتقد ان هذا قد تم بالفعل في حرب اكتوبر وليست هذه السطور الاخيرة في قصة حياته الا صورة وهمية للحقيقة .. لان الحقيقة انه قد تدلي من حبل غروره وغرق في قناة صهرنا واصرارنا . فاللهم لا شماتة .. ولكن موشي ديان : طراز من العسكريين يستحق الدراسة مع عظيم الاحتقار .. ولكن اذا قارنت ما كتبته السيدة جولدا مائير في آخر صفحة من كتابها ((حياتي)) وهي تحاول انقاذ موشى ديان تجد الفارق بين هذه السيدة القوية وبين رجل ضعيف لان الغرور والغطرسة والرعونة قد اطاحت بعقله . تجدها تقول مع الحزن العميق والاسى الرهيب انها احست منذ يوم ٦ اكتوبر ان يوماً طويلاً لا اول له ولا آخر قد بدأ .. وانها تتمنى نهاية لهذا اليوم . وانها حزينة اشد الحزن لهذا التمزق والانهيار الذى اصاب حزبها .. كما ان الوزراء والزملاء الذين تعاونوا معها في الحكم لا يريدون ان يوقفوا النقد العنيف الذى يوجهه الشعب الى موشي ديان واليها باعتبارهما مسؤولين وحدهما عن القرارات التي ادت الى الهزيمة في الحرب .. ان السيدة جولدا مائير حاولت انقاذه ، او حاولت ان تحمل عنه عار الهزيمة حاولت ولكنها لم تستطيع . فقد تكفل باغراقة وتكديس اللوم كله على راسه ، بقية العسكريين والساسة في داخل الحزب .. وحاولت السيدة جولدا مائير ((برجولة)) ان تفك الحبل من حول عنقه .. ولكنه لم يحاول ((برجولة)) ان يحكم ربط الحبل حول عنقه وهو يقول : انني وحدى المسؤول عن كل الذى اصابني واصاب القوات الاسرائيلية . والذى يقرأ ما كتبه القاضي شيمون — اجرانات الذى كلف في ٢١ نوفمبر ١٩٧٣ بالتحقيق في اسباب الهزيمة والبحث عن ((التقصير)) فيما يجد انه يدين موشي ديان ، ويدين كل اجهزة الحرب الاسرائيلية .. ومعنى ذلك ان الهزيمة كانت للجميع بنسبة متفاوتة . ولكنها اصابت موشي ديان في الصميم .. ولابد ان له حساباً عسيراً مع التاريخ ، واظن ان الحساب قد بدأ في اسرائيل وباقلام الكثيرين ويكفيه ويكفينا موقتاً هذا العقاب المرير .. وكما هي عادتي عندما اخلو بنفسي وانا افعل ذلك كثيراً واعتقد ان كل سياسي يحتاج الى هذه الخلوة للتأمل

واتخاذ القرار الهادىء ، راجعت خطواتي في السنوات الاخيرة .. واهتديت الى أن الطريق الذى يمتد من القاهرة الى موسكو قد تكاثرت فيه الثلوج .. وأن هذا الطريق لم يكن مستقيماً طول الوقت . واعرف أن السياسة ليست فيها خطوط مستقيمة .. ولكن فيها انكسارات حادة وانكسارات لينة .. فمنذ اللحظة الاولى لتولي سلطة الحكم في مصر تأكد الروس انني لست رجلهم في مصر .. وانما انا رجل مصر اولاً واخيراً . كما حاولت كثيراً أن اكون واضحا وأن اكون مفهوماً وأن اؤكد لهم انه من الطبيعي جداً أن يكون الانسان وطنياً ، والا يكون منحازاً للشرق او الغرب . وأن اكون فقط منحازاً لمصر .. تماماً كما أن الروس لا ينحازون للغرب ، وانما هم منحازون لروسيا ومصالحها .. وكما أن الامريكان منحازون للغرب ولامريكا اولاً واخيراً . وكل هذه بديهيات . ولكن تعلمت فيما بعد ، أن الدول الكبرى لها منطق ، اذا حاولت الدول الصغرى أن تطبقه على نفسها ، اعتبروا ذلك سفالة .. قالها دالاس ، كما ذكرت من قبل . ولم يقلها الروس ولكنهم يفعلون ما هو اسوأ من ذلك ، يرفضون هذه المعاني ويعادونها وهذا واضح تماماً في كل ما ذكرت .. ولما اصدرت قرارى برفع الحراسة في سنة ١٩٧٠ اعتبر الروس هذا القرار ((ردة)) او ((انحرافاً)) او نوعاً من ((التحريف)) على حد تعبيرهم المشهور اى انناً من ((التحريفيين)) في تطبيق الاشتراكية وأدهشني أن يكون ذلك موقفهم .. فهذا قرار مصرى لحاكم مصر لصالح مصر . فما دخلهم ؟ . ولكن رفع الظلم وتخفيف التوتر وأن يكون في مصر من يملك ارضاً او بيتاً او يملك حريته او يملك قراره ، كل ذلك يعتبر كفراً بالاشتراكية وتحطيماً لصنم ((الاشتراكية)) .. ثم جاءت ثورة ١٥ مايو سنة ١٩٧١ .. ومع انني في اول الامر اعلنت أن هذه الثورة هي ((تصحيح لمسار)) ثورة يوليو .. وأن الذى فعلته على ارض مصر ، هو ما يفعله السوفيت والامريكان في السماء .. عندما يصححون مسار سفن الفضاء .. وتصحيح المسار ليس نسفاً لسفن الفضاء .. وانما هو ابقاء عليها في اطارها الصحيح حتى لا تفلت من ايدينا الى الفضاء الخارجي .. او الى الفوضى الخارجة على القانون .. ولذلك صفيت مراكز القوى واعتبروها غلطة لا تغتفر . فقد كان من مراكز القوى عدد من رجالهم . اى انني

((فقأت)) عيون رجالهم .. ثم انهيت تآمرهم على مصر من أجل السوفيت ...
واعتبروا ذلك قراراً معادياً لهم . وبعد ذلك حاول الشيوعيون قلب نظام الحكم في السودان . وكان لابد أن اقف مع الثورة السودانية ضد التخريب الشيوعي في يوليو ١٩٧١ . فالسودان هي مصر ومصر هي السودان . ولا اسمح ولن اسمح مستقبلاً أن تكون الشيوعية على حدودنا الجنوبية .. فلا انا شيوعي ، ولن اكون .. لانني لست عميلاً لروسيا ، ولن اسمح بالحماله لها في مصر .
وبعد ذلك أصدرت قرار طرد الخبراء السوفيت من مصر سنة ١٩٧٢ . وكان ذلك القرار نتيجة لمقدمات طويلة ارهقتني عقلاً وجسماً وقلباً ، واهانت شعبنا ومرغت كرامته في الطين . ولو انك اعطيت اذنك لرجالنا من الضباط لسمعت العجب عن الذى فعله الخبراء بهم . ان اقل كلمة يمكن ان تصف ما لاقاه ضباطنا على ايدى الخبراء السوفيت هي : الذل والهوان .. او الهوان الذليل او الذل المهين .. وكان هذا القرار من وحي مسؤوليتي فهو قرار مصرى تماماً . ولكن الروس كعادتهم في الشك وسوء الظن ، تصوروا انه قرار امريكي مصرى . او قرار امريكي فقط .. ولكن هذا لا يهم .. وجاءت الحرب وانتصرنا فيها . وساءهم ذلك . وحاولوا تعويقها . واخرجنا منها . والكذب علينا لعلنا نوقفها . وعطلوا ارسال الامدادات . ثم وصل كيسنجر الى القاهره . وكان وصوله تتويجاً لكل سوء النية الذى اقام عليه السوفيت فهمهم لمصر ..
وقبل ان يصل كيسنجر وزير خارجية امريكا الينا في نوفمبر ١٩٧٣ كنا نواجه امريكا في سيناء فقد نزلت امريكا باسلحتها المتطوره . وكان علينا ان نكون عقلاء او انتحاريين . واخترنا العقل عندما اوقفنا القتال مع امريكا ..
وبعد ذلك دخلنا في مواجهة مستمرة مع امريكا عن طريق لقاءاتي مع د . هنرى كيسنجر . فهو طراز جديد من وزراء الخارجية الامريكية . ولذلك كان اسلوبه في النقاش والحوار والوصول الى شيء مؤكد على طريق السلام ، مختلفاً تماماً .
وبالنظر الى الطريق الممتد المتكسر بيننا وبين موسكو نجد اننا نمد ايدينا ونحاول وننتظر ولكن — ويجب ان اوضح الف ((ولكن)) — لا اجد بصيصاً من النور في هذا الضباب الكثيف .. او لا اجد موطىء قدم على هذه الارض —

الجليدية البيضاء .. ولو كان الطريق الى موسكو ذهاباً وإياباً نزهة ، ما ترددت أن أفعل ذلك فما أشد حاجة الانسان الى الراحة والتغيير .. ولكن هذا الطريق هو شريان حياة .. أو قصبة هوائية .. وكل الذى حاولت أن أفعله ، وأعترف بذلك ، أنني أردت أن أجعل الطريق الى موسكو طريقاً الى حياة .. ولكن الروس يريدون أن يجعلوا هذا الطريق : الحياة .. أى لا حياة لي بغيره .. كأنني جنين .. وكأن هذا الطريق هو ((الحبل السرى)) الذى أعيش منه وبه وعليه . وهذا ما رفضته منذ البداية .. رفضت الاعتماد على روسيا .. رفضت تسليم ارادتي وقراراتي ولدى لأى أحد . فلا أنا أفلحت في اقناعهم ، ولا هم أفلحوا .. وجاءت الأحداث بعد ذلك ، تؤكد صدق رؤيتي وخطأهم .. ولكنهم لا يعترفون بخطئهم . لأن لهم هدفاً آخر ، ولأن لديهم مخططاً جاهزاً . هذا المخطط يستهدف مصر والنظام في مصر ومستقبل المنطقة كلها .. ومن المؤكد أنني لست ((رجلهم)).. وأنما أنا رجل مصر ، وهذا قدر وشرف وسوف يؤكد التاريخ صدق ما أقول .. وسوف يوضح التاريخ ما يخبئون لمصر ولغيرها من الدول العربية والدول الافريقية .. وبعد ساعة واحدة من لقائي بهنرى كيسنجر قلت لنفسي : أخيراً جاءنا من أمريكا رجل يمكن أن أثق به وأعتمد عليه .. وأنه هو الرجل الذى يقدر على فعل شيء ، لأنه قد درس كل شيء . وأهم شيء درسه هو ((البعد النفسي)) لهذه القضية المعقده بيننا وبين اليهود .. ومع رحلات الشكوك التي قام بها كيسنجر بيننا وبين أسرائيل بدأت سياسة حركة الموقف ، وحركت السوفيت ضد الموقف كله ، وضد مصر ...

من " أوراق " " (٢١٠)

الرئيس السادات

الجليد .. يذوب :

بين موسكو والقاهره :

١٦

سطور لمتريخ كتبتها

في الزنزانة من ٣٠ عاما

كما هي عادة الرئيس السادات : يتوقف بعض الوقت ، يطف حوله ووراءه ليعرف أين هو من الطريق الطويل الذى يسير فيه .. ومن المصادفات الغريبة أن يقلب الرئيس السادات في كراسة لديه يحتفظ بها منذ أيام السجن .... الكراسة من ورق صغير مسطر أصبح أصفر اللون . وما يزال خاتم السجن واضحا عليها . وفي نفس الوقت ماتزال هذه السطور شديدة الوضوح . أما تاريخ هذه الحروف فيرجع الى سنة ١٩٤٧ .. هذه السطور باللغة الانجليزية ، أحدى اللغات التي يتقنها الرئيس السادات .. والعجيب أن هذه السطور لرجل سياسي بارع ناشئ في القرن التاسع عشر وظهر على المسرح الأوربي وكان له هدف واحد : توازن القوى بين الشرق والغرب .. بين روسيا وفرنسا .. هذا الرجل هو كلمنت متريخ وزير خارجية النمسا ، وهو في نفس الوقت تلك الشخصية التي بهرت وزير خارجية أمريكا بعد ذلك بقرن ونصف هنرى كيسنجر .. والذى يقرأ ما كتبه كيسنجر عن معهوده النمساوى هذا فانه يجد مفتاحا لشخصية كيسنجر وتفسيرا لأسلوبه في توازن القوى ، وأسلوبه في التفاوض القائم على الفهم والصبر والحركة المستمره .. وكيسنجر قد أتاح للرئيس السادات فرصة أن يتأمل كل الذى فعله أسلافه من وزراء خارجية أمريكا ، وكيف فشلوا حيث نجح هو ، وفي نفس الوقت كانت كل خطوة يقوم بها كيسنجر الى الأمام ، تؤدى الى خطوة مماثلة الى الوراء في العلاقات السوفيتية المصرية .. وأذا كان كيسنجر ينادى بضرورة ((سيولة)) القنوات بين جميع الأطراف ليصبح قادرا على الذهاب والأياب فأن الموقف يصبح أصعب مع السوفيت . فقد حرصوا على تجميد القنوات .. أى تحويل الجليد الى حديد .. ليضل الرئيس السادات يدق حديدا باردا أو يلفض الجليد عن الحديد .. حتى اليوم ... وغدا .. وبعد غدا : ..

لابد أن هذه الفترة التي نعيشها بعد حرب أكتوبر كنز للمؤرخين . ففيها أطراف ومحاولات كثيرة لحل الموقف أو تعقيده . فهي قضية متعددة الخيوط وكل جوانبها قابلة للالتهاب في أية لحظة ، ليبدأ كل شيء من جديد .. وربما كان عيب المؤرخين أنهم متشائمون لأنهم ينظرون الى الجانب الأسود الدامي من هذه الصورة . ولا تلفتهم انجازات كثيرة تمت على مهل وفي هدوء . وأتذكر عبارة للمؤرخ الأمريكي المشهور ول ديورانت يقول فيها : أن التاريخ نهر له ضفتان . وفي مجرى النهر تطفو جثث وتتعالى صيحات ونار ودخان ودموع وينظر المؤرخون الى مجرى النهر .. وينسون أنه على الضفتين قامت مزارع ومصانع ومدارس ومتاحف .. ولكن الانسان عندما يكون في قلب الأحداث ، أو في مصنع الأحداث ، لا يرى ما حوله بوضوح .. لا يدرى أن كان يحرك الأشياء أو يتحرك معها .. وكيسنجر هو الذى قال : أن الحاكم هو الذى يجلس أمام عجلة قيادة في سيارة اسمها التاريخ .. فهو يحرك ويتحرك معها .. وكيسنجر أيضاً هو الذى قال في واحد من كتبه : أن السياسي هو أحدى أدوات القدر .. ولكن عيب هذا الرأى الأخير أنه يجرد السياسي أو الحاكم من صفات شخصيته ومن صفات شعبه وظروفه ومن التاريخ العام للجميع .. ومن المناسب أن أتوقف بعض الوقت عند هذه الفترة الحاسمة من تاريخ مصر والشرق العربي والعالم كله .. وأعود - كما هي عادتي دائماً - أتلفت ورائي . لأرى أين كنا ؟.. وأين نحن ؟.. وأين نذهب بعد ذلك ؟.. ولا أدعى أنني أملك ناصية كل الأمور ، ولا أحد يدعى ذلك .. وأول ما الاحظ أنه قد تغير الممثلون على مسرح السياسة الأمريكية .. فبعد دالاس جاء روجرز وبعد روجرز جاء كيسنجر ومن مقارنة الثلاثة يبدو لنا كيسنجر أفضلهم جميعاً . وأقدرهم على الفهم ، وهو لذلك أقدرهم على أن يحقق النجاح . وأرى أن روجرز كان سيء التقدير . أو على أحسن الاحتمالات كان ساذجاً . فقد كان على يقين من أن اسرائيل سوف تقبل المبادرة التي قدمت أنا بها . ولا أعرف على أى أساس أقام روجرز هذا اليقين . ولذلك لقى ما يستحقه من عقاب . فقد هاجمته السيدة جولدا مائير في الكنيست . وظلت تطارده حتى طردته من وزارة الخارجية .. وقد أعطته

درساً في الأدب أو في الأخلاق . وكان الدرس عنيفاً . ولكن إذا كانت السذاجة جريمة في السياسة والدبلوماسية ، فالكوارث هي العقوبة . وكان روجرز كارثة على نفسه . ولم أجد في روجرز شيئاً يبهر من يتحدث اليه . فلم يكن على درجة كبيرة من الفهم للقضية . ولذلك كان كالمحامي الذى ذهب الى المحكمة ليترافع وليس في يده دوسية واحد ، ولا هو قد أعد دفاعه عن الجانب الذى يمثله .. وفي قضايا التاريخ يكون القاضي أسرع في اتخاذ القرار . والذى يريد أن يستوقف التاريخ ، يدوسه التاريخ .. وقد داسته الأحداث .. وقبل روجرز كان دين رسك . وقد دعاني في سنة ١٩٦٦ لزيارة أمريكا . وجلست معه كثيراً وطويلاً . ولكن لاحظت أن الرجل قد أراح نفسه تماماً ، فلم يشأ أن يدخل معي في صلب الموضوع . بل كان يتفادى الدخول بعبارة غامضة . أو بنكتة . أو بتحويل اهتمامي الى أى شيء آخر .. وظننت أول الأمر أن الرجل ليس مفوضاً في أن يفاوضني أو يناقشني . أو أنه لم يدرس القضية تماماً . أى أنه ليس مستعداً لذلك . غير أني عرفت فيما بعد أن الرجل على صلة عميقة باليهود وأنه قد اتخذ جانب اسرائيل . وأنه لذلك لم يشأ أن يفتح حواراً مفيداً معي فاسرائيل لم تفوضه في ذلك .. وقد اعترف بذلك ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل . ومعنى ذلك أن صمت دين رسك لم يكن تفادياً لموقف بل كان موقفاً محدداً . وهذان الرجلان رسك وروجرز يدخلان التاريخ من باب ضيق . لأنهما من الوزن المتوسط أو دون المتوسط .. فلم يكن من الممكن أن نتوقع منهما أو على يديهما شيئاً يحرك القضية أو يساعد على تحريكها أو حلها .. وفي الدبلوماسية الأمريكية سوف يخصصون صفحات طويلة لرجل يعتبرونه قمة الدبلوماسيه هو : فوستر دالاس . فهذا الرجل قد تخصص في دراسة القانون الدولي . تعلم في جامعات أمريكا وفي جامعة السوربون الفرنسية . وكان ضمن الوفد الأمريكي في مؤتمر الصلح في فرساى .. واشتغل بالمحاماة والدراسات الدولية حتى اختاره ايزنهاور سنة ١٩٥٣ وزيراً للخارجية . وبهذا الرجل دالاس اتخذت أمريكا سياسة تقوم على العنف ، أو على التهديد بالعنف . فقد كانت أمريكا أقوى دولة في العالم فجرت نواة اليورانيوم والهيدروجين والكوبالت .. وكان أسلوبه

في السياسة الخارجية اظهار انياب ومخالب امريكا . فلا يجرؤ احد ان يتقدم خطوة ويحمل سلاحه ليحارب امريكا او يشعل حرباً عالمية .. ومن عباراته المشهوره : ان قدرة امريكا على الردع يجب ان تكون مكثفة حتى تمنع قيام الحرب باى شكل من الاشكال .. وقال ايضاً وترددت عباراته في الدنيا فملأتها فزعاً ورعباً : ان قدرتنا على الوصول الى حافة الحرب دون التورط فيها ، لهى قمة الفن السياسي واذا نحن لم نتفوق في هذا الفن ، فسوف ندخل الحرب لا محالة . واذا حاولنا ان نهرب منها ، او تخوفنا من الاقدام عليها ، كان مصيرنا الضياع .. ومعنى ذلك ان دالاس يخيف روسيا وامريكا في نفس الوقت .. ويخيف بقية دول العالم .. ومعنى عبارات دالاس : اننا اذا لم نقم بتخويف العالم كله باشتعال الحرب ، او اذا ترددنا في ذلك ، فسوف تقع الحرب لا محالة . اى لا سبيل للوقاية من الحرب سوى التهديد بها .. اى سوى ان يهدد هو العالم كله بذلك ....

وقد وصفت سياسته بانها سياسة (توازن الرعب) . وربما كان تشرشل هو اول من استخدم هذا التعبير بعد ان اطلقت امريكا قنبلتها الذرية على اليابان .. فاشار الى ان السوفيت اذا حصلوا على القنبلة الذرية ، فسوف تتعادل قوى الرعب النووى في العالم كله . وهذا الرجل ـ دالاس ـ هو المسؤول الاول عن سوء فهم مصر او تسوئ العلاقات المصرية الامريكية . فكان من حماقة هذا الرجل ان هاجم سياسة عدم الانحياز . اى هاجم العالم الثالث كله . فهو يرى ان الدول الصغيره او الدول كلها يجب ان تقف شرقاً او غرباً . اما اذا وقفت بين الشرق والغرب ، فهذه سفالة اخلاقية . وهو رجل متشدد ومتزمت . ولذلك لا يفهم ان يكون الانسان وطنياً قومياً لا هو مع الشرق ولا مع الغرب .. اى لا يجرى ويدوخ في الفلك الروسي ولا يجرى في الفلك الامريكي .. ولعلى كنت اشير الى هذا عندما تحدثت في الكونجرس الامريكي قائلاً : انني جئت اليكم كصديق .. لا كحليف .. وفرق كبير بين ان يكون الانسان صديقاً وبين ان يكون حليفاً .. فبين الاصدقاء كثير من العتاب والمصارحة وليس من الضرورى ان يتفق الاصدقاء في كل رأى او ان يتحمدوا في كل موقف . اما الحليف فهو ذلك المحاز تماماً .. اى الذى اغارهم عليه ، فلا يرى بها . واعطاهم اذنيه فلا يسمع بهما .. انما هم الذى يرون له ويسمعون له ويفكرون له .

ويدبرون في النهاية .. ولذلك لم يفلح دالاس في أن يفهم الكثير من القضايا الدولية ، والقضية المصرية والعربية . أما الخطأ فليس أن هذا الرجل عاجز عن الفهم . ولكن في أن نقطة البداية ، هي في نفس الوقت هي نقطة الخلاف .. أي هو يبدأ الطريق معك بأن يتجه الى وجهة أخرى .. ومعنى ذلك أنه لا يمضي وقت طويل على السير معه حتى يكون كل واحد في طريق .. وحتى يغيب كل من يمشي معه عن عينية وعن أذنيه .. وسوف يهتم المؤرخون الأمريكان كثيراً جداً بهذا الأثر البليغ الذى تركه دالاس في السياسة الأمريكية وفي السياسة العالمية وإذا كان الأمريكان قد كسبوا كثيراً من العصا الطويلة التي كان يلوح بها دالاس في الشرق والغرب ، فأن هذه العصا قد القت ظلاً كثيفاً على كثير من المشاكل فغابت عن أمريكا ، أو غابت عنها أمريكا .. وبسبب دالاس ووزراء آخرين غيره ، ظهر كيسنجر طرازاً مختلفاً من الساسة الأمريكان . صحيح أن مسرح الأحداث قد تغير تماماً . وتقاربت القوى العظمى في عالم الذره وفي عالم الفضاء . فروسياً قد أطلقت أول قمر صناعي سنة ١٩٥٧ . ولحقتها أمريكا .. ثم تتابعت الدولتان في السباق الرهيب نحو الكواكب الأخرى . وأنزلت أمريكا أول انسان على القمر . وأطلقت سفن أخرى الى المريخ والزهرة .. تعادلت القوتان العظيمتان . وأن كانت التكنولوجيا الأمريكية أكثر تفوقاً .. وكان من الضرورى أن يختلف أسلوب كيسنجر عن أسلوب دالاس في التلويح بالرعب .. أو التلويح بالتعايش في ظل الرعب .. أو في التوفيق أو الوفاق بين الدولتين (الأعظم والأقوى) على نحو ما كان في القرن التاسع عشر بين روسيا وفرنسا .. أو بين فرنسا وبريطانيا فالتاريخ يعيد نفسه بشكل ما .. وسوف يتناول المؤرخون عندنا خطوات كيسنجر ويتوقفون عندها طويلا وعميقاً ، فقد دخل هذا الرجل في قلب المشكلة العربية اليهودية دخلها قبل أن يجيء الينا . ودرسها وتعمقها تماماً . وقد ساعده في ذلك أنه تخصص في السياسة الدولية . أو في الأستراتيجية الدولية . والأمن القومي . وقد أختلف كيسنجر منذ البداية مع السياسة التي سادت الفكر الأمريكي : أي سياسة حافة الهاوية .. أو حافة الحرب .. وقد صدرت لكيسنجر كتب عميقة ، وأن لم يكن من السهل قراءتها .. أي ليس من السهل على الذى لم يتمرس في

السياسة ، ويسمح في المياه الدولية بمشاكلها ومتاعبها وانفجاراتها أن يستمتع بها .
فله كتاب عن ((الأسلحة النووية والسياسة الخارجية)) . هذا الكتاب كان من
أكثر الكتب انتشاراً عند ظهوره في سنة ١٩٥٧ . ولكن .. كان من أقل الكتب
شعبية في ذلك الوقت أيضاً . وفي هذا الكتاب جاهز بعدائه الشديد لسياسة
((الردع المكثف)) التي نادى بها دالاس .. وصدر لكيسنجر كتاب آخر اسمه
((ضرورة الاختيار)) في سنة ١٩٦٠ . وقد تأثر به الرئيس كنيدى كثيراً .. ومن
أهم كتب كيسنجر وأمتعها أيضاً كتاب عن توازن القوى في أوائل القرن التاسع عشر
تناول فيه اثنين من ألمع الساسة في ذلك الوقت هما : مترنيخ الوزير النمساوى
وكاسلرى الوزير البريطاني في عصر نابليون . والكتاب عنوانه ((عالم أعيد ترتيبه —
مترنيخ وكاسلرى ومشاكل السلام ١٨١٢ — ١٨٢٢)) . وهذا الكتاب لابد أن تكون
له أهمية خاصة . لأن دلالة خاصة عند كيسنجر نفسه ، الذى له دور أيجابي عندنا
بسبب ما قام به من خطوات قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر ومحاولات تحقيق السلام
بعد ذلك .. وقد لاحظ كثيرون من المتخصصين أن كيسنجر قد اتخذ له مثلاً
أعلى ذلك الرجل النمساوى مترنيخ الذى استطاع أن يتحكم في السياسة الدولية
في أوربا في أوائل القرن التاسع عشر . وأن يقف بين قيصر روسيا الكسندر
وأمبراطور فرنسا نابليون .. وبين النمسا نفسها وبروسيا .. وأن يحاول أن يحقق
توازن القوى . وأن ينشر السلام بشكل ما .. وقد أعجب كيسنجر بهذا الرجل
أعجاباً شديداً ، حتى ليقال : أنه يطبق بالحرف ما فعله مترنيخ .. وهذه
عبارة مبالغ فيها ، لأن التاريخ اذا كرر نفسه فانه لا يعيد نفسه بالضبط ..
واذا حاولت — الآن — أن أقلب في بعض الكتب وأرجع الى سطور معينة اخترتها
فانني أمارس عادة قديمة لانني أحب التاريخ وأطيل النظر في صفحاته ، وأطيل
السمع لصوت عجلاته قديماً وحديثاً .. وما دمت أتحدث عن دور كيسنجر في
المنطقة ، وهو الدور الذى أغضب السوفيت حتى اليوم ، فسوف أتوقف عند بعض
العبارات الكثيرة جداً التي بهرت كيسنجر . لتكون هذه العبارات خطوطاً
من معالم الصوره التي ارسمها لكيسنجر أو لدور كيسنجر في فهم القضية .
وأرى أن هذه خطوة ضرورية .. لأن (العامل النفسي) كما ذكرت كان شرطاً

(هاماً) للنجاح .. أي لابد من دراسة نفسية أطراف النزاع لتكون وسيلة لإضاءة جوانب هذه القضية المعقدة .. ولذلك سوف أستعين بشخصية مترنيخ على فهم كيسنجر ، وأستعين بفهم شخصية كيسنجر على فهم خطواته ومحاولاته التي أدت في النهاية الى اعجابي به وصداقتي له ... مثلاً يقول مترنيخ : أن السياسة مثل أية مسرحية ، اذا ارتفع الستار بدأ التمثيل ، لا محالة . واذا حاول انسان أن يوقف التمثيل بعد ارتفاع الستار كان انساناً مخبولاً ، لأن التمثيل سوف يمضي في طريقه ، سواء بالممثلين أنفسهم ، أو بالمتفرجين الذين سوف يصعدون على خشبة المسرح .. والأذكياء لا ينظرون الى ذلك على أنه جوهر المشكلة . فالمشكله قد بدأت قبل ذلك : هل نفتح الستار أصلاً ؟ هل يكون هناك متفرجون ؟ هل لهذه المسرحية أية قيمة فنية ؟.. ويقول أيضاً : لقد تعلمت شعوب أوروبا في العشرين عاماً الماضية أهمية حجم القوات العسكرية ، ومعنى الحرب والدمار ولذلك لا يمكن خداعها فيما يتعلق بالنتائج المحتمله للأحداث الأخيرة ...

وعندما يتحدث مترنيخ عن النمسا ، ذلك البلد الصغير الواقع بين روسيا في الشرق وفرنسا في الغرب يقول : ليس أمام الدولة الصغيرة الا المفاوضة . انها وسيلتنا الوحيدة للبقاء . فاذا تفاوضنا وانهالت علينا الضربات ، وجب علينا أن نبتسم أثناء ذلك . انها لعبة الصبر .. ونابليون يعتمد على أن له جيوشاً قوية ، وأنا أعتمد على أن أؤكد له دائماً أنه ليس قوياً الى هذه الدرجة . ويقول كيسنجر عن مترنيخ : لقد كان يعتمد على ((سيولة)) الموقف . أي يجب أن يكون النهر سائلاً بلا جليد ، ذهاباً وإياباً .. ولو عدت الى العنوان الفرعي لهذه المذكرات لوجدت أنني أخترت عمداً : الجليد يذوب بين موسكو والقاهره .. ولم أقل الجليد لا يذوب ـ مع أن هذه هي الحقيقة ـ وكان أملي لعله يذوب . ولكن لاحظت ، أن الجليد بقدرة قادر تحويل الى حديد لا يذوب . حتى أصبح الحديد والجليد شيئاً واحداً . انه الحديد البارد . فأنا منذ وليت الحكم وأنا أدق حديداً بارداً ممتداً بين موسكو والقاهرة ، فلا هو يلين ولا هو يذوب . وكل ما حرصت على أن أقوم به هو أن أنفض الجليد عن الحديد فلم أستطع ، ولا ساعدوني ، أن أذيب الحديد أو الجليد ، فتكون هذه (السيولة)

التي ينشدها مترليخ والتي حرص عليها كيسدجر بعد ذلك بقرن ونصف قـــرن .
ومما كتبه مترليخ واستحق فعلا اعجاب كيسدجر بعد ذلك قوله : أن يقـــود الانسان سفينة حطمتها العواصف عشرين عاماً ، وسط الامواج والصخور والسوف العقبات والضغوط وأن يتجه بها الى عرض البحر ، لهي قدرة هائلة ليست متاحه للكثيرين في هذه الدنيا .. وقد علق كيسدجر على ذلك بقوله : ولكن اثبت مترليخ بعد ذلك أن قيادة سفينة في بحر هادئ أصعب من قيادتها في بحـــر هائج . فأمام هياج البحر تتولد قدرات الابداع والاصرار في أعماق الانســـان ، وهو يدافع عن حرصه على البقاء . ويقول مترليخ أيضاً : أن كثرة الدجاج ارهقني ، كما ارهقتني كثرة المصائب . وعندما يتحدث مترليخ عن أصدقائه وعن العلاقات التي بين الناس تجد فيه نبرة الاسى والحزن والتشاؤم أيضاً . يقول : اشعر انني وسط نسيج العنكبوت وليس أصدقائي الا مجموعة من العناكب الى جواري . أحبهم . ولكن يجب أن نبقى في هذا النسيج . أن هذا النسيج له شكل جميل . ولكنـــه في نفس الوقت مجموعة من الخيوط الانيقة الواهية . هذه الخيوط تصد اشعـــة الشمس . ولا تقوى على صد الريح . ((ولكننا جميعاً ارتضينا شروط الصـــداقـــة او شروط لعبة الصداقة . ولذلك فلم اتوقع أن ينسف الاصدقاء خيوط العنكبوت ، في لحظة من لحظات الغضب ... لاننا جميعاً قد تمسكنا بشروط اللعبة)) ..
اما اسباب عبقرية مترليخ في نظر عاشقه كيسدجر فهي : أن لديه قدرة هائلـــة على فهم جوهر أية قضية او أي موقف . وهذا الفهم يجعله قادراً على الحركـــة . واذا تحرك اتجه الى خصومه ليتغلب عليهم واحداً واحداً . يقول مترليخ عـــن نفسه : كل انسان يريد شيئاً ما ، دون أن تكون لديه فكرة واضحة عـــن ذلـــك . ولكني انا اعرف ما اريد ، واعرف ما يقدر عليه الآخرون وما يعجزون عنه أيضـــاً . ولذلك فانا جاهز دائماً لكل موقف . يقول كيسدجر : أن هذه العبارة هـــي قمة الغرور والثقة بالنفس ، ولكنها صحيحة تنطبق عليه في كل الظروف والمواقـــف المعقده الصعبة .. ويقول كيسدجر : أن هذا الرجل قد نجح لا لانه كـــان مقدماً في المناقشة ، ولكن لانه كان مقدماً ومفحماً أيضاً . وهذا الرجل مترليـــخ يؤكد دائماً انه شخصية لا تتكرر . بل تتشابه مع شخصيات اخرى في التاريـــخ .

لأن التاريخ له دوائر أو له قواعد إذا تكررت أحداثه فإنها لا تتطابق تماماً .. ولذلك يقول متريخ ويؤيده كيسنجر : أن الشعوب كالأفراد ينسون تجاربهم كأن تجاربهم علمتهم الا يتعلموا . أو كأن التاريخ علمهم الا يتعلموا منه شيئاً ويقول أيضاً : أن حوادث التاريخ تتكرر ، ولكن ليست بنفس الشكل والحجم . فالانسان اذا رأى فيلاً لأول مرة ، فانه لا يدرى ما هذا الحيوان الذى أمامه الا اذا كان قد رأى صورة لهذا الحيوان . في هذه الحالة فقط تصبح الصورة تجربة ، ويصبح الفيل نفسه حقيقة انطبقت عليها التجربة .. ويقول : وكلمة ((فيل)) لا تدل على كل صفات هذا الحيوان . تماماً كما أن قانون الجاذبية الذى اكتشفه نيوتن عندما رأى التفاح يسقط من الشجر على الأرض ، هذا القانون لا يدل على صفات التفاح أو خصائصه .. انما يدل هذا القانون على علاقة بين كل الأشياء التي تسقط وبين الأرض التي تسقط عليها .. ونفس الشيء يمكن أن يقال في التاريخ : فنابليون ليس بالضبط هتلر .. كما أن كاسترى ليس بالضبط تشرشل .. وانما التشابه بينهم جميعاً في المشاكل والضروف التي يواجهونها .. وكذلك كيسنجر ليس بالضبط متريخ .. وانما هناك تشابه بين الرجلين . وأمل كل منهما أن يحقق توازن القوى . وأن يكون هذا التوازن عن فهم وعن ديناميكية .. أى عن حركة حتى لا تتجمد الانهار بين الأطراف المختلفة .. ومن براعة كيسنجر انه عرف بالضبط هذا الخلاف العنيف الطويل بين العرب وبين اليهود . وربما احتمى كيسنجر في انه يهودى .. أو تذرع بانه يهودى أمريكي ألماني الأصل . وانه بذلك يمكن الاطمئنان اليه . ولا يمكن التضحية به . ولكنه لم يكتف بهذه الصفات التي يمكن أن تتوافر لكثيرين ، بل اعتمد على ذكائه وصبره وفهمه .. ولذلك نجح كيسنجر في أن يكون مستشاراً للأمن القومي لخمسة من الرؤساء الأمريكان : ايزنهاور وكنيدى وجونسون ونيكسون وفورد .. واستطاع أن يكون الرجل الثاني في أمريكا عندما أصبح وزيراً لخارجية نيكسون وفورد من بعده .. ولم يحدث في تاريخ أمريكا أن ارتفع مهاجر في مثل هذا الوقت القصير — أى منذ سنة ١٩٣٨ — فأصبح في مثل هذا المكان الرفيع .. ومن العبارات ذات الدلالة على شخصية كيسنجر انه كثيراً ما كان يقول : ليس في نية أمريكا أن تشترى سلاماً زائفاً على حساب

أصدقائنا • فالولايات المتحدة لن تضحي ، وهي تعلم ، بمصالح الآخرين • كما أن المصالح المشتركة ليست حقيقة ثابتة جامدة •• أن المصالح في حاجة الى تعريف وتحجيم مستمر •• ومن المصادفات الغريبة في حياتي ، أن أجد في كراسة مختومة كل صفحاتها بخاتم السجن وبتاريخ يوم ٢١/١٠/١٩٤٧ — عبارة لمترلينغ • هذه العبارة بالانجليزية • أحتفظت بها كما هي •• وفي ذلك الوقت لم أكن أعرف أين أنا ، ولا ما هو طريقي ، ولا كيف ينتهي بي القدر •• ولا أحد يستطيع ، مهما أوتي من بصيرة أو قدرة على الخيال ، أن يتصور ما الذى سوف أكون عليه بعد ثلاثين عاماً •• أو حتى بعد خمس سنوات من كتابة هذه السطور • تقول السطور الغريبة العجيبة : انني أملك الآن الكثير من الثراء والشباب والصحة والمجد والقوة والحب ، ولو وصفت اليوم نفسي بانني سعيد ، فانما يرجع ذلك الى المواهب التي منحني القدر اياها •• ولكن هذه المواهب علمتني أيضاً أن أرفع عيني الى ما هو أسمى من السعادة •• ((وإذا كانت هذه الرحلات الرائعة التي قمت بها قد أتت لي بالسلام الذى أنشده والسعادة التي أتمناها ، فسبب ذلك فقط أن هذه الرحلات قد علمتني كثيراً ••وأن كانت الرحلات في حد ذاتها ليست هي مصدر سعادتي وسلامي))• وانا أعرف اليوم جيداً ، انني لو تجملت بالحكمة بعض الشيء ، لاستمتعت بحياتي ، دون حاجة الى أن يساعدني القدر •• وأعرف اليوم انني اكثر سعادة من الأمس • لانني تعلمت على الاقل ، انني لم أعد في حاجة الى مزيد من الحظ لكي تتحرر روحي وينشرح للدنيا صدرى • وكان شيئاً مدهشاً حقا أن يتصور الانسان في الزنزانة رقم ٥٤ انه يمكن أن يتجاوز قيود الزنزانة وأن يرتفع فوقها ويشعر براحة النفس • وما من شك في أن رغبات الانسان هي زنزانة تتحكم في حركاته •• غير أن العقل وتجارب السنين والبساطة والقناعة هي التي تجعل الانسان أكبر من ظروفه ، وأخف وزناً ، لانه قد تحلل من قيود رغباته • وكل رغبة هي قيد وهي عبء • والرغبات قيود من حديد وزنزانة من الحجارة الباردة والظلام الداكن والصمت الرهيب •• أو لعلى وجدت في مثل هذه الكلمات نوعاً من التعزية أو نوعاً من التعويض •• أو المواساة •• ولا أعرف كيف عثرت على هذه العبارة ، ولا كيف ساقها القدر في طريقي ، لكي ألتقطها وأسجلها وأحتفظ بها حتى اليوم ؟•

وفي حياتي مصادفات كثيرة مثل ذلك .. ولكن أليس من الصدف العجيبة أن يجيء الى مصر رجل مثل كيسنجر يحاول فك خيوط قضية شديدة التعقيد وأن يكتسب اطمئنان الأطراف المتنازعة . وعن طريق هذه الطمأنينة ذهاباً وإياباً ، استطاع أن يحرك الشرق الأوسط ؟. والذين تحمسوا لكيسنجر ، كانوا ينظرون الى ماضيه القريب . وكيف أنه حاول ، ونجح الى حد كبير في أن يحقق الوفاق بين أمريكا وروسيا .. وبين الصين وأمريكا .. وأن يقوم بحصر الحرب في فيتنام ، وأن يسحب القوات الأمريكية وينقذ أمريكا من كارثة قومية ، وتمزق عميق في داخلها .. وأن يتقاسم جائزة نوبل للسلام مع المفاوض الفيتنامي في باريس .. وعندما جاء كيسنجر الى الشرق الأوسط كانت قد سبقته انجازاته الهائلة . وطموحه في أن يمنح السلام من داخل المنطقة ولذلك لم يتقدم بمشروع ، بل كانت لديه أفكار .. أو اقتراحات أو اجتهادات . ومع كل خطوة تقدم بها كيسنجر ، تأخرنا خطوات في علاقاتنا بالسوفيت .. ولا نزال ..

من " أوراق "

الرئيس السادات

الجليد .. يذوب

بين موسكو .. والقاهره :

١٧

بعد انتصارات اكتوبر ظلت ارضنا يحتلها اليهود .. ولابد أن تجيء ثمار هذا النصر العظيم .. وجاء كيسنجر يتحرك خطوة خطوه بين العواصم العربية وتل أبيب .. ثم انفك الاشتباك .. وتباعدت القوات المتحاربه وكان ذلك انجازاً عظيماً في المنطقة . وفرصه جديده للتشهير السوفيتي بمصر .. وحاول الرئيس السادات أن يصل الخطوط التي انقطعت ولم ييأس من حل لعلاج اى شيء وكل شيء ولكن السوفيت لا يريدون أن يغيروا موقفهم .. بل انهم اثاروا عليه العرب كل بلد وكل موقع .. وقالوا أن هناك اتفاقاً سرياً مع الامريكان او اتفاقاً سرياً مع اليهود .. وأن كل ذلك تم من وراء ظهر الامة العربيه .. فالمصريون خونه .. الجزاليون تصفويون ...

وفشل كيسنجر في أن يذهب الى ابعد مما ذهب .. وفي نفس الوقت تكاثرت الكوارث على البيت الابيض والادارة الامريكية واطاحت بالرئيس نيكسون الذى كانت زيارته لمصر شيئاً مذهلاً .. وقال السوفيت انه الاتحاد الاشتراكي الذى نظم حفلات الاستقبال والطبل والزمر لنيكسون في الشوارع !! .. وسافر ونيران وعاداً ولا شيء معهما .. فلم يحصلا على شيء ولا وعد هما أحد باى شيء ولا امل في اى شيء .. وبنهاية سياسة الخطوة خطوه يدخل الرئيس السادات في التعبئة العامه لمرحلة جديده من الحل الشامل .. او الحملة من اجل السلام ... وازداد موقف السوفيت عنفاً في الحملة والتحامل على مصر والمصريين ...

محادثات كيسنجر دون اذن من موسكو .. كانت جريمه ؟!!.

((أمّا ملاحظاتي)) على د.. كيسنجر فهي أنّه رجل قد درس التاريخ وأطال فيه النظر.. وقلبه وتقلب عليه أيضاً وربط بين الدراسة والسياسه بين كتب التاريخ وأحداث التاريخ ولذلك لم أجد صعوبه في فهمه فأنا كما قلت ـ مولع بدراسة التاريخ وملاحظة أخرى على د.. كيسنجر.. أنّ له نظره شامله فهو قد درس القضية من جميع نواحيها ومن المألوف أنّ يقول الانسان أنّ التركيز على شيء يجعله واضحاً الا في السياسه.. فأنّ النظره الواسعه الشامله هي التي تجعل القضية أوضح.. ولذلك فقد أحسست بعد ساعة من النقاش والحوار أننا متفاهمان.. أو على الأصح من الممكن أنّ نتفاهم.. وليس معنى ذلك أنّ.. وجهة نظرى مطابقة لوجهة نظره ولكن الذى أقصده أنّ لغة الحوار واحده. وأنّ الأرضيه التي وضعنا عليها قضية الشرق الأوسط واحده فأنا أستريح الى التفسير العلمي وأرى أوضح اذا كانت الرقعه أو الخريطه التي أمامنا واسعه متعددة الأطراف والجوانب.. ومثل هذه النظره الى الأمور تجعل أهتمام صاحبها بالقضايا الكبرى في المقام الأول وتجعل الاهتمام بالجزئيات شيئاً ثانوياً ولذلك عندما أعكف على مثل هذه القضايا فأنّني لا أحب أنّ أدخل في تفاصيل جانبيه أو.. خلافات فرعيه.. فأنا أريد أنّ أرى أوضح.. وهذا يعني أنّ أرى أشمل..

وقد أختلفت مع د.. كيسنجر كثيراً.. ولكن هذا الخلاف تحول بسرعه الى نقط للوثوب الى مجالات أخرى للتفاهم فكل نقطه معقده يمكن بالمناقشه ورؤية وجهات النظر الاخرى أنّ تكون نقطة للالتقاء.. وملاحظة ثالثه.. أنّ هذا الرجل كان صبوراً وأنا رجل صبور ومصدر صبره هو الواقعيه أو هو الموضوعيه أو هو ((البعد النفسي)) الذى أدركه بوضوح فنحن واليهود على خلاف شديد والخلاف قديم ونتائجه متراكمه وليس من السهل حل العقد الكثيره جداً التي بيننا وأذا كان المثل يقول أنّ قطع العقده أسهل من حلها.. فأنّني أقول أنّ هذا المثل ليس صحيحاً في السياسه فالعقد السياسيه لا يسهل حلها.. ولكن قطع المواصلات والاتصالات والعلاقات ليس هو الطريقة المثلى لحل العقد.. وأنّما الطريقه المثلى لتجاهلها وتفويت الوقت المناسب لحلها.. أمّا مصدر الصبر الذى عندى فهو خلاصة لنظرة واقعيه وخلاصه للقدرة على التحمل وضبط النفس وأنّ.. الوقت يعمل لصالح الذى لا يخطيء كثيراً والذى لا يتعجل والذى يرى أوضح..

ومن الصعب أن يرى الانسان أوضح اذا كان في حالة غضب أو اذا كان متعجلاً أو اذا لم يدرس بما فيه الكفايه ولذلك لم أشعر بالضيق في مناقشاتي مع د . كيسنجر ولا أظن انه هو شعر بذلك وانما أصابه اليأس من الأطراف الاخـــــرى . . . .

وملاحظة رابعه . . أن د . . كيسنجر قد أكتسب ثقة بالنفس هائله . . ومثل هذه الثقه بالنفس أيضاً هي التي صاحبت المقاتل المصرى والمفاوض المصرى . . بهـذه الثقه بالنفس دخلنا حرب أكتوبر وخرجنا منها منتصرين . . وهي أيضاً التي شددت أزر المفاوض المصرى . . ورجل الشارع المصرى الذى أستقبل الرئيس نيكسون بعد ذلك بمنتهى الحماس والصدق وبلا عقد من أن هذا رئيس أمريكا انما نظر رجل الشارع المصرى الى الرئيس الأمـريكي على انه قادم من الدوله التي تستطيع وأستطاعت أن تحل القضيه بهذا الشعور التلقائي أستقبل الناس الرئيس نيكسون وأستقبلـــوا وانتظروا وتوقعـــوا زيارات وزير خارجيته د . . كيسنجر وتتوالى أحداث اللقاءات . . والمفاوضات عند الكيلو (١٠١) والنقط الست التي جاءت في خطاب بعث به د . كيسنجر الى سكرتير الأمم المتحده كاقتراحات لوقف أطلاق النار . . وتثبيته وضبطـــــه ثم التحرك بعد ذلك من أجل تحقيق سلام على الجبهتين المصريه والسوريـه . . وجاء اليهود وخرقوا اتفاقيه وقف أطلاق النار بعد ثلاث ساعات . . وأعـــادت مصر العلاقات مع أمـريكا بعد فض الأشتباك الاول : فأمريكا هي القادره عـــلى الحل لأنها شريان حياة أسرائيل وهي التي أستجابت لندائها لانقاذها في هذه الحرب ثم نزلت أمريكا عشرة أيام في المعركة ضدنا . . هذه هي الحقيقه وقد أدركها الناس في مصر بفطرة وواقعيه وثقه بالنفس وبلا لف ولا عقد ودون أن يملأوا رؤوسهم بحبابات فارغـه تطالبهم بألا يتعاملوا مع الامبرياليه ومع المجرمين الأمريكـــــان كيف يتجاهل أى انسان سليم التفكير . . دور أمريكا في الشرق الأوسط ؟ وفي انها مصدر الحياة لأسرائيل وهي لذلك القادره على أن تحل ؟ كيـــف ؟!! . . أن المواطن المصرى لم يحتج الى مجهود كبير لكي يدرك أهمية زيارة د كيسنجـــــر لمصر أو للمنطقة بينما في بلاد أخرى أحتاجت الحكومات الى أيام طويله لتهيئـــة أذهان الناس لقبول زيارة د . كيسنجر فلما طلب د . . كيسنجر أن يجيء لزيارتي رحبت فوراً وجاء د . كيسنجر لتقوم قيامة الاتحاد السوفيتي ويحرك أشكالاً وألوانـــاً من الناس في كل العالم العربي ضد مصر والقيادة المصريه . . لمـــــاذا ؟ .

لأن مصر اتصلت بأمريكا .. ولأن مصر تعتقد أن أمريكا هي القادره على الحل ولأن مصر قد وافقت على أن يدورها وزير خارجية أمريكا النجم الصاعد في السياسة الدوليه : هنرى كيسنجر .. ورغم ذلك فقد حرصنا على أن نظل على علاقة طيبه مع الاتحاد السوفيتي وبعد أن اتفقنا على النقط الست التي تقدم بها كيسنجر أرسلنا ملخصاً بكل ماحدث للاتحاد السوفيتي وكانت النقط الست تتلخص في الابقاء على وقف اطلاق النار وبداية المحادثات والعوده الى مواقع ٢٢ أكتوبر في اطار فك الاشتباك وفصل القوات تحت اشراف الامم المتحده وأن تكون هناك نقط للمراقبة تابعه للأمم المتحده على خط وقف اطلاق النار وبعد ذلك يتم الاتفاق على تسليم الأسرى والجرحى .. ولم يسترح السوفيت الى شيء من هذا كله .. صحيح أنهم في ذلك الوقت لم يعلنوها صراحه .. ولكن لم يفتهم أن يفعلوا ماهو أسوأ من ذلك فقد حركوا علينا المنطقة وتطايرت الاتهامات لمصر من الفلسطينيين والسوريين وغيرهم .. لماذا ؟ لأننا أخرجناهم - كما يقولون من المحادثات والمفاوضات ومن التسويه لكل القضيه لأننا نتحرك دون علمهم أو نتفق من وراء ظهورهم .. ولذلك فالذى قامت به مصر هو : حل منفرد : أو موقف تصفوى .. وأن مصر قررت أن تنسحب من الساحه العربيه .. وأن مصر تنكرت لعروبتها .. وأنها انتكست الى مصريتها وانطوت في قوقعتها .. وانها خانت أمانة الأمة العربيه كل ذلك لأننا نحاول أن نحل القضيه مع الطرف القادر على أن يفعل شيئاً .. وشيء غريب أن يتصور احد أن مصر تنفرد بالحل في قضية ((متعددة)) الأطراف .. كيف يكون الحل مصرياً لقضية عربيه ؟ .. فالحل يجب أن يكون عربياً لأن القضية عربيه وقد أثبتت الأيام بعد ذلك صحة كل خطوة خطتها مصر .. وأعلنتها في حينها .. وكل ماأعلنته مصر بوضوح وشجاعه هو الذى تبنته بعد ذلك أطراف اخرى .. فكان غلطه مصر هي أنها سبقت زمانها لأنها رأت الصورة أوضح قبل أن يدركها الآخرون .. ولكن جريمة مصر في نظر السوفيت قائمه ومستمره : أنها تتصرف دون أذن من موسكو أو دون اتفاق سابق على كل خطوة تخطوها .. وهذا مارفضته في كل وقت وفي كل الظروف وماسوف أرفضه اليوم وغداً وماسوف أوصي به الأجيال من بعدى .. انه لا سياده

لا أحد على مصر الا مصر نفسها هذا ما فعلت وما تعذبت بسببه ولن أندم عليه وانما قد أضفت ذلك كله الى رصيدى من راحة الضمير عندما أتلفت ورائي أنظر الى ما قدمت لبلدى ولشعبي مع عظيم الامتنان لله سبحانه وتعالى أن وهبني القدره على أن أكون خادماً مخلصاً لمصر ومدافعاً حتى الموت عن كرامتها .

ولكن السوفيت أشاعوا أن هناك ((طبخه)) سريه تقوم بها مصر .. هذه الطبخه هي اتفاقيه سريه مع الامريكان لحل الموقف على الجبهة المصريه ونجح السوفيت في احداث وقيعه بيننا وبين سوريا الشقيقه بدأت عندما قبلنا الذهاب الى جنيف في ٢١ ديسمبر ٧٣ ورفضت سوريا وقيل ما قيل والفضل يرجع الى السوفيت في اشاعة الفرقه بين الصفوف والتباعد بين القلوب .. وبدأت .. رحلات المكوك كيسنجر .. أى الرحلات بين العواصم العربيه وتل أبيب ذهاباً وأياباً وتم الاتفاق على فض الاشتباك الاول وتضاءلت غضبة السوفيت وترددت أصداؤها في الاذاعات والصحف .. لماذا ؟ لاننا وافقنا على مجيء كيسنجر ووافقنا على فك الاشتباك مع أن فك الاشتباك ليس الا تحريكاً للموقف وليس هو الحل .. بل أن فك الاشتباك لم يكن سوى اقتراح من امريكا لفتح الطريق بعد أن وصلنا الى نهاية مسدوده حتى هذا الموقف الامريكي لم يعله السوفيت .. وحرضوا قطاعات من العالم العربي ضد مصر .. وبعد توقيع فض الاشتباك الاول كنت في أسوان وسافرت الى البلاد العربيه أشرح وأوضح تلك الجريمه التي ارتكبتها مصر .. انها جريمه في عيني السوفيت .. وزرت في رحلتي هذه امارات دول الخليج وشمال افريقيا .. وحتى لا يزداد الموقف سوءاً طلبت من اسماعيل فهمي أن يبعث بورقه مطوله الى جروميكو له كل ما جرى ولكن هذه .. الورقه لم تؤد الى تغيير في موقف السوفيت بل على العكس من ذلك ازدادت حدة الحملات على مصر حتى دخلنا في مرحلة فك الاشتباك الاول على الجولان الذى قام به د .. كيسنجر أيضاً وعندما التقيت بالرئيس حافظ الاسد في مؤتمر الجزائر حكيت للرئيس الاسد تفاصيل اتفاق فض الاشتباك على الجبهة المصريه .. ومن الغريب أن كل شيء قد تم كما قلت وكما أعلنت ووضحت للشعب ولكل الاشقاء العرب وعلى أعلى المستويات وهدف واحد : أن أساعد في حل

القضية وأسلوبي في ذلك هو المصارحه والشجاعه والصدق ولذلك لست في حاجة الى أن ألف أو أدور أو أن أواجه الناس برأى وأخفي عنهم رأيا آخر .. لم يحدث ولن يحدث شيء من ذلك وهذا معروف لكل الناس .. وقد أعلنت في ذلك الوقت أن كل ما أحاوله هو نزع الفتيل من الموقف المتفجر في الشرق الأوسط وأن هذا كله ليس حلا وانما هو طريق الى حل .. وأن الحل السياسي اذا لم يحقق شيئا فلا مفر من القوة والعوده الى أسوأ مما كنا عليه .. وطبيعي لم يسترح السوفيت الى كل ماقلته في البلاد العربيه ومانشرته الصحف وماأعلنه الزعماء العرب الذين اقتنعوا بالسيادة المصريه وبضرورة أن تكون لمصر سيادة على قدرها .. حتى جاءت زيارة نيكسون لمصر .. وكان استقبال الشعب لهذا الرجل شيئا لا نظير له وخرج الشعب برجاله ونسائه وأطفاله جميعا لاستقبال الرئيس الأمريكي وكان هذا الاستقبال مذهلا له .وللأمريكان وللعالم كله .. كان شيئا خرافيا .. حتى هذا التعبير ليس من عندى وانما استخدمه الامريكان ولعل نيكسون كان يرد على ماقاله السوفيت عندما قال : في استطاعة أى انسان أن يملأ الشوارع بهؤلاء الناس ولكنه ليس في استطاعته أن يجعلهم يضحكون .. فقد أعلن السوفيت أن الناس لم يخرجوا من تلقاء أنفسهم لأن الشعب يكره أمريكا ويكره نيكسون وانما الذى حشد الناس في الشوارع هو الاتحاد الاشتراكي ولو صح أن للاتحاد الاشتراكي هذه القدره على حشد الناس وعلى اشعال الحراره فيهم .. واطلاق السعادة على وجوههم لكان أعظم تنظيم سياسي في العالم كله .. وعلى ذلك يجب أن نعيده الى ماكان عليه .. ولكن انشغلت أمريكا بعد ذلك بمشاكلها القوميه العنيفه جاءت فضيحة ووترجيت التي أطاحت بالرئيس نيكسون .. وكان طبيعيا بعد هذا الاستقبال العظيم أن يجعل اليهود بنهاية نيكسون فكان الفصل الاخير من فضيحة ووترجيت : وهي التصنت على الحزب الآخر .. فاستقال نيكسون بعد ذلك في نهاية ١٩٧٤ .. ولم أتوقف عن محاولة مد الخطوط والمواصلات بيننا وبين السوفيت فانا أعرف عقدهم وأعرف الشك الذى هو أسلوبهم في التفكير وأعرف أن كل ماجرى في مصر لا يمكن أصلاحه في روسيا ولكني سأحاول ولن أتوقف عن المحاوله . فأرسلت أسماعيل فهمي الى الاتحاد السوفيتي وقابل برجنيف وقبل ذلك كان أسماعيل

فهمي قد أرسل تقريراً مفصلاً الى جروميكو وفي موسكو أصدر الاتحاد السوفيتي بياناً وافق فيه على فك الاشتباك الاول ومعنى ذلك اننا لم نرتكب جريمه .. وانما كل ماحدث هو التباعد بين القوات المتحاربه و موافقة الاتحاد السوفيتي على ذلك معناها اننا لم نرتكب خيانة للعرب وقضايا السلام ولم نقم بحل تصفوى والا فما وافق الاتحاد السوفيتي ولما تحدث اليهم اسماعيل فهمي كان يركز على نقطتين : أولاً ـ جدولة الديون .. وثانياً تعويض الاسلحه التي فقدناها في الحرب وذلك بأن يبيح لنا الاتحاد السوفيتي اسلحة جديده تعوض بها خسائرنا تماماً كما فعل مع سوريا قبل ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ وما بعد ذلك حتى وقت قريب جداً ولكن السوفيت قدموا له مفاجأة كبرى .. فقد اخبروه بأن برجليف سوف يزور مصر في يناير سنة ٩٧٥ ولما ارسل لي اسماعيل فهمي بهذا النبأ اسعدني جداً وادركت أن المشاكل كلها في طريقها الى الحل وأن رجلاً مثل برجليف لابد أن يكون عنده مايقوله ومايفعله فهو الرجل الاول في روسيا .. ولذلك وجدت انه من الافضل أن نستغل الوقت وأن نساعده على حل جميع المشاكل المعلقه من جدولة الديون وصفقات السلاح المعقوده في سنة ١٩٧٣ والتي لم ترد الينا حتى ذلك الوقت .. ثم تحدد موعد زيارة برجليف لمصر في يومي ٧ و ٨ يناير ووجدت أن أمريكا غارقه في مشاكل الرياسه الامريكية ومصيبة ووترجيت فقد ذهب الرئيس نيكسون وجاء بعده الرئيس فورد وهو في حاجة الى وقت لكي يرتب البيت ويمحو آثار ووترجيت وهو محتاج الى وقت لكي يرى ويفكر ويدبر وعنده مشاكل داخليه ودوليه كل ذلك سوف يجعل من الصعب عليه وطبعاً أن نلتقي أو نسوى مشاكلنا المتجره المعلقه في المنطقة اذن لابد أن نلتهز فرصة زيارة برجليف لحل مشاكل خطيره بين البلدين .. لأن أمريكا كانت قد دخلت في نوع من ((التحريه الداخليه)) أو ((الافتضاح السياسي)) فهي حريصة على أن تفضح حكامها وشيوخها وتهز كل القيم التي تمسك المجتمع الامريكي والادارة القديمه والجديده .. وسوف يطول الكلام في ذلك .. وأنا ارى أن المعركة الانتخابيه لم تبدأ حقيقه في سنة ٧٦ وانما بدأت في كل ٧٤ و ٧٥ وسوف تكون ٧٦ سنة انتخابات فلا أحد هناك قادر على أن يجعل أو يربط أمراً من الامور .. ثم حدث شيء مؤسف في ديسمبر ٩٧٥ أو في يوم ٢٥ ديسمبر بالذات .. توفي المشير أحمد اسماعيل

في لندن وكنت في ذلك الوقت في بيت أبو الكوم البلخوني هذا النبأ الحزين وفي نفس الوقت تلقيت تبليغاً من القيادة السوفييتيه بأنها تريد من وزير الخارجيه ووزير الحربيه أن يزورا موسكو على وجه السرعه .. ورغم وفاة المشير أسماعيل التي المتني أشد الألم فقد رأيت في دعوة وزيرى الخارجيه والحربيه الى موسكو قبل زيارة برجليف دليلاً جديداً على أن السوفيت يريدون حلاً للمشاكل المعلقه ولابد أن هناك أموراً تحتاج الى أثنين من الوزراء ولابد أنهم يريدون أن تكون زيارة برجليف ناجحه .. فيتم الاتفاق على كل شيء قبل أن يجيء أليلنا مثل هذه الشخصيه الكبيره عندهم لا يمكن أن تدخل في التفاصيل وانما ينتهي كل شيء قبل زيارته وقبل زيارته كما هي عادة السوفيت ستكون اللجان المتخصصه قد أعدت كل شيء وعرضت كل شيء وأصدرت قراراً وبياناً بعد ذلك .. وتلهفت على حل كل شيء قبل هذه الزيارة المقبله واقترحت أن يسافر أربعة وزراء اخرون لحل كل القضايا الخاصه بالاقتصاد والكهرباء والتخطيط وعلى الرغم من أنني أعلم مقدماً أنني لو ظللت أتفاوض معهم مائه سنه فأنهم لن يعطوني الا ما اتفقوا عليه قبل ذلك وأن برجليف ليس الا أحداً منهم لكني غلبت الأمل والتفاؤل على كل هواجسي ومخاوفي .. وخشيت على نفسي أن تكون عدوى سوء الظن السوفيتيه التقليديه قد انتقلت الى تفكيرى ولذلك تحركت بسرعه .. ولكن عاد السوفيت يقولون أن القيادة تريد وزيرين فقط .. ولذلك عينت محمد عبد الغني الجمسي وزيراً للحربيه وسافر أسماعيل فهمي والجمسي الى موسكو يوم ٢٨ ديسمبر .....

وفي مطار موسكو كان في أستقبالهما جروميكو وزير الخارجيه وجريتشكو وزير الدفاع وفي السياره أعلن جروميكو لاسماعيل فهمي : زيارة برجليف تأجلت لأنه مريض ثم أتجه الوزراء الاربعه لزيارة برجليف وكان مريضاً حقاً ولكنه أحسن أستقبالهما وكان لطيفاً جداً كعهده .. ثم عاد الوزيران المصريان في غاية الأسف لأن شيئاً لم يتحقق فلا جدولة الديون ولا تعويض للسلاح .. ولكن الأمريكان ورغم كل ظروفهم الداخليه السيئه بحثوا يقولون أنهم يريدون أستئناف الحركة من اجل السلام.

وفي مارس جاء د .. كيسنجر لكي يبدأ خطوة جديده في فض الاشتباك .. جاءني في أسوان وكنت أنفاءل بأسوان بعد فك الاشتباك الاول .. وقد أجتهد المحللون السياسيون في تفسير حرصي على أن يتم كل شيء في أسوان .. قال

بعضهم أن أسوان ترتبط في أذهان المصريين والأمريكان معاً بالسد العالي فقد رفض دالاس تمويل السد العالي وقالوا بعد ذلك أني أحاول أن أجعل الذكريات سعيده .. كما قمت بفتح قناة السويس يوم ٥ يونيو .. وهو اليوم الذى انتكست فيه القوات المصريه وانسدت فيه القناة .. ولكني على كل حال كنت أتفاءل بأسوان .. وأن كنت هذه المره قد صارحت د . كيسنجر بأني غير متفاءل وكان يؤكد أنه متفاءل جداً .. أما أنا فقد بنيت تشاؤمي على رد الفعل اليهودى لكل خطوات كيسنجر وأذكر أني أعلنت له : أن هذه العمليه مصيرها الفشل أسمعها مني .. وقلت له : أن أسحاق رابين ضعيف وليس في قوة جولدا مائير ولم يصدقني أول الأمر ولكن بعد تسعة عشر يوماً قال لي : لا أمل .....

وسألني أن كان من رأيي أن يعود .. فقلت : لا داعي .. لقد توقعت ذلك وكانت مفاجأة كبرى للصحفيين الذين تجمعوا في أسوان عندما أعلن أسماعيل فهمي فشل المفاوضات على خطوات فك الاشتباك الثاني .. وكانت مفاجأة عنيفه .. فقد أحس العالم كله أن اليهود هم الذين تعنتوا على الرغم من أنهم يذيعون ويشعون أن المصريين هم الذين لا يريدون حلاً .. ولكني بادرت وفاجأت العالم كله بأني سوف أفتح قناة السويس يوم ٥ يوليو .. وأني قررت عودة المهجرين الى أراضيهم وبيوتهم واعتبرت أن هذه المدن الثلاث من عمق مصر وأن ضرب عمق مصر يعني ضرب عمق أسرائيل أيضاً .. وكان ذلك في كلمتي في مجلس الشعب وكانت أوامرى قد صدرت قبل ذلك عندما عينت عثمان أحمد عثمان وزيراً للأسكان في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وتمت أنجازات عظيمه في منطقة قناة السويس تعتبر قياسية في تاريخ التعمير والأسكان وعلى الرغم من أن فشل محاولات كيسنجر الثانيه قد ضايقني كثيراً .. فأني وجدت شيئاً يريحني بعض الشيء فقد أنكشف هؤلاء الذين أشاعوا أن هناك طبخة سريه بيننا وبين أمريكا أو بيننا وبين اليهود فأين هذه الطبخه وراء هذا الفشل الهائل ؟ لماذا لم تنجح الطبخة السريه ؟ .. لقد كان هذا الفشل دليلاً على قصر نظرة هؤلاء الذين قولهم في أذانهم .. يسمعون ويكررون كالببغاوات ولا يفكرون .. وأحس اليهود أنهم في مأزق رهيب .. وتحدد أمام العالم كله أن ألتقي بالرئيس فورد في مدينة سالزبورج بالنمسا في أول يوليو

وكنت أعلم علم اليقين أن الادارة الجديده ليست قادره على أشياء كثيره فلاتزال مشاكلها عديده ثم أنها دخلت المعركة الانتخابيه بالفعل بعد استقالة الرئيس ليكسون .. وبعد هذا اللقاء مع الرئيس فورد اشتدت الحملة السوفيتيه وراحوا يجددون الكلام القديم واشاعوا في كل مكان أن الخيانه المصريه ماضيه وأن .. القيادة المصريه تبيع القضية وأنها سلمت كل شيء لأمريكا نهائياً .. رغم فشل فك الاشتباك الثاني الذى كشفهم هم وفضحهم هم فلم تكن هناك اتفاقيات سريه مع احد : وفي اغسطس جاء د .. كيسنجر وكان يائساً .. ولكني أكدت له انه لا داعي للتشاؤم وقلت له : في مارس الماضي أنت كنت متفائلاً وانا كنت متشائماً وهذه المره أنا المتفائل .. وبدأ د .. كيسنجر رحلاته بيننا وبين اليهود .. وكانت رحلات شاقه وكانت الخلافات على كلمات هم يتمسكون بها فيجيء الينا يسألنا ويسمع منا ثم يعود اليهم ويكون الخلاف على ((حرف)) أو ترتيب كلمة في عباره .. كان شيئاً مضحكاً ومحزناً في نفس الوقت ولكن الرجل لم يعرف اليأس .. وبعد عدة رحلات ذهاباً وايابا أعلن د .. كيسنجر معك حق يبدو أن هناك أملاً ... وكنا وقتها في الاسكندريه .. وكان يشاركني في هذه المفاوضات حسن مبارك نائب رئيس الجمهورية وممدوح سالم رئيس الوزراء واسماعيل فهمي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجيه والفريق الجمسي وزير الحربيه تمت العمليه انتهى كل شيء قام الاتحاد السوفيتي ولم يقعد ولم يهدأ له بال ولم يشأ أن يهدىء بالاً لأحد .. وانقلب الاتحاد السوفيتي واذنابه وضعاف النفوس على مصر يتهمونها بالخيانه والانعزاليه والتصفويه .. وليس في هذه التهم شيء جديد وانما كلها ترجع لسبب واحد لا ثاني له .. أن لنا ارادة .. مستقله واننا حريصون على ذلك .. ومن حق د .. كيسنجر بعد ذلك كله أن يردد عبارته المفضله التي أخذها عن أستاذ متريخ .. فقد كان يقول كثيراً انني أعرف ماذا أريد واعرف ماذا يستطيع غيرى أن يفعل ولهذا فانا جاهز دائماً .. ولم نختلف كثيراً على الطريقة التي نعالج بها الموقف ولا الوسائل التي نتذرع بها الى ذلك وان كنا كما ذكرت قد اختلفنا كثيراً .. ولكن اللغة واحده ولهذا أمكن لنا أن نحقق شيئاً كثيراً من النجاح وأن كنت قد أعلنت بعد ذلك أن هذا هو آخر عهدنا بالخطوة خطوه أسلوباً للحل الشامل وأن لم يكن هذا هو آخر عهدنا بالعلاقات السوفيتيه التي تزداد سوءاً ...

كنا قد أعددنا الحلقة الجديدة من ((أوراق الرئيس السادات)) عندما فوجئنا بالهجوم الذى شنته صحيفة ((برافدا)) على ما قاله الرئيس السادات ، أو على معناه الرئيس السادات في تقويم العلاقات السوفيتية المصرية ، وكان الاعوجاج دائماً من ناحية موسكو .. ولذلك نعتذر عن عدم نشرها في مجلة ((أكتوبر)) وفي صحيفة ((الرياض)) بالسعودية وصحيفة ((السياسة)) الكويتية على أن نستأنف نشرها في الأسبوع القادم إن شاء الله . حتى في الكتابة عن العلاقات السوفيتية المصرية لابد أن يحدث شيء ما ، يعطل سير الأحداث وتوالي الحلقات ، ويكون ذلك من جانب السوفيت دائماً

رد على أكاذيب برافدا :

لا نحن سلعة تباع

ولا صفقة تشترى ..

((أنيس منصور))

ليس من حقي أن أناقش حرية الصحافة ، أو حرية الرأي ، أو الحرية أو الرأي وكيف يتكون في الاتحاد السوفيتي . فهذا تدخل في شؤون روسيا لا أقدر عليه ، وإذا قدرت عليه فليس لي هذا الحق .. فروسيا حرة في ((تقنين)) الحرية وتوزيعها بالبطاقات كما قال لينين ، وهي حرة في أن تربط الأحزمة على بطون الأقلام وأصحاب الأقلام .. أما المناسبة فهي المقال الغريب العجيب الذي نشرته صحيفة برافدا يوم ١٢ فبراير الحالي . وأسميه ((مقالاً)) تجاوزاً .. لأنه ليس مقالاً وإنما هو نوع من ((الردح السوفيتي)) لمصر كلها حكومة وشعباً . ولوجهة نظر مصر في كل قضية ، وتجنياً صارخاً على قيادتها السياسية . ولأن هذا المقال صادر عن البرافدا ، وهي ((الوقائع الرسمية السوفيتية)) فهو يمثل رأي الحزب السوفيتي والقيادة واللجنة المركزية والمكتب السياسي ورأي كل من يحمل على صدره النجمة الحمراء أو نجمة لينين . والمقال ليس وجهة نظر أحد الناس . فليست في روسيا وجهات نظر . وإنما هي نظرة واحدة عامة للجميع .. ولم يحدث أن نشرت ((البرافدا)) وجهة نظر أخرى لأي إنسان يخالف فيها الحكومة أو القيادة .. كما يحدث في الصحف المصرية المملوكة للشعب .. وإذا كانت في روسيا وجهات نظر أخرى ، فهي التي تجيء في المنشورات السرية أو على جدران السجون في سيبيريا ، أو الخطابات التي يبعث بها مجهولون الى السفارات الغربية في موسكو ، أملاً في أن تنقل أصداءها الى العالم الخارجي .. وهذه هي وجهات وجهات النظر التي يمكن أن يعثر عليها إنسان في روسيا .. وقد هربت بهذه الطريقة ألوف الرسائل وعشرات الأعمال الأدبية والفكرية ـ وهذه قصة أخرى . ولم نسمع ولم نقرأ عن رأي أو وجهة نظر لأحد من الناس إلا إذا كان مغضوباً عليه .. أو إلا إذا كان قد مات ، كما فعل خروتشيف في ستالين .. أو كما فعل آخرون في خروتشيف ، فحذفوا اسمه من الكتب .. ونقلوا رفاته من مقابر الأبطال الى مقابر العمال .. و ((الضرب في الميت)) حلال ، لأنه نوع من قتل الإنسان بعد أن مات .. ودفنه بعد أن دفن .. وهذه هي الحرية الوحيدة المسموح بها في الاتحاد السوفيتي .. ولذلك فلن يجد أحد ، ولا وجد ، رأياً مخالفاً

لرأى الحكومة على النحو الذى نراه اليوم وغداً في صحفنا المصرية ـ مسكين هذا الشعب السوفيتي الذى لا يعرف الحقيقة ولن يعرفها ٠٠ ففي المقال الذى نشرته صحيفة ((البرافدا)) ومعناها ((الحقيقة)) وهذه هي الحقيقة الوحيدة في كل الصحيفة ٠٠ أو في كل ما جاء في الصحيفة التي نشرت هذا المقال ٠٠ في هذا المقال الى جانب الشتيمة المباشرة لمصر ولشعبها الكريم وانجازاته العظيمة نقرأ : أن مصر انتصرت بالسلاح السوفيتي في حرب أكتوبر ٠٠ وهذه حقيقة لم ننكرها نحن في مصر ولا نحن في أى بلد عربي ٠ بل أن قيادتنا السياسية والعسكرية قد أعلنت ذلك كثيراً ٠ ولكن المعنى الذى يقصده السوفيت هو أن السلاح هو الذى انتصر وليس الذين يحملون السلاح ٠ فالصواريخ انطلقت وحدها حسب خطة تلقائيه ٠ واستقرت في قلب العدو ٠ كل ذلك بوحي نزل عليها من موسكو ٠٠ أما العقول التي فكرت ودبرت ، والأيدى التي استماتت على السلاح والقلوب التي امتلأت بالايمان بالله والوطن والنصر ، فليس لها دخل في ذلك ٠ وكل ما حدث أن السلاح تكوم من تلقاء نفسه على الضفة الغربية من القناة ونتيجة لاصابع ضغطت على زرار في موسكو انطلقت الصواريخ والطائرات والمدافع وعبرت واستقرت وانتصرت ٠ واستطاعت أن تحول ٥ يونيو ٦٧ الى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ٠٠ هكذا وبهذه السهولة ٠ والفضل أولاً وأخيراً للسلاح ـ انتهت النظرية السوفيتية في التفسير المادى لانتصارات أكتوبر المصرية السورية العربية ٠٠ مع أن هذا السلاح كان معنا أيضاً في ٥ يونيو ١٩٦٧ ولم ينتصر ؟ واذا جاز أن يكون السلاح السوفيتي وحده هو الذى نصرنا في أكتوبر وخذلنا في يونيو ، فهل هو نفس السلاح الذى انتصر وحده في فيتنام على أكبر ترسانة للسلاح الامريكي أن الروس يسقطون من حسابهم أعظم القضايا التي يتصدون للدفاع عنها وهي ارادة النصر عند الشعوب ٠٠ أو كفاح الشعوب من أجل البقاء ٠ وهذا بالضبط ما فعله المصريون بالسلاح السوفيتي ٠٠ ولكن ليس بالسلاح وحده ، سوفيتياً أو أمريكياً ، تنتصر الشعوب ٠٠ وانما الشعوب بتصميمها وايمانها تنتصر على قوى البغى والطغيان ٠٠ ((فالشعوب صانعة المعجزات)) وهو تعبير روسي أيضاً يقال في مناسبات كثيرة ، أو في كل المناسبات الا مناسبة انتصار

القوات المصرية والسورية في اكتوبر ١٩٧٣ .. ولو حمل المصريون والسوريون أسلحة أمريكية أو بريطانية أو فرنسية فهل كانوا ينهزمون لأن هذه الأسلحة لا تحمل هذه الكلمات المباركة : صنعت في روسيا ؟.. اننا لم ننكر فضل الأسلحة السوفيتية ولا نزال نطالب بها . ولم نتوقف . والرئيس السادات قد فعل كثيراً وأعلن ذلك في كل مناسبة . ولكن المشكلة التي ليس لها حل حتى الآن – وأن كنت أرجو أن نجد حلاً – هي أن الروس يعدون ولا يفون بالوعد ، أو يعدون ويترددون – ويتراجعون ويتناسون أو يتناسون – حدث ذلك كثيراً جداً .. وإذا قرر الروس فجأة إرسال أسلحة لنا ، فإنها تجيء على فترات متباعدة .. ومعنى ذلك أن يكون الوفاء بالوعد نوعاً من التردد .. أو التسويف .. فلا هو وفاء بالوعد ، ولا هو وعد .. وإذا طلبنا إليهم أن يصلحوا أسلحتهم ، امتنعوا عن ذلك .. وإذا نحن طلبنا الى دولة صديقة للطرفين كالهند مثلاً ، أن تتولى إصلاح محركات الطائرات أو بيع قطع غيار لنا ، تدخلت روسيا ، فأمسكت يد الهند حتى لا تفعل ذلك .. أي أن روسيا ترفض وتضغط على غيرها أن يرفض . وهذا نوع من التضييق على مصر أو خلقها عسكرياً .. ولا أدعي أنني من العسكريين أو من خبراء التسليح ولكن عندما أضع هذه الصور أمامي . وأضع بعضها الى بعض فإنني أنتهي الى معنى واحد : روسيا لا تعطينا سلاحاً ، وإذا أعطتنا فإنه يجيء متأخراً ، وإذا جاء متأخراً الينا جاء متقطعاً .. وإذا تعجلنا إصلاح الأسلحة التي فسدت وفضت وإذا حاولنا باسم الصداقة أن نتجه الى دولة أخرى ، حالت روسيا بيننا وبين الأصدقاء .. فلا هي تعطينا سلاحاً ، ولا هي تكفينا شر غضبها . ولا أعرف ما هو الاسم الذى يمكن أن تضعه البرافدا أو أصحابها لهذا الموقف السوفيتي الثابت رغم حرص الرئيس السادات على أن يزحزحه أو يغيره دون جدوى .. فهل معنى ذلك أن السلاح الروسي المتراكم عندنا قد فقد جنسيته السوفيتية ؟.. هل أصبح بنا غير شرعي ؟.. هل المطلوب أن يتركوه حتى يتحول الى خردة ؟. فإذا أصبح خردة لم يعد هناك أمل في تعويضه أو إصلاحه .. وبذلك يتحول السلاح في أيدينا الى لعب أطفال ؟.. هل المطلوب ألا نحمل سلاحاً ؟ هل المطلوب أن نتحرى أمام الترسانة الأمريكية العظيمة في إسرائيل ؟.. فأين

ذهبت ((المغريات)) روسيا في مساندة الشعوب العربية في كفاحها ضد الامبريالية العنصرية الاسرائيلية ؟ .. اين دعاوى روسيا في الدفاع عن مكاسب الشعوب لعمالها وفلاحيها ومثقفيها ؟ .. اليست مصر دولة اشتراكية شابة ؟ .. اليست مصر تخطوا بنجاح نحو الاشتراكية الديمقراطية ؟ .. هل نحارب بالسلاح السوفيتي معسكرات اشتراكية اخرى ؟ .. السنا نحارب دفاعا عن الامن القومي المصرى عن الشعب المصرى الصديق ؟ .. السنا نحارب عن امن الامة العربية التي اعلن السوفيت في مناسبات لا اول لها ولا آخر ، انه صديق العرب والامة العربية اننا ننظر الى الشعوب السوفيتية الصديقة نظرة اعتزاز وامتنان . وقد اعلن الرئيس السادات ذلك كثيرا . فقد ساعدتنا روسيا — هذه حقيقة . ولكنها اليوم تمن .. وتذهب الى ابعد من المن .. انها تحيرنا . وتدوس كبرياءنا ، وتدق كرامتنا بكلمات شائنة ملأت بها هذا المقال الذى نشرته في ((الوقائع الرسمية)) للحزب الشيوعي .. هل قرر السوفيت نهائيا ان علينا ان نختار بين ان نكون شيوعيين والا نكون ؟ .. اذا كان السوفيت قد قرروا ذلك ، فقد انكروا وتنكروا لكل ما ادعوه وكل ما اعلنوه من حرية الشعوب في تقرير مصيرها ، ومساندتها لكل الشعوب المناضلة من اجل السلام .. ويذكر المقال ايضا دور الخبراء السوفيت في مصر . وكيف ان الرئيس السادات قد طلب بقاءهم في حديثة الى قادة الكرملين في اكتوبر سنة ١٩٧٠ .. ولم ينكر احد دور الخبراء او اهمية الخبرة الاجنبية فقد احتجنا الى الخبراء وما نزال نحتاج الى الخبرة نستوردها من كل مكان في الدنيا . انها سلعة ممتازة لابد ان نشتريها . ولسنا بدعا بين الشعوب .... فالسوفيت انفسهم يستعينون بالخبرة الغربية ورأس المال الاجنبي : الامريكي والياباني والالماني . وليست الثقافة والحضارة الا نوعا من ((التطعيم)) الفكرى والتزاوج التكنولوجي .. حدث ذلك في كل العصور . وحدث عندنا ، فقد فتحنا على انفسنا ابواب الحضارة لتهب علينا من كل البلاد المتطورة . والرئيس جمال عبد الناصر طلب الى السوفيت ما هو اكثر من ذلك ولم يجد حرجا عندما طلب ان يكون قائد الدفاع الجوى سوفيتيا . ولكن الروس خافوا على الوفاق والعناق مع امريكا . فترددوا ثم رفضوا في النهاية .. والرئيس السادات في كل محاولاته

المستمرة أن يجعل العلاقات عادية بين القاهرة وموسكو قد بذل جهوداً مضنية. وفي ٢٠ أبريل سنة ١٩٧٥ سلمت القاهرة لقادة السوفيت مذكرة تتضمن تصوراً شاملاً للأساس الاستراتيجي للعلاقات بين البلدين على المدى الطويل . هذه المذكرة أرسلت بتعليمات صريحة من الرئيس السادات .. فماذا حدث ؟ ....

لم ترد موسكو . ومعنى ذلك أنها قرأت المذكرة ، وعرضتها على اللجـــان ، ونقلتها اللجان الى اللجان . وسكتت موسكو عن وثيقة بالغة الخطورة . فمـــا معنى ذلك ؟ معناه أن موسكو لا تريد أن تتزحزح عن موقفها . فالذى اتخذته هو موقف ثابت جامد . وعلينا أن نضرب رؤوسنا في الحائط . فاذا سقطت رؤوسنا فلا لوم على السوفيت اذا داسوها بالجزم . ومن أجل ذلك فنحن حريصون على أن تبقى رؤوسنا على أكتافنا ، مهما كان الثمن الذى ندفعه اليوم وغداً . ولا يحيينا أحد اذا انتهينا من فهمنا لهذا الموقف الى أن الروس يتهربون من مسؤولية تطوير العلاقات بيننا وبينهم ، والاكتفاء بالخطب الرنانة والتراكيب اللغويـــة الفصيحة ، تصويرا لحالنا وحالهم .. مع أن هذه التراكيب اللغوية الغريبة التي جاءت في مقال البرافدا ليست أكثر من أكفان حريرية للمعاني التي يحرص السوفيت على وأدها في أذهان المصريين وفي قلوبهم .. وقد تعبت شعوبنا من مثل هـــذا الكلام ، ومن الكلام . ولو كان الكلام ينفع في حل مشاكلنا لانحلت هذه المشاكـــل منذ عشرات السنين ولو اقتصر العالم ، والسوفيت بصفة خاصة في تأييدهم للشعب الفيتنامي على حلو الكلام ورقيق السلام دون أن يمدوهم بالسلاح ، لراحت فيتنـــام وعليها السلام ورحمة الله وبركاته .. ولكن فيتنام وقفت أمام أمريكا واستدرجـــت الالوف من قتلاها ، والوف الملايين من دولاراتها الى الاحراش والمستنقعـــات ، بالاصرار والصبر والعناد .. والاتحاد السوفيتي كدولة عظمى ، لا يشعر كثيرا بما تحس به الدول الصغيرة .. رغم ما يدعيه من صداقة الشعوب الصغيرة ، فالشعوب الشابة ، والا فكيف يوجهون الى الرئيس السادات يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٧٣ نداء يطالبون فيه بسداد فوائد الديون العسكرية ؟.. وذلك قبل أن تجف لنا قطرات

الدمع أو الدم أو العرق .. وكأنه كان في امكاننا أن نسدد ذلك من الغنائم الاسرائيلية التي استولينا عليها .. ولكن السوفيت أناس عطيون جداً حريصون على أن يؤكدوا لنا ولغيرنا أننا حاربنا بسلاحهم ، وأننا مديون لهم . وأن موعد السداد قد حان . كأننا انكرنا أننا مديون أو كأننا نسينا موعد سداد الديون . أننا نذكر لهم ذلك ، ونطلب اليوم وطلبنا قبل ذلك : أن نعطي بعض الوقت لسداد هذه الديون . ولكن السوفيت يرفضون ، ويصرون على أن المصانع التي اشتريناها منهم يجب أن يسدد ثمنها من نصف انتاجها .. أي من نصف عرق الاجير المصرى ، عاملاً وفلاحاً ومثقفاً . وأثناء الحرب وفي أتون المعركة رفض السوفيت أن يعطوا مصر وسوريا سلاحاً ، الا بعد أن دفع الرئيس بومدين ثمن السلاح مقدماً .. أي قبل أن يبرح بومدين موسكو .. ولا أعتقد أبداً أن الشعوب السوفيتية الصديقة تعرف شيئاً عن هذه الحقائق . اذ كيف يعرفون ذلك .. فلا حقيقة هناك . فالحقيقة بهذه الصورة التي نشرتها برافدا ، مجردة من الحقيقة . هل الشعب السوفيتي يعرف هذا الاسلوب الذى تستخدمه حكومته ضد مصر وغيرها ؟ أن الشعب السوفيتي لا يعرف الا ما تقوله (الحقيقة) أقصد صحيفة البرافدا .. هل الشعب السوفيتي يعرف كم يقاسي الفلاح والعامل المصرى لكي يدفع لروسيا ١٥٠ مليونا من الدولارات سنوياً ؟. هل تعلم الشعوب السوفيتية أن الحكومة المصرية قد طلبت منذ أربع سنوات ونصف مليون طن قمح ، ولا تزال الحكومة السوفيتية تبحث في هذا الطلب ؟. ونحن لنا عقول ـ الا اذا رأى السوفيت أنهم احتكروا العقول أيضاً . وأن التفكير هو نوع من الترف لا يصح أن نمارسه .. ونحن لا يسعنا أن نتساءل عن معنى هذا كله . أن أقرب المعاني الى رأسي كمصرى وعربي أن الاتحاد السوفيتي يريد أن يؤدبنا كما فعل مع شعوب أخرى كثيرة . فيقوم بتجويعنا من السلاح ، وتجويعنا من الطعام .. ولا بد أن السوفيت يرون أن الشعوب الصغيرة كالافاعي تزحف على بطونها ، على مداتها .. وكما أن التفكير نوع من الترف ، فلابد أن الكرامة أيضاً هي قمة الترف . وعلى ذلك يجب أن نزحف على كرامتنا أيضاً أي يجب أن ندوس على كرامتنا ونمد أيدينا عبر البحرين الابيض والاسود

نطلب من السوفيت أن يجودوا بما جادت به عليهم دول أخرى من أموالها وخبراتها وقمحها ومواردها الخام .. لأننا سلعة تباع وصفقة تشترى . ولكن لماذا يفعل السوفيت كل ذلك معنا ؟. يؤسفني أنني مضطر أن أفكر أيضاً ككل الناس الآدميين في منطقتنا ؟ لماذا ؟. لأن مصر تجرأت وركبت رأسها وانتصرت في حرب أكتوبر . وكان من المفروض ألا تفعل ذلك حتى لو دخل اليهود القاهرة . لأن الذين أعطونا السلاح ، يجب أن ننتظرهم حتى يعطونا الأمر باستخدام السلاح ، فإذا تلقينا الأمر باستخدام السلاح . يجب أن ننتظر حتى يبعثوا الينا بالأهداف .. فإذا جاءت الأهداف تلقينا أمراً بالعدول عن استخدام السلاح .. وبذلك يعمل السوفيت على اقامة تمثال طويل عريض عند مدخل القناة وعند السد العالي اسمه : ٥ يونيو ١٩٦٧ مع أطيب تحيات موسكو والقيادة السوفيتية .. وبذلك تقوم رمال سيناء ورمال الزمن بردم البحر الأحمر تمهيداً لأن يعبره موشي مرة أخرى من سيناء ، كما عبره أول مره من مصر الى سيناء .. وهكذا يحقق السوفيت أغراض أسرائيل في أن تحكم من النيل الى الفرات .. وإلا فما الذى فعله السوفيت لمصر إذا قورن بما فعله الأمريكان لأسرائيل ؟ . أن أمريكا قدمت لأسرائيل منذ وقف أطلاق النار في أكتوبر سنة ١٩٧٣ حتى يومنا هذا في شهرنا هذا في سنتنا هذه خمسة آلاف مليون دولار من الأسلحة المتطورة ، الأكثر تطوراً من الأسلحة الروسية .. ومن أعاجيب السياسة السوفيتية العربية أيضاً ـ إذا جاز لي أن أفكر أيضاً ـ أن روسيا في الوقت الذى تضمن فيه علينا وعلى غيرنا بالسلاح ترميه من غير عقل في ليبيا .. وليس هناك جنود ولا هناك قدرة على أستيعاب السلاح ولا عندهم قضية .. فما هو السبب ؟. هل لأن ليبيا تدفع فوراً ونقداً ؟. هل لأن ليبيا ليست من دول المواجهة فتسليحها لا يقدم ولا يؤخر ؟. هل لأن ليبيا التي اتهمت روسيا بالكفر والالحاد والصهيونية ، قد عدلت عن ذلك سراً لأن روسيا آمنت بالله واليوم الآخر ؟ أم أن ليبيا قد أصبحت سراً دولة أشتراكية ؟.. هل السلاح الذى تكدسه في ليبيا ليس الا ((ترانزيت)) أى أن ليبيا هي أحدى المحطات في طريقه الى دولة ثانية من أجل تخريب

دولة ثالثة .. ورابعة ؟.. وآخر ما عدى من الأسئلة هو : ما هي الحكمة البالغة في أن تبيع روسيا السلاح لكل من العراق والكويت معاً ؟. هل انهما ليستا من دول المواجهة ؟.. هل ترى روسيا أن في أعطاء هاتين الدولتين الشقيقتين نفس السلاح فرصة ليكونوا جميعاً رفاقاً في السلاح تمهيداً لأن تكون بينهما وحدة في الدم الذى سوف يراق على أرض البلدين ؟.. أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ، فقد تدخلت في صميم الشؤون الداخلية لروسيا .. ولكن ليس على النحو اللعين الذى تتدخل به في مصر.. وقد أخرجت ما في صدرى ووضعته على الورق أملاً في أن يقرأه المصريون والعرب وكل الناس ... الا قراء البرافدا ..

((أنيس منصور))

الرئيس السادات

الجليد ... يذوب

بين موسكو والقاهره :

١٨

سافر الرئيس السادات الى امريكا يحمل قلباً مفتوحاً وفكراً واقعياً منطقياً .. وأعطيت له كل الميكروفونات والشاشات الطوله ليشرح قضية مصر والمأساة العربيه ويهيب بالشعب الامريكي الذى اقام حضارته على العدل والتسامح أن يكون منصفاً في نظرته الى اللاجئين الفلسطينيين الذين حرموا حق تقرير المصير والاعتراف بهم من كل الاطراف .. واعلن الرئيس السادات انه لم يأت سائحاً معه قائمه بشراء مايحتاج اليه .. وانما جاء ((عابراً)) المحيط .. وفي نفسه كل ماتحمله كلمة ((العبور)) من مدلولات جديده .. فهو قد سافر عبر جسور الصداقه على محيطات من سوء الفهم والظلم .. جاء يؤكد انه لا توجد صداقة تقليديه مع احد ولا عداوه تقليديه مع أحد .. وانما الصداقه يمكن استئنافها كالعداوه تماماً .. ولكن الصديق ((شخص)) والحليف ((شيء)) آخر ... وهو قد جاء الى امريكا صديقاً ورفض أن يكون لروسيا حليفاً .. وسوف يرفض ذلك وسوف يوصي الاجيال القادمه أن تفعل مثله .. وفي محفل الصهيونيه العالميه في نيويورك أعلن أن الاسلام دين التسامح .. وأن المجتمع العربي لم يعرف الاضطهاد بسبب الدين او اللون وأن هذه المنطقة التي نزلت فيها كل ديانات السماء لم تعرف الحقد الاسود والدماء البريئة الا عندما تسللت اليها الصهيونيه .. وأن هذه الفرصه مواتيه لم يريد أن يحقق السلام وأن جيله الذى عرف اربع حروب يحلم باتفاق سلام مع اسرائيل من بعدنا تختار من ((قاموس التعايش)) ماتراه مناسباً لها .. ولم يفته أن يتجه الى موسكو يستعجل تنفيذ كل مااتفق عليه مع السوفيت .. ولكن موقفهم الثابت هو يطلب وهم يرفضون .. أو هو يطلب السلاح فيعطونه لغيره ويطلب فترة السماح في تسديد الديون .. فيوافقون عليها لغيره .....

((كانت)) رحلتي الى امريكا شيئاً أكبر من مجرد ((عبور)) المحيط الاطلنطي فكلمة عبور أصبح لها ((عبير)) من نوع خاص.. بل انني ارى أن اقامة الجسور من طرف الى طرف.. والتفاهم.. والصداقة.. والتضامن والوحده . كلها مفردات لمعنى واحد هو(العبور)) وتخطي العقبات والتغلب على الصعاب.. والتمهيد لشيء اكبر واهم واعظم وابقى .. وكان عبورنا في اكتوبر ٧٣ اكثر من مد الجسور من ارضنا الى ارضنا في سيناء.. وكان انتصاراً على العائق المائي وعلى العائق النفسي والقومي .. كان عبوراً الى مستقبلنا .. والى اشقائنا العرب .. وكان توحيداً للامة العربيه في ساعات وايام من امجد ماعرفنا في تاريخنا.. ولذلك وجدت أن لعبور الاطلنطي مذاقاً خاصاً.. ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي سافرت فيها الى امريكا فقد سافرت قبل ذلك.. ولكن في هذه المره وجدت أن مهمتي صعبه ولكني سعيد بها فقد رايت أن انقل الى الرأي العام الامريكي قضية مصر والعالم العربي .. وأن اكون انا المتحدث مباشرة... وأن يسمعني ملايين الامريكان .. في المؤتمرات الصحفيه والاحاديث.. التلفزيونيه وفي الامم المتحده ثم في الكونجرس الامريكي ... ذهبت الى امريكا بعد أن اعطيت صورتنا في العالم.. وبعد أن ادرك العالم بوضوح اننا نستطيع أن نحارب وأن ننتصر .. واننا بعد ذلك وقبل ذلك دعاة سلام.. واننا لجأنا الى الحرب عندما لم تنفع كل وسائل السلام.. فاذا انتهت الحرب عدنا الى السلام واذا لم يسفر السلام عن شيء .. فاننا نجدد كراهيتنا للحرب وكراهيتنا لحالة مله راكده اسمها اللاحرب واللاسلم.. اى التي هي حرب عاجله ولا هي سلم آجلة.. وامريكا قاره كبرى.. واناسها مشغولون بقارتهم وقضاياهم.. والذى يعرفونه عن الشرق الاوسط ليس كثيراً.. او يعرفونه من وجهة نظر المسيطرين على اجهزة الاعلام والصحافة وانا لا اطلب شيئاً من امريكا ولا من الشعب الامريكي يتنافى مع الفهم والعدل.. كل ما اطلبه هو أن يفهموا قضيتنا .. وأن يكونوا عادلين في حكمهم على كل شيء والشعب الامريكي قد تذوق الحريه فلسفه واسلوباً في الحياة وفي التجارة .. وسوف يكون حديثي معهم بالعقل .. وليس في جيبي كما اعلنت في امريكا وقبل زيارتها قائمه باسماء المشتريات .. فلا انا سائح ولا انا تاجر وانما انا صاحب قضية عادله

وانا جئت من بلاد هي اعرق بلاد عرفها التاريخ .. فانا قادم من مصر ام الحضارات .. ووراءي تاريخ طويل من النضال والكفاح والعلم والايمان وامامي طريق طويل من الحرص على البقاء وعلى الكرامه صحيح نحن دوله صغيره ولكن كل شيء يهون وهان علينا امام الكرامه وحرية الرأى والارادة الوطنيه وقد اعلنت ذلك في امريكا .. تماما كما اعلنته وانا اتقابل مع السوفيت في اشد الظروف قسوة علينا .. فامام الدول العظمى نحن دوله عظمى بمبادئنا وحرصنا على القيم الاخلاقيه والدينيه والوحده الوطنيه وكرامة الانسان ثم انني اواجه العالم كله بقلب مفتوح وعقل متفتح . فلا صداقتنا للسوفيت تقليديه ولا عداوتنا لامريكا او للغرب تقليديه .. انما نحن اصدقاء لمن يصادقنا او بوضوح اكثر .. لا توجد صداقات دائمه ولا عداوات دائمه .. انما توجد مصالح دائمه .. وهذه هي احدى بديهيات السياسه ولا ادعي انني ابتدعت هذا المعنى السياسي او الاقتصادى او التجارى وانما هي قاعده معروفه ولكن نحن الدول الصغيره اكثر حساسيه من غيرنا من الدول الكبرى ... وفي رحلتي الى امريكا كان تركيزى واضحا على ان اتحدث باسم مصر وباسم العرب عموما دون ان افرض اجتهادى على احد .. وربما كان حديثي عن القضية الفلسطينيه شخصيا وقوميا .. فهو شخص لان القضية الفلسطينيه هي جوهر المشكلة العربيه كلها .. فلا استطيع ان اغفل ذلك لانه واجب وطني .. وهو في نفس الوقت واجب على كل عربي الى ان يصبح الفلسطينيون قادرين على ان يتحدثوا بلسانهم ومنطقهم في مواجهة العالم كله .. ولم اترك مناسبة واحده دون ان اشير الى المشكلة الفلسطينيه منذ اول يوم حتى اخر يوم عندما تحدثت في الكونجرس الامريكي .. ففي اليوم الاول اعلنت ان الشعب الفلسطيني لم ينل الاعتراف الكامل الذى يستحقه من جميع الاطراف .. وان الشعب الفلسطيني قد عانى اشكالا والوانا من العذاب دون ذنب جناه .. وانه مايزال حتى اليوم محروما من تقرير المصير .. وان الفلسطينيين يجب ان يشتركوا معنا كاعضاء اصليين في مؤتمر جنيف .. كما انه لا يوجد مسلم او مسيحي يهدأ باله لحظة واحده اذا تسلطت اسرائيل على مدينة القدس .. بل اذا كان هناك تدويل للقدس فيجب ان يشمل القدس القديمه والقدس الجديده ايضا .. واكدت

للشعب الامريكي ايضاً أن الظلم قائم مادام الشعب الفلسطيني بلا حقوق وأن ..
الشعب الفلسطيني اذا استعاد ارضه وكيانه على النحو الذى يرتضيه ويتفق
مع مبادىء الانسانيه وقرارات الامم المتحده فسوف تكون فلسطين عضواً
قوياً في الاسرة الدوليه وسنداً عظيماً من اجل السلام والتقدم الانساني ....
وتوجهت الى الشعب الامريكي انبهه الى انه اكثر الشعوب فهماً لمعنى أن
يرتبط الانسان بالارض فقد كان هذا الارتباط ولا يزال احدى ركائز الحضارة ...
الامريكية أن الارتباط بالارض يخلق في الانسان تقديساً للروابط الاسريه
والتمسك بالارض والدفاع عن العرض ويجعل التضحيه في ذلك اسمى امانيه .
أن الشعب الفلسطيني معذور اذا تمسك بارضه ومات دونها أن مئات
الالوف من ابناء الشعب الفلسطيني يحيون حياة تتنافى مع كل مبادىء الحضارة
والانسانيه .. أن بقاء هذا الشعب بهذه الصورة الاليمه الحزينه لوصمه
عار متجدده في جبين الانسانيه .. وأن هذه هي الفرصه امام الولايات
المتحده والاسرة الدوليه لتمحو العار بالعدل وهي فرصة يجب الا تفوتنا
والا نفوتها رفعاً للظلم وسبيلاً الى السلام العالمي .. ودعوت الجمعية العامه
للامم المتحده في دورتها الثلاثين أن تقرر أن تكون منظمة التحرير الفلسطينيه
ممثلاً شرعيا لشعب فلسطين في مؤتمر جنيف كعضو مساو لبقية الاعضاء .. وليس
على العالم كله أن يخاف من السلام .. فنحن شعوب لا تعرف الاضطهاد ...
العنصرى او الديني أن تاريخنا وهو معروف يؤكد حبنا للسلام بل أن ديننا
الاسلام معناه السلام .. وما عرفنا التفرقه على اساس من اللون او الدين او المذهب
الديني .. وقد عاش اليهود بيننا فلم يعرفوا الاضطهاد والاحراق والاغراق
الذى عرفوه في اوروبا في كل العصور .. والذى جعلهم يهربون لاجئين الى
امريكا حيث الحرية والمساواة والتسامح الديني .. وحيث ابواب الامل مفتوحه
للجميع .. وهذا مايجعلني ادرك عن ايمان أن امريكا هي اكثر الشعوب قدره
على فهم معنى التسامح الديني ومعنى العدل والحريه .. ومن القضايا التي
ركزت عليها عن عمد : التفرقة بين اليهودى والصهيوني والاسرائيلي فانا اعرف
أن مثل هذه المعاني ليست واضحه عند الاغلبيه الساحقه من الامريكان
المسيحيين .. وقد استرحت تماماً الى كل الذى قلت .. وأن كنت قد

قرأت وسمعت انه ماكان يجب ان أتحدث في نيويورك عن اليهوديه والصهيونيه لكوني لم اقل شيئاً واحداً ندمت عليه .. فهي فرصة لأن اؤكد انني أحترم ديانات الاخرين هكذا علمنا ديننا عندما قال تعالى : ((لكم دينكم ولي دين)).. علمنا القرآن الكريم ورسولنا العظيم أن نتسامح مع الأديان الاخرى.. واعلمت أن اليهود عاشوا بيننا دون خوف من أحد وأمتلكوا الكثير من أرضنا ومقدراتنا دون حقد من أحد .. بل انهم سيطروا على التجاره .. ورويت على سبيل الدعاية كيف انني عندما خرجت من سنوات السجن والاعتقال وعدت الى البيت مرة أخرى وبدأت أرتب بيتي الصغير ذهبت أشترى راديوا من أحد المحلات اليهوديه ولكن صاحب المحل لم يكد يعرف انني ضابط حارب اليهود حتى رفض أن يبيعني هذا الراديو والحادثه صغيره .. ولكن الدلاله كبيره ودلالتها اننا لم نعرف هذا النوع من الحقد ولا من العداوة الصارخه ولا هذا التمييز بين الذى حارب عن أرضه بشرف سعيداً بذلك وبين الذى لم يحارب ويستحق أن يبيعه هذا اليهودى هذه السلعه التافهه .. ولكن عندما جاءت الصهيونيه الى بلادنا عرفنا هذه التفرقة وعرفنا الحقد وعرفنا التآمر الدموى.. وقد أثارت هذه الحادثه الصغيرة غضب الصحف اليهوديه .. بل أن كبيرة مذيعات التلفزيون باربارا ونتر صاحبة أشهر برنامج تلفزيوني معروف قد سألتني عن هذه الواقعه ولمست في سوء الهامعنى الاستنكار أو معنى الدهشه من انني مازال أذكر شيئاً من ذلك حدث منذ ثلاثين عاماً .. أو انني اذا ذكرت ذلك لم أتردد في أن أرويه في نيويورك حيث يعيش نصف يهود أمريكا .. وانتهزت هذه الفرصه لأؤكد لها مرى اخرى انني أقصد هذا معنى وهو أن الحقد والكراهيه والتفرقه والدم قد دخلت المنطقة عندما دخلت الصهيونيه .. ووجدت من المناسب أيضاً أن أقول أن من التعبيرات الشائعة أن من يعادى اليهود يوصف بأنه ((معاد للساميه)) ولكن هذا التعبير لا يخيفنا فنحن ساميون فاليهود هم المعادون للساميه .. لأنه ليس كل يهود اسرائيل ساميين .. أن بشرتهم الشقراء وشعورهم الصفراء وعيونهم الخضراء أو الزرقاء ليست آسيويه ولا افريقيه .. انها أوروبيه فهم ليسوا ساميين.. بل الاغلبيه الساحقه في اسرائيل من الطورانيين السمر أو الصفر أو السود .. أى من الساميين والحاميين .. نسبة الى ولدى نوح سام وحام.. أما الاقلية الحاكمه

في اسرائيل فهي من الهولنديين والروس والالمان والشعوب الاخرى .. ومن المناسب ان اذكر انني قرأت فيما بعد كتابا جيدا من تأليف كاتب يهودي مشهور هو ارثور كيستلر عنوانه ((القبيله الثالثه عشر)) انها قبيلة ضاله او تائهه اهتدى الى انها كانت تعيش بين البحر الاسود وبحر قزوين .. في شمال تركيا الحديثه وجنوب الاتحاد السوفيتي .. هذه القبيلة لاسباب تاريخية غريبه وجدت نفسها بين المسيحيين في الشمال والمسلمين في الجنوب فاعتنق ملكها اليهوديه وتبعه الشعب كله .. وكان هذا الموقف الذى يسميه المؤلف بلغة العصر الحديث ((عدم الانحياز)) اى عدم الانحياز للشمال المسيحي او للجنوب الاسلامي قد افقد هذه القبيلة صداقة الشمال والجنوب .. وتوالى الضغط على القبيله اليهوديه او ((الدوله)) اليهوديه .. وكان لابد ان تنفجر تحت الضغط من جميع الجهات .. وانفجرت ((المملكة)) الصغيره .. وهرب كل هؤلاء اليهود الى اوربا الشرقيه .. ومن هؤلاء الهاربين ولد كل يهود اوربا .. وهذه القبيله الثالثه عشرة هي من جماعة الخزر الذين وصفهم المؤلف اليهودى بقوله انهم حمر الوجوه زرق العيون صفر الشعر .. وهو يؤكد بذلك ان كل يهود اوربا واكثر اليهود ليسوا ساميين .. ويذهب الى ان ليس لهم الحق في ان يطالبوا بالارض التي احتلوها ـ وهذه قضية اخرى ولكن هذا المؤلف اليهودى يرى ان اليهود الاوروبيين او اكثر اليهود ليسوا ساميين .. وانه هو ايضا ليس ساميا فهو مجرى لمساوى المولد بريطاني الجنسيه .. ولكني استطيع ان اقول دون اجتهاد كثير انني سامي وانهم ليسوا كذلك وان احدا لا يستطيع ان يتهمنا بالعداء للساميه ولكن التهمه واقعه لا محاله على اكثر اليهود .. فهم اعداء للساميه والساميين .. وليس ذلك تجنيا على احد وانما هو فقط مناسبة للمراجعه التاريخية .. اى لمن اراد ان يقرأ في التاريخ القريب او البعيد .. وليس هذا سرا لاحد .. وان كان هذا الكتاب ((القبيلة الثالثه عشر)) قد ظهر في لغات كثيرة وانتشر بين الناس ولكن لم يلق مايستحقه من العناية او الحفاوة ولا من العرب ولا من اليهود .. فاليهود نظروا الى مكانة المؤلف العالميه والتزموا السكوت عنه .. فكانت مؤامرة صمت لا يصح ان نشاركهم فيها .. وفي حديث قلت ان النشاط الصهيوني هو الذى ادى الى اغتيال الكونت برنادوت في سبتمبر

سنة ١٩٤٨ .. ربما لانه حاول أن يتقدم بحلول او حاول أن يجد حلا لم يقبله المتعصبون من الصهاينه بل أن اثنين من الارهابيين اليهود قد اغتالا اللورد موين في القاهره .. وفي سنة ١٩٧٥ طالب اليهود بجثتي هذين المجرمين لماذا تمجيدا للدور البطولي الدموى الذى قام به اثنان من متهوسي اليهود .. اى من المؤمنين بالصهيونيه كأسلوب دموى في الاقناع والاغتصاب وهذا ماحرصت على أن أؤكده .. وقد فعلت ذلك في مناسبات عديده فهذا رأيي ويجب أن ينتبه ضمير العالم الى ذلك .. ولا نسيت ولا نسى السوفيت أن يشهروا بهذه الرحله وأن يهتفوا السم في كل مكان لقد مللت من هذا الموقف ولكن لانه موقف فهو ثابت مهما تغيرت الظروف وتعددت نيات التحرك المصرى من أجل السلام .. وقبل ذلك قد هاجموا زيارة نيكسون لمصر .. وقبل نيكسون هاجموا واستنكروا مجئ كيسنجر والمعنى واحد : هو أن شيئا مايجرى في مصر ومن أجلها ومن أجل السلام لم نستأذن فيه القيادة السوفيتيه ولن أفعل .. وهاجموا زيارتي لأمريكا وقالوا .. باع نفسه .. باع مصر .. ذهب يملأ جيوبه ويشترى .. مع أنني اعلنت في مطار القاهره قبل سفرى أنني متجه الى أمريكا أعرض قضيتي وانني لست في نزهه ولا رحله استجمام وأنني ذاهب لاعرض فكرى وأسلوبي في العمل وأن اكون قريبا الى الرأى العام الامريكي .. وأن أراه ويراني وأنا افكر على مسمع منه وأن ابين مدى صدقي ومدى حرصي .. وأن أطمئن الشعب المصرى والعربي والامريكي ايضا على الخطوات التي اتخذناها .. ولم اتردد لحظة واحد في أن أؤكد ذلك ماأستطعت اليه سبيلا .. وكان لابد أن أوضح أن العلاقات السوفيتيه المصريه قد ساءت وتزداد سوءا .. وربما لم يكن ذلك سرا عند السياسين وأن كان كذلك عند عامة الناس .. فروسيا لم تعطني سلاحا بعد الحرب وأمريكا أعطت اسرائيل كل شيء وتعطيها وملتزمه بأن تعطيها الرغيف والدولار والصاروخ .. وليس عندى اى أمل في أن تكف أمريكا عن ذلك فانا رجل واقعي واعرف الحد الفاصل بين الممكن والمستحيل فيما أطلبه من أمريكا وانا لا أطلب أكثر من التفاهم والعدل .. بينما أعطت روسيا لسوريا الشقيقه كل ماقدمته في الحرب وزياده .. وطلبت من روسيا أن تؤجل الديون او تقوم بجدولتها مع أعطائي سنوات سماح .. اى للراحه بعض الوقت من هذه الديون لعل

أستطيع أن أتوجه الى التنمية الاقتصاديه في بلادى .. ولكنها لم تفعل بينما سمحت بالسلاح لغيرنا .. والخلاصه التي وجدت نفسي وشعبي في وضع غريب : عندما أطلب منها تعويض السلاح توافق على أن تعطيه لغيرى ... وعندما أطلب منها جدولة الديون توافق على أن تسمح بذلك لغيرى .. (وسوف يضيف الاتحاد السوفيتي بعداً وعمقاً غريباً عندما أتعرض فيما بعد لموقف السوفيت في المنطقة كلها والدول المحيطه بمصر).. وبعد انتخابي رئيساً للجمهوريه سافرت الى موسكو أربع مرات ولم يزرني برجنيف مرة واحده فقد وعد وعدل عن ذلك ولن أزور موسكو الا اذا زارني .. وهذا منطقي جداً صحيح أننا دوله صغيرة بحدودنا ولكننا دوله عظمى بكبريائنا .. وهذه العبارة الصغيرة يصعب فهمها على بعض الدول الكبرى أو الدول العظمى .. وكان الشعور السائد قبل وأثناء زيارتي لأمريكا التي جئت أطلب السلاح ... وقد سئلت أن كان السلاح الذى ((سوف)) آخذه من أمريكا لن أستخدمه ضد أسرائيل .. وهل أتعهد بذلك .. ولم أكن في حاجة الى أن أطيل في التدليل على حق في الدفاع عن النفس بأى سلاح من أى نوع .. ولا حتى أن أشير الى المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحده التي تعطي لكل دوله حق الدفاع عن نفسها .. فأنا لم أذهب الى أمريكا لشراء سلاح واعرف ماالذى تستطيع أمريكا أن تفعله معى ومع غيرى وخصوصاً أسرائيل .. وكان لابد أن يواجهني هذا السؤال بشكل ما : أن كنت على أستعداد للسلام مع أسرائيل ؟ .. وماشكله ؟ .. ولما ليس الآن ومباشرة ؟. لقد واجهني هذا السؤال كثيراً من الصحفيين العاملين الذين يزورونني وكذلك من رجال الكونجرس الأمريكان ومن رجال الاعمال .. فهم جميعاً يريدون أن يعرفوا وفي نفس الوقت يريدون أن يرشدهم أو يبصرهم أحد بذلك حتى اذا عادوا الى بلادهم وجدوا مايقولون .. وقد أكدت كما فعلت قبل ذلك مراراً أنني على أستعداد لاتفاق سلام مع أسرائيل وقد أعلنت ذلك سنة ١٩٧١ وقبل حرب أكتوبر وفي أعقاب حرب الاستنزاف .. أما بالنسبة لاقامة علاقات اقتصاديه وسياسية مع أسرائيل فهذا يتجاوز قدره الجيل الذى أنتسب اليه .. وأن هذا الأمر متروك للأجيال القادمه تقرر ماتراه .. أما جيل الذى خاض أربع حروب في عشرين عاماً مليئة بالمرارة والكراهيه والحزن والدموع والدماء والجرحى

والأسرى والأشلاء والمشوهين فصعب علينا جداً أن نزيل في لحظة واحده هذه الجبال المتراكمه من الداوه .. صعب علينا ويستحيل أن يطالبنا أحد بذلك دون أن ننظر اليه بكثير من السخريه .. لماذا ؟ .. لأنه يستخف بمشاعرنا الأليمه العميقه .. فمن الضروري أن ننتهي أولاً من حالة التداوه الرسميه أو العدوان المسلح رسمياً ويحلم الأسرة الدوليه كلها .. ويجب أن نجد وسيلة للسلام .. أي نوع من السلام القائم على العدل بضمان من الدول الكبرى أو الدول العظمى أو مجلس الأمن أو الأمم المتحده .. أن حاجة جيلنا الى الراحه لا حدود لها .. فقد تعب جيلنا كثيراً ويحلم بسنوات من التقاط الانفاس .....

ولنترك لأجيال من بعدنا أن تلتقط من قاموسها المعنى الذى ترتضيه للسلام والانفتاح والعفو عن الذى سلف من خطايا الجميع .. وفي مواجهة الأمم المتحده والعالم كله أعلنت أن مصر لم تفقد حماسها للسلام وايمانها به ... فالسلام هذه استراتيجي .. ومن أجل ذلك قررت فتح قناة السويس تعبيراً عملياً عن حرصنا على السلام وعلى استمرار التجاره والتبادل بين الشعوب وتخفيف الاعباء الواقعه على أصدقائنا الذين وقفوا معنا في أشد الأزمات وبالاضافة الى فتح القناة أعلنت أنني ماضي في تعمير مدن القناة واعادة شعبها الذى هجرها هرباً من النار والدمار الذى ألقاه العدو علينا .. وتوجهت الى الادارة الأمريكية اى الى حكومة الرئيس فورد وأثنيت على الجهود التي بذلها وزير خارجيته د .. كيسنجر فلم أجد صورة حقيقية للولايات المتحده الا بعد أن قابلت كيسنجر وتعاملت معه .. وكان هذا التعامل نقطة تحول في الصراع المستمر في الشرق الأوسط واستطعنا معاً أن نخلق الثقه والشعور بالمسؤولية فقد حطمنا الجليد وتجاوزناه الى الأمام نحو السلام وانا فخور بعلاقتي بكيسنجر ففي فترة قصيرة جداً استطعنا أن نحقق مالم يتحقق خلال جيل كامل .. ولكن هذا لا يعني أن أقرر أن الطريق مايزال طويلاً ولذلك يجب الا نهدأ أو نسكن وانما يجب أن نحفز أنفسنا من حين الى حين ليس فقط الى ((هز)) الموقف أو الى ((تحريكه)) وانما الى دفعه بقوة واعيه الى الأمام .. ولا أنتكس الموقف كله وتجمد .. وفي ذلك تثبيت لأوضاع خاطئه فاذا استطعنا تجددت الرغبه في القتال .. ولا سلام في الشرق الأوسط ولا في العالم بعد ذلك .. وباسم

السلام العالمي يجب الا نضيع هذه الفرص المتاحه والظروف الدوليه المواتيه ٠
وكانت سعادتي بالغه للتفهم الواضح الذى ابداه الكونجرس الامريكي للكلمة التي القيتها والتي اوضحت فيها قضيتنا واوضحت فيها مسؤولية امريكا وساستها ومشرعيها ورايها العام ٠٠ ووجدت في تصفيقهم الطويل لكلماتي اعترافا مدويا بعدالة ما اعتنقه من اجل السلام العالمي واكدت للكونجرس انني لم احضر سعيا او طلبا لوعود او تعهدات بل جئت امد له ولكل ابناء الولايات المتحده يد الصداقة والتفاهم المتبادل وانني جئت كصديق لا كحليف كالصديق يقول اى له حريه ان يواخذ صديقه على الخطا اذا ارتكبه وعلى العناد اذا تشبث به وليس من ذلك شيء عند الحليف الذى هو ظل ليس له راى ولا حرية ولا ارادة ولا حق له في ان يوجه لوما او عتبا لاحد ٠٠ واكدت للكونجرس اننا نحن العرب ليست لدينا مشكلة التعايش مع الاخرين ممن يختلفون معنا في الدين وتاريخنا كله مفتوح امام الجميع فما عرفنا الاضطهاد للاخرين دينا او عنصرا ومن الواجب ان نغتنم هذه الفرصه وكل فرصه من اجل العبور من هنا الى الشعوب العربيه ٠٠ من اجل بناء الجسور عبر سوء الفهم والتحيز والظلم ٠٠٠ يجب ان نجعل الصداقة جسورنا والتفاهم معابرنا من اجل الخير والعدل ٠٠ حتى ياتي اليوم الذى تحول فيه السيوف التي تطيح بالرقاب الى فئوس تمهد لبذور الخير والمحبه وحتى تتحول الرماح التي توجع القلب الى مناجل تحصد ثمار ما غرسناه ٠٠ وليس ذلك ببعيد اذا صدقت النيات ووضحت الاهداف وزالت سحابات سوء الفهم بين الجميع ٠٠ وعندما سافرت الى بريطانيا اوضحت انني اريد شراء سلاح وغضب السوفيت طبعا ٠٠ والذى اغضبهم اكثر ليس السلاح وانما انني اعلنت ضرورة ((تنويع)) مصادر السلاح ٠٠ اى حتى لا يكون الاتحاد السوفيتي هو الينبوع الاوحد للسلاح ٠٠ فاذا كان الينبوع الاوحد لذلك فهو ايضا الينبوع الاوحد للتسلط علينا ٠٠ لان معناه ان يكون المدفع عندنا والذخيرة عندهم ٠٠ او يكون المدفع والذخيره عندنا وقطع الغيار عندهم وهكذا نجد انفسنا ـ كما حدث ـ مربوطين بخيط اوله في موسكو واخره في القاهره وقد رفضت ذلك ٠٠ ورفضوا رفض !!! ٠٠٠ وهذا جوهر الخلاف المستمر بيننا وبعض الاسئلة التي لم يجد اصحابها وقتا ليوجهوها الي في امريكا استوقفت في لندن

فسئلت أن كانت أسرائيل سوف تثق بنا بعد كل الذى حدث بيننا ؟ ٠٠ وكان جوابي كيف تثق بأسرائيل بعد ماحدث أيضاً ٠٠ وبعد أن أعلن الكنيست ضم سيناء رسمياً بعد العدوان الثلاثي علينا في سنة ١٩٥٦ ٠٠ وفي بريطانيا شكرت مستر هارولد ويلسون على موقفه من فك الاشتباك فقد علمت من د ٠٠ كيسنجر أن ويلسون بصلاته القويه مع جولدا مائير قد بذل جهوداً صادقه أدت في النهاية الى ((تلبين)) التعنت الاسرائيلي ٠٠ انتهت سنة ١٩٧٥ ٠٠ وكنت أظن مقدماً أن سنة ٩٧٦ هي سنة ميته تماماً وأن محاولة أحياء هذه الجثه الهامده هي نوع من النفخ في الرماد ٠٠ فهذه السنه هي سنة الانتخابات الامريكيه وفي هذه السنه استأنفت تحسين العلاقات بيننا وبين السوفيت فليست لي مصلحه شخصيه أو وطنيه أو قوميه في مسحادات دولة عظمى أو دوله كبرى ومضيت أحاول وتعرضت كما حدث في كل مرة الى الموازنه بين حدود الاحتمال وحدود الكرامه ٠٠ أو بين حدود المرونه السياسيه والحرية الوطنيه ٠٠ أو بين الذى يجب أن يفعله الانسان باسم السياسه ويرفضه باسم الاخلاق ٠٠ أو بين أن أشير الى ضرورة فتح صفحة جديده وبين نسيان الماضي ٠٠ وفي أواخر سنة ١٩٧٥ كانت حاجتنا الى قطع الغيار شديدة جداً وليس هذا سراً فمعروف للعالم معدل استهلاك الطائرات لقطع الغيار ورفضت روسيا أن تعطينا قطع غيار الطائرات ميج (٢١) وكنا في حاجة الى أجراء (عمرة) لهذه الطائرات على أن تكون هذه العمره في مصر وليست في موسكو ٠٠ وقد كان البند الاول من البنود السبعه التي أرسلتها الى برجنيف : أجراء عمرة الطائرات الميج (٢١) ٠٠ واتجهت الى صديقتنا الهند أحدى الدول الثلاث التي قام عليها العالم الثالث الهند ويوغوسلافيا ومصر ٠٠ فالهند تقوم بتصنيع هذه الطائرات بمقتضى اتفاق بينها وبين السوفيت ٠٠ وكل ماكان يخطر على بالي في ذلك الوقت هو أن سنوات القرارات قد انتهت وأن سنة ١٩٧٦ سوف تمضي هادئه وخصوصاً أن ولايتي للرياسه سوف تنتهي يوم ١٥ اكتوبر سنة ١٩٧٦ وربما استطعنا في هذه السنه أن نحسن العلاقات بيننا وبين السوفيت أو بيننا وبين الامريكان وبالنسبة للأمريكان فالموقف مختلف وهم معذورون فانتخاباتهم وحملاتها العنيفة قد بدأت قبل ذلك بسنتين ٠٠ أما مع الروس فيمكن أن تصبح علاقات ((عاديه)) من المنطلق

الذى لم أتعب من ترديده وهو احترام إرادتنا في اتخاذ القرار .. ولم يستجب الروس ولكن جاءت الاستجابة في مارس سنة ١٩٧٦ عندما أعلنت الهند أنها استأذنت الاتحاد السوفيتي مرة بعد مرة .. ولكن في جميع المرات رفض الاتحاد السوفيتي أن تساعدنا الهند في إجراء صرة للموتورات أو بيع قطع الغيار من أى نوع !!!!!

.....

الرئيس السادات

الجليد .. يذوب

بين موسكو والقاهرة :

١٩

انتهت التسهيلات للأسطول السوفيتي ومدات التعقيدات والموءامرات على مصر ..

وجد الرئيس السادات أن رفض الهند ، وهي الصديقه لأجراء عمرة للطائرات المصريه ، قرار أعمق بكثير جداً مما يبدو .. فمعنى ذلك أن الهند لم تعد قادره على أن تكون صديقه .. ووجد أيضاً أن الاتحاد السوفيتي راح يضيق الخناق على مصر ويفرض عليها حصاراً عسكرياً .. فلا هو يعطيها سلاحاً ، ولا يريد ، ولن يعطيها .. ولا هو يريد دولاً أخرى مهما كانت صديقه أن تفعل شيئاً من ذلك . وفي نفس الوقت هناك معاهده تربط مصر وروسيا برباط الصداقه والتعاون في تنمية القوى القتاليه للجيش المصرى ليصبح قادراً على أن يحرر الأرض .

ولكن هذا الموقف هو تعويق لنمو مصر أو وقف لنموها وتحويل مطاراتها الى متاحف للطائرات ، وتحويل جنودها الأبطال الى زوار لمقابر الطائرات السوفيتيه التي لم تعد قادره على الحركه ، لأن الروس أرادوا لها ذلك .. وكان طبيعياً أن يتساءل الرئيس السادات عن هذه المعاهده التي وقعها الشعب المصرى موغماً أو وقعها فقط ايمانا بحسن تقدير الرئيس السادات للأمور .. ثم جاء الرئيس السادات وعرضها على مجلس الشعب ليقرر الغاءها ، فقرر ذلك بمنتهى الحفاوة والفرحه الأصوتين .. وكان امتناع صوتين من التصويت حدثاً هاماً أيضاً لأنه أصبح من الممكن ومن الضرورى أن يقول أحد : لا .. وهو أمن على عمله وعلى بيته . حتى هذا الجو الديمقراطي الذى يلغ أوجه بعودة الأحزاب السياسيه . لم

يضعه السوفيت تحت كلمة ((الديمقراطيه)) .. فالديمقراطيه لها معنى آخر في قواميس الروس .. ولم يكن من الضروري أن نستعير قواميسهم ونظرتهم وأرادتهم لنكون ديمقراطيين على الصوره التي يريدونها .. واتسعت الفجوه .. وكان طبيعيا أن يحدث ذلك .. فعندنا قيم أخلاقيه ودينيه ونحن حريصون عليها ، وأن كانت هذه جميعا كلمات ليست وارده في قاموس العلاقات الماديه أو ((التفسيرات الماديه للتاريخ)) - وهي كلمات (السر) في الطريق الى نجاح أية صلة مع السوفيت .. وانتهت مع المعاهده تلك ((التسهيلات)) الممنوحه للأسطول السوفيتي في مرسى مطروح والأسكندريه وبدأت ((التعقيدات)) و ((الصعوبات)) و ((التربصات)) بمصر ..

وماحدث في يومي ١٨ و ١٩ يناير ليس الا ((بروفه)) فاضحة لذلك ومفضوحه أيضا .. واذا كانت مصر قد رفضت أن تعطي للروس مكانا يرفعون عليه أعلامهم ، فقد رفضت ذلك وبكل نفس رضيه أبيه .. فجاءت الأعلام السوفيتيه في ليبيا ، علامات استفهام .. علينا أن نتدبرها ، لأن الأمر خطير جدا

•• صدمـــة •• كانت صدمه أن اعتذرت الهند عن عدم اجراء عمـــرة للطائرات ميج ٢١ التي تنتجها بالاتفاق مع الاتحاد السوفيتي • فلم اكن اتصور أن الذى بيننا وبين الهند من علاقات عميقه منذ ايام نهرو العظيم • سيتغير بهذه الصوره الغريبه العجيبه •• لقد فوجئت بأن الارض السهله التي بيننا ليست الا ارضا ملبـــو مـــــه •• وأن شعبنا قد اصطدم باحد جبال الجليد •• اذن فالموقف اخطر بكثير جدا من مجرد أن تعتذر الهند •• او تجد الهند نفسها مضطرة الى الاعتذار •• او أن يدا اكبر قد امسكت يد الهند ورفعتها في الهواء لتقول لمصر لا •• وانا افهم أن يفعل الاتحاد السوفيتي ذلك • وأن تمشي وراءه دول الكتلـــة الشيوعيه • هذا اعرفه واتوقعه • وطبيعي • ولكن أن تفعل الهند ذلك ، فهذه اضافه جديده سيئه • ومعنى ذلك أن السوفيت قد اقاموا حصارا عسكريا حول مصر • أن كوريا الشماليه وهي دولة شيوعيه ، قد ساعدتنا • وزعيمها كيم ايـــل سونـــج رجل عظيم وقد فعل لبلاده الكثير • وقد رأيت كوريا الشماليه سنة ١٩٦٦ • واشهد أن الذى حققته كوريا يعتبر من الانجازات السياسيه ومن معجزات العصـــر كيم ايل سونج شيوعي ولكن ليس من طراز زعماء الكتله الشرقيه الاوروبيه •

• اما الهند وهي ليست شيوعيه ولا من دول الكتلة الشرقية ، فقد فعلت شيئا عجيبا لا يخطر على البال •• رغم العلاقات القويه والمواقف النضاليه المتناصقـــه بين مصر والهند ويوغوسلافيا : ذلك المثلث الذى قامت عليه كتلة عدم الانحيـــاز كما أن هناك اتفاقات اقتصاديه وصناعيه تربط بيننا ، وبذلك يكمل الواحد منا الاخر ولكن ذلك كله لم ينفع ولم يشفع ولتتـــــخذ الهند موقفا آخر غير الذى اتخذتـــه ، ثم أن بيننا وبين الهند علاقات خاصه منذ ايام نهرو ، ولنا موقف معروف ايام احداث مستعمرة ((جوا)) البرتغاليه الواقعه في الارض الهنديه •• وموقف الهنـــــد مختلف تماما عن موقفنا نحن في مصر • لاننا في مصر نرى أن الاسلحه اذا اشتريناها ودخلت ارضنا فنحن احرار في استخدامها على النحو الذى تمليه مصالحنـــا العليا •• والا كان معنى ذلك أن هذه الاسلحه ليست في ايدينا •• وانما الاسلحه عندنا وفي ايدينا ولكن توجيهها يقوم به الاخرون •• وهذا ما اسميه ((خـرق الاستقلال)) المصرى •• وقد رفضت ذلك ، كما ذكرت كثيرا ، وسوف ارفضه مادمـت

حياً .. وأنا على يقين من أن أجيالنا القادمه المخلصه سوف تفعل ذلك ..
لقد جاء هذا الحادث الهندى العجيب فأحسست أنه قد غير معالم الطريق أمامي وتحت قدمي .. تماماً كما يحدث في السكك الحديد أن يفاجأ ركاب القطار بأن القضبان قد تحولت تحت عجلاتها .. ليذهب القطار الى وجهة أخرى غير التي يريدها السائق . ولذلك كان لابد أن أتدبر الموقف وأتدارك ما سوف يحدث حتى لا يحدث ..

***

فنظرة واحدة الى الطريق ورائي أجد أن سنوات ولايتي قد كانت لها علامات مميزه : ففي سنة ١٩٧١ قد صفيت مراكز القوى . وفي سنة ١٩٧٢ أصدرت قرار طرد الخبراء الروس . وفي سنة ١٩٧٣ كانت معركه أكتوبر المجيده . وكانت هذه المعركه ضد الارادة السوفيتيه والأمريكيه معا . وفي سنة ١٩٧٤ كان الانفتاح الاقتصادى وانفتاح قناة السويس .. كل ذلك وغيره كان يمشي أو يجرى متوازياً مع اعادة الديمقراطيه السليمه واعادة بناء مصر اقتصادياً .. وفي سنة ١٩٧٥ و ١٩٧٦ كان ترتيب بيتنا من الداخل عملاً مستمراً . ورأيت أنه من العدل والانصاف للحقيقه وللتاريخ أن أروى قصة حياتي .. أو قصة ذلك المصرى الذى جاء من القريه وتدرج في كفاحه حتى تسلم شرف المسؤليـة الكبرى وتوجيه مصير الأمة المصريه العظيمه . ولذلك سجلت على أشرطة قصة حياتي منذ كنت طفلاً حتى نهاية ١٩٧٥ . وكان الدافع الحقيقي لذلك أن أضع أمام الشعب وأمام الباحثين معلومات من الدرجه الأولى ، وأن أطلعهم على سير الأحداث بمنتهى الصدق والأمانة .. فأنا لست شاهداً على تطورات العصر ، وانما ساهمت فيها وحملت مسؤليتها وانفردت بهمومها وأعبائها وأشركت معى الكثيرين .. ثم جئت أروى ذلك .. وحسبى الله ونعم الوكيل في كل ما قلت وكل ما فعلت . فلم يكن ، ولن يكون لي هدف سوى مصر وحب مصر والاخلاص لها حتى الموت . والأعمار بيد الله . ولذلك قررت أن أسجل الأحداث من وجهة نظرى .. وكان ذلك هو قرارى سنة ١٩٧٥ . وسجلت حياتي على أربعين شريطاً . فملأت وجهي هذه الأشرطه .. وكان الدافع الى ذلك أيضاً أنني وجدت أقلاماً قد تناولت التاريخ وراحت تنهشه وتلويه لحسابها الخاص . كأن شهود تاريخ مصر قد ماتوا جميعاً . وكان التاريخ قد احتكرته بعض

الاقلام تويه على هواها ، وتضيف وتخترع الكثير من الوقائع التي ليس لهـا اساس من الصدق او من الحقيقه • وكم ضاعت حقائق بسبب سكوت الذين يعرفـون ولذلك قررت أن اقول وأن اترك ما أقوله للمورخين والمحللين بعد ذلك • على انه اذا جاءت سنة ١٩٧٦ تنتهي ولا يتي ، ولم يكن في نيتي أن أجدد الولايـة •• لولا هذا ((الاختراق لاستقلال مصر)) ـ اى لولا هذا الموقف الذى اتخذتـه الهند بضغط شديد من الاتحاد السوفيتي •

وموقف الاتحاد السوفيتي من ((غمرة)) الطائرات معناه : أن الاتحـاد السوفيتي يريد لهذه الطائرات أن تصبح خردة •• لأن الطائرات التي لا تقـوم باجراء عمرة لها لابد من ركنها • فاذا حدث ذلك يجب أن نحذفها من قوتنا ••

فلم تعد لها اية اهمية قتالية • كأنها طائرات قد ضربها العدو فسقطت على الارض لاحراك فيها : •••

• وبذلك يكـون الاتحاد السوفيتي قد اكمل طوق الحصار العسكرى والاقتصادى على مصـر • والمخـرج الوحيد هو أن اذهب اليهم راكعا • اطلب العفـو والصفـح • ولكنني لم اركع ولن اركـع الا الله وحـده : ثم حدث فـي مؤتمـر الحزب الشيوعي الذى انعقد فـي فبراير ١٩٧٦ أن امتدح برجنيـف الهند وهاجـم مصـر •• وهـذا موقـف غريب •• فما قالـه برجنيـف : أن بعض الانظمة والمنظمات السياسيه التي اعلنت اهدافها الاشتراكيـة والتي انجزت تحولات تقدميـه ، هذه الانظمة قد فوجئت بضغط شديد مـن الرجعيـة الداخليـة والخارجيـة ، وأن الحملة الاخيره التي شنتها الاوساط اليمينيـة على حكومة انديرا غاندى • ومحاولات نسف الانجازات الاجتماعيه والسياسيه للثوره المصريـة هما مثالان على هذا التطور لهذه الاحداث ••

والملاحظ أن الصياغه التي اوردها برجنيف تمثـل منعطفا خطيرا جـدا في السياسية السوفيتيه ـ فهو يؤيد حكومة الهند ويدعمها • وفي نفس الوقت لا يقـول شيئا من ذلك عن مصر • بل انه يحاول أن يفصل بين انجازات الثوره المصريـة ونظام الحكم القائـم فـي مصـر • وهـو بذلـك يتجاهـل أن هـذا

النظام القائم هو الاستمرار الشرعي والطبيعي للثوره المصريه. وهذا هو الخطأ العميق الذى وقع فيه السوفيت في علاقتهم بنا ويؤكد لنا معارضتهم التامه للتحولات التي انجزتها مصر اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا. اى ما نسميه نحن - نحن احرار في هذه التسميه - بسياسة الانفتاح التي كان من بينها انفتاح قناة السويس لصالح الملاحه لكل الدول وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي وسياسة الانفتاح التي يعارضها السوفيت قد بدأناها سنة ١٩٧٤ بعد فض الاشتباك الاول . وقد اعدت لدى مجلس الشعب ذلك الخطاب الذى كتبه سامي شرف يستعطفني فيه ويقرر بخط يده انه في سنة ١٩٧١ قد قابل برجنيف في موسكو . وانا الذى ارسلت سامي شرف في مهمة خاصه .. فقال له برجنيف ان السادات يقوم بتصفية ثورة جمال عبد الناصر ؟ وقد طلبت من المدعي الاشتراكي انه لا داعي لان يعلن هذا الجزء من الخطاب ولا داعي لاعلانه واطلاع المحامين عليه. حفاظا على التحقيق وعلى مسار الثوره المصريه...

واذا كان برجنيف يهاجم سياسة الانفتاح في سنة ١٩٧٦ امام العالم كله. فان الحقيقه هي ان الذى يحدث في مصر لا يعجبه ولا يروقه من اوله لآخره ومصر لا تعجبه لان هناك ترتيبا آخر ولان هناك تدبيرا آخر .. او استعداد ومخططا سوفيتيا لقلب الاوضاع في مصر لتحقيق الانجازات والتحولات التي تعجبهم وعن طريق العملاء المتعمدين عندهم .. والروس قد استبقوا سامي شرف بضعة ايام بعد ان عاد الوفد المرافق له الى القاهرة. ويكفي ان نقرأ ما جاء في الكتاب المعروف باسم (ك.ج.ب) ومعناها : لجنة الامن القومي .. اى البوليس السرى الروسي . ولهذا الكتاب الذى الفه جون بارون عنوان فرعي آخر هو : اعمال عملاء السوفيت السريين. وفي صفحة ٥٣ يتحدث الكتاب عن سامي شرف عميل السوفيت في مصر وعن غيره ايضا وفي استطاعته اى باحث في التاريخ ان يعود الى هذا الكتاب . ثم ان السوفيت يتباكون على جمال عبد الناصر .. وهذا الرجل الذى يرتدون قميصه حبا له وتخليدا لذكراه .. ما الذى عملوه من اجله ؟ . لا اريد ان اذهب الى بعيد .. وانما سأكتفي بان اشير الى ما راه ملايين المصريين والعرب.

يوم قرر جمال عبد الناصر أن يتنازل . لقد رأى الملايين أن جمال عبد الناصر أثناء القاء كلمة التنازل . توقف لحظة ثم نظر الى اليسار . ففي ذلك الوقت جاءته رساله من القادة السوفيت تطلب اليه الا يستقيل . وأنهم على أستعداد لأن يحققوا له مطالبه ولكن جمال عبد الناصر لم يتوقف عن القاء كلمته . وأرسلوا لجمال عبد الناصر بعض السلاح وكانت حاجته الى السلاح أكثر وأشد لكي يقيم الخط الدفاعي بسرعه على الضفه الغربيه للقناة . وأرسل لهم في يوليو ١٩٦٧ يطلب المزيد .. بدأت سلسلة الكلمات التي يرددونها التي نعرفها حتى مللت ذكرها : أنتظروا .. حالا . سوف تجيء لكم الأسلحه .. وقد رويت كيف أن جمال عبد الناصر فقد أعصابه في الأسكندريه أمام الرئيس تيتو وقد رويت ووصفت ذلك في صفحات سابقه .. وظل الاتحاد السوفيتي على موقفه الذى أصبح واضحاً تماماً في كل هذه الأوراق والتي أسجلها للتاريخ لتكون عبرة للأجيال . وأحقاقاً للحق . وفرصه مناسبه جداً لأن يرد عليها أويفندها أحد أن أستطاع .. أعود فأقول أن الحصار المضروب حولنا يتنافى مع الماده ٨ من المعاهده السوفيتيه المصريه التي عقدناها في سنة ١٩٧١ بناء على طلبهم هم . والحاحهم هم . وهذه الماده تقول : أن الاتحاد السوفيتي يتعهد بأن ينمي القوه القتاليه للقوات المسلحه المصريه لتحرير الأرض ..

أذن كيف يتفق هذا الموقف الهندى الأخير مع تنمية القوات القتاليه لمصر ؟ .

وأذا لم يكن هذا تمويقاً لنمو قواتنا فماذا نسميه ؟

بل أذا لم يكن هذا شللاً لها وتعطيلاً وتحويلاً لطائراتنا الى أكوام من الحديد فماذا نسميه ؟ . بينما نعطي للسوفيت تسهيلات عسكريه خطيره .

صحيح أن هذه التسهيلات ممنوحه لهم منذ أيام جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٨ . وكانت مدة هذه التسهيلات خمس سنوات تنتهي سنة ١٩٧٣ ولكن مع أول خلاف بيني وبينهم بعد طرد الخبراء في يوليو ١٩٧٣ كان من الضرورى في ديسمبر ١٩٧٣ أما أن نجددها وأما أن نلغيها ... لأن الاتفاق ينص على اتخاذ مثل هذا القرار قبل أن ينتهي بثلاثة شهور في مارس سنة ١٩٧٤ ..

وفي ذلك الوقت كان الروس قد خرجوا منذ ستة شهور . ومعركة الخبراء السوفيت هذه لم يستوعبها الروس كما يجب . أو كما تمنيت . وقالوا وتردد أصداء كثيره لما قالوا : انني طعنتهم من الخلف .. انني بعتهم للأمريكان .. وبعت مصر كلها للأمريكان .. وانني صفيت الثوره .. وانني شاهد على نهاية جمال عبد الناصر .. الخ .. ولكن من العدل أن اقول انه على الرغم من الخلاف الشديد الذى بلغ قمة توهجه أو قاع جموده في ديسمبر سنة ١٩٧٤ طلبت من المشير أحمد اسماعيل الله يرحمه . أن يستدعي السفير السوفيتي . واستدعاه . وقال له : الاتفاق ينتهي في مارس ١٩٧٤ .

قال السفير : أعرف ذلك .

قال المشير : لقد قررنا تجديده خمس سنوات أخرى .. وكان هذا القرار مفاجأة للسوفيت تماما . وكان في ذهني أن السوفيت قد وقفوا الى جانبنا في محنة ١٩٦٧ وانه اذا كان هناك سوء فهم بسبب طرد الخبراء فالزمن كفيل بعودة العلاقات .. وهدوء الغبار ونقاء الجو بيننا . ولا داعي للاستعجال . ولابد من الصبر . وانا رجل صبور . ويقول الناس : انني صبور جدا . واعترف الآن . وقد قلت ذلك مرارا . أن تجديد هذه المعاهدة كان بناء على طلبي انا . وكان من منطلق لا يفهمه السوفيت .. فانا رجل ذو مبادىء . ونحن نذكر بالامتنان كل من ساعدنا وكل من وقف الى جوارنا . وأن لنا قيما روحيه . وأن لنا تاريخا دينيا وحضاريا طويلا عريضا . وانا اعلم أن مثل هذه الكلمات والمعاني لا هي كلمات ولا لها معنى عندهم .. ولكنني اتوجه بكلامي الى ابناء شعبي وابناء امتنا العربيه فهم مثلي . يؤمنون بالله والقيم الاخلاقيه . ويفهمون معنى الاخوه والصداقه والامتنان .. وفي ذلك الوقت حدث في مصر الكثير من البلبله .. وقال المزايدون وقال اعوانهم وذنبوهم وعملاؤهم أن مصر راحت وضاعت وأن احدا لا يستطيع أن يستعيدها او يستردها . واذا استعادها فلن يستطيع يضعها على الطريق الصحيح ..

يعني لقد أعلنوا من جانبهم نهاية العالم . وأن الأرض قد انشقت من تحت مصر وابتلعتها بكل انجازاتها . وهي هلوسه لابد أنها تنفع الذين سوف يكتبون قصة مصر أو سوف يعالجون العقد النفسيه التي تحكم عقول المرجفين والمتشككين والرافضين لكل الانجازات الايجابيه التي حققها شعب مصر رغم الضغوط العنيفه عليه من الداخل ومن الخارج .. ونسى الروس انني يوم عقد هذه المعاهده لم يكن ليوافق عليها أحد لولا .. أى لولا انني طلبت الى الشعب ذلك ولولا هذه الثقه الهائله في حسن تقديرى للأمور . وهذا من فضل الله . وقد قبلها الشعب على مضض . ثم أعلنت أن هذه المعاهدة ليست الا قصاصة ورق . وكنت انظر الى هذه المعاهده على أنها عهد وميثاق وكلمات شرف . ولكن الروس هم الذين رأوها قطعه ورق .. ومصر قصاصات الورق في التاريخ كله معروف وهم الذين نفخوها . وكان من الطبيعي أن نتركها تطير الى حيث لا عوده فالشعوب التي تربطها الأوراق التي رقيمة لها . شعوب لا قيمه لها أيضاً . ونحن شعب له قيمة في كل مراحل التاريخ .. وكان منطقياً أن أطلب من المجلس الذى أقر المعاهدة أن يوافق على مشروع القانون بالغائها .. ونص الألغاء هو :

(بعد الاطلاع على الدستور) (وبعد الاطلاع على القرار الجمهورى رقم ٨٨٤ لسنة ١٩٧١) (وبعد موافقة مجلس الشعب) ((قرر)) :

(ماده أولى : انهاء العمل بالمعاهدة المعقوده بين جمهورية مصر العربيه واتحاد الجمهوريات الاشتراكيه السوفيتيه عن الصداقه والتعاون والموقع عليها في القاهره في ٢٧ مايو)) ماده

(ماده ثانيه : يعتبر هذا القانون نافذا من تاريخ صدوره) وقد اهتز مجلس الشعب من الفرح اهتزازاً عنيفاً . وقد شاهد الملايين ذلك على شاشات التليفزيون ووافق المجلس بأغلبية ٣٥٨ صوتاً . ولم يتخلف سوى صوتين اثنين فقط . ومن حق أى انسان أن يقول : لا . فنحن في ظل مجتمع ديمقراطي .. لا خوف على أحد من أحد اذا قال للحاكم أو السلطة : لا .. فقد انتهى الى غير رجعه ذلك العهد الذى اختفت فيه من قاموس الحياة السياسيه والاجتماعيه كلمة لا . لم يعد مجتمعنا هو مجتمع : نعم بالحق والباطل .. لم تعد كلمة (نعم) صنماً يركع ويسجد أمامه

كل الناس .. وليس هذا بالتغيير الهين في حياتنا . ولا أريد أن أستطرد في ذلك فهذا مجال أتركه للمؤرخين والمحللين السياسيين . وأن كنت أعرف ، كما يعرف غيرى أنه حتى هذه الديمقراطيه الصحيحه السليمه ، لا تعجب المؤايدين والمرجفين ، لأن الهدف هو : مصر .. بلبلة مصر .. وأطلاق الضباب .. وتراكم الجليد في كل اتجاه .. حتى لا تكون حركه .. وحتى لا يكون طريق سليم واضح نمشي فيه نحو تحقيق أهداف مصر .. كل ذلك أعرفه وزيادة .. ولكن الهدف الذى أمامي والذى أمشي نحوه بخطى واثقه ثابته ، رغم الضغوط والمعوقات وحملات التشكيك ، تجعلني أحتمل كل أنواع العذاب من أجل مصر .. وفي ذلك راحة لضميرى أمام الله وأمام التاريخ .. وبعد ذلك كان الالتفات الى مصر داخلياً وديموقراطياً هو هدفي الأكبر . فأصدرت قراراً بتشكيل لجنة المائة .. لتضع أمام الشعب ومع الشعب وله ، مستقبل العمل السياسي . فقد أن الأوان لكي نمارس الديمقراطيه السليمه تنفيذاً للمبدأ السادس لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . وكانت لجنة المائة جمعية تأسيسيه . وبذلك تكون الأحزاب السياسيه في مصر قد ولدت ولادة طبيعيه . وجاءت الانتخابات تأكيداً لكل هذه المعاني الساميه التي نحرص عليها جميعاً .. انتخابات حرة مائه في المائه . والعالم كله يعلم ذلك . وقد أشادت الصحف العالميه بما يجرى في مصر . وحتى هذا لم يعجب السوفيت أيضاً ، رغم أن لدينا تنظيماً يسارياً موالياً لهم . ونسمع من السوفيت كلاماً عن الديمقراطيه . وليس من الحكمة أن نتساءل عن المقصود بهذه الكلمه . فهي من الكلمات التي جنى عليها الناس .. فهي في كل قاموس لها معنى مختلف .. ولا أعرف .. اذا لم يكن هو هذا الاختلاف في الرأى والحريه في أبدائه وعلى الصوره التي نراها في مصر ، فما هي الديمقراطيه اذن ؟ وما هو المعنى الذى أراده الاغريق لكلمة الديمقراطيه من ألوف السنين .. لقد قصدوا أن يكون معناها حكم الشعب بالشعب وللشعب .. واذا كان لابد من توضيح ذلك أكثر فالروس لهم معنى وهو : أن الديمقراطيه هي أن تكون حرا حريه مطلقه في أن تقول لكل ما يقولون : نعم .. وأنت حر في أن تقولها بصوت مرتفع أو بصوت منخفض .. أو تقولها مكتوبه أو مرسومه .. أو تغنيها أو تنظمها شعراً .. أنت حر في أن تقولها على النحو الذى تريد . ولكن المهم أن تقولها . وهذه هي

الديمقراطيه .. أو بعباره أخرى : أن تكون معهم وأن تكون لهم وأن تكون بهم . والا فلا أنت ديمقراطي ولا أنت اشتراكي ولا ماتقوم به يعتبر تحويلا جوهريا في الطريق الصحيح كما أعلن ذلك برجنيف في اجتماع الحزب الشيوعي .. وهذا مايجعلني أؤكد أن هناك ((فجوة فهم)) . أى فجوة بين الذى نفهمه والذين يفهمونه هم .. أو بين الذى نفهمه وبين الذى يجب أن نفهمه أو الذى يريد وننا أن نفهمه . هذه الفجوة أساسها أن لنا قيما أخلاقية .. هذه الفجوة هي التي سقط فيها وتردى اليها هؤلاء الشبان الصغار في حوادث ١٨ و ١٩ يناير الماضي .. فهؤلاء الشبان الصغار وقد دفعوهم مجردين من كل القيم ومن كل معاني الروابط الأسرائيه المقدسه ومن كل المبادىء الدينيه دفعوهم لنشر الفوضى وأرسالة الدماء وتمزيق الطبقات أو أطلاقها بعضها على البعض .. ليقفز وا هم الى الحكم .. الى آخر الافكار المسمومه المجنونه التي أراد وا بها تشويه أجمل مافي مصر : شبابها ومستقبلها .. والتي أراد وا بها أن يفسدوا التعبئه : العامه التي حشدتها مصر من أجل السلام في الشرق الأوسط وفي العالم .. ولكن علينا أن نحمي مصر من أبنائها المظللين وهم قله .. وأن نحمي مصر من المتربصين بها .. وعلينا أن نزن الأمور بميزان دقيق فلا نظلم أنفسنا أو غيرنا .. والزمن سوف يكشف لنا كل شيء .. سوف يكشف لنا العدو والصديق . وأحمد الله أن رصيدى من الأصدقاء أكثر بكثير جدا من رصيدى من الأعداء .. وأنني لا أزال أتطلع الى أيام من سنة ١٩٧٣ قبل الأعداد لحرب أكتوبر المجيدة . وأرى وجوه الأصدقاء التي أشرقت بالحب لمصر والاشفاق عليها ، والتشجيع لها أن تمضي في سبيلها منصورة بأذن الله ، ومساندة الأشقاء والأصدقاء ، وصمود الشعب وتضحياته .. أن تلك الأيام من سنة ١٩٧٣ كانت نصرا يسبق النصر .. فقد اتفقنا . وكان ذلك انتصارا عظيما تحقق لمصر وللأمه العربيه .. فقد مضى ، الى غير رجعة ، ذلك الوقت الذى كان فيه المصرى شخصا قبيح الوجه ، رغم أنفه .. وكان الأشقاء ينظرون الينا بكثير من الحذر ... والحذر يولد الخوف . والخوف يولد الكراهيه . والكراهيه أم الحقد .. وكل الحروب انتاج مشترك للكراهيه والخوف .. كان ذلك هو الوجه القبيح الذى

أضيفت اليه معالم أخرى ، مزقت قلوبنا وأحزنتنا على ماضينا العريق .. عندما أصيبت مصر بالنكسه الفادحه .. وفي أستطاعة الفنانين والأدباء في المستقبل أن يستوحوا هذه الصوره الموجعه للقلب ، والمثبطه للهمم : كيف تلتقي الكراهيه والخوف والهزيمه والهوان والذل والمراره واليأس والندم كلها في وجه واحد .. فتكون بمثابة العينين والأذنين والشفتين والأنف واللسان .. أنتهى ذلك كله . وأحمد الله أن مكنني من أن افعل ذلك . وهذا المعنى هو الذى أجملته في بداية ونهاية خطابي الى مجلس الشعب في مارس سنة ١٩٧٦ وهو كلمات لأحد الصوفيه كانت تؤنس وحدتي عند الهموم والملمات . يقول : ((ربي قد طويت من عمرى صفحات ونشرت اليوم صفحة ، فأجعل صفحتي هذه أوعى للخير ، وأخلى من الشر وزينها بالحق ، وبرئها من الباطل ، وأجعل فاتحتها : الأخلاص لك والعمل لوجهك))

ومن الضرورى في توضيحي للأمور أن أقول أن السوفيت كانت لهم ((تسهيلات)) ممنوحه للأسطول الخامس السوفيتي . فقد كان من أحلام روسيا السوفيتيه والقيصريه أن تصل الى المياه الدافئه في البحر الأبيض ، وفي البحر الأحمر أيضاً .. وهذه التسهيلات التي منحتها مصر لهم هي بداية ((التسهيلات الدائمه)) .. وكانت لهم في الأسكندريه ورشة بحريه داخل الميناء . فبدلاً من أن تذهب سفن الأسطول السوفيتي عبر مضيق الدردنيل التركي الى البحر الأسود فيتم أصلاحها في الموانىء الروسيه ، فأنهم يكتفون بذلك في الأسكندريه . وكانت السفن تتزود بالمياه الحلوه من مرسى مطروح .. ففي مرسى مطروح توجد عندهم سفينة تموين وهي سفينة جسمها من الأسمنت المسلح : مخزن يحمل ثلاجات وكل ما تحتاج اليه السفن وطاقمها من طعام وشراب . أى أن الأسطول السوفيتي اذا أحتاج الى ماء أو طعام وجده بسهوله في مرسى مطروح ، واذا أراد أصلاح العطب أو الخلل في سفينه أو في أجهزتها ، فأنه يرسو في داخل ميناء الأسكندريه .. ولم يكتف السوفيت بذلك وانما طلبوا أن تتحول هذه التسهيلات المنظمه أو الدائمه الى أن تكون لهم قاعدة على الأرض المصريه أو شبه قاعدة . أى طلبوا أن يكون لهم موطىء قدم . وهذا ما رفضته فوراً ودائماً . لأن معنى ذلك أن يرفعوا العلم السوفيتي على الأرض المصريه . ولكن الذى رفضته مصر قبلته ليبيا على الفور . وهذا علامة أستفهام كبيرة . بل أنها واحدة من علامات الأستفهام التي يزرعها ويرعاها السوفيت ويحرصون عليها في المنطقه وتلك حكاية أخرى .

قبل أن يبدأ الرئيس السادات
سلسلة جديدة من أوراقه
بعد كل ما يحدث في ليبيا
هل يذوب الجليد بين موسكو والقاهرة ؟ :

• طائرة أثيوبية تحمل شخصية هامة جداً تستأذن في المرور في الأجواء المصرية متجهة الى أثينا .. ثم لا تذهب الى اليونان وتهبط في طرابلس :

• طلبت ليبيا من رئيس دولة أفريقية الا يذهب الى مصر وعندما جاء الى مصر فوجيء بالوفد الليبي :

• ابن عم القذافي مدير شركة وهمية في لندن لتمويل حركات التخريب

• روسيا اشترت من أمريكا ثلاثة عقول الكترونية اثنان في موسكو وواحد في طرابلس لتعمل لحساب القذافي

• بعد قيام دولة ((مورستانيا)) الجماهيرية الشعبية الليبية أين ذهب بقية أعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية ؟ :

أنيس منصور

•• اختـــــار •• الرئيس السادات لأوراقه ((الجليد يذوب بين موسكو والقاهره)) وكان أمله أن يذوب ، ولكن الجليد لايذوب ، بل يتجمد ويتراكم ويرتفـــع ويسد كل أبواب الأمل في أى حل • •• ولا أعرف من أين يأتي الرئيس السادات بكل هذا الصبر • فهو نفسه قد قال أن ينابيع الصبر عنده لاتجـــف وهذا من فضل الله عليه ، وعلى القضايا السياسية المعقده ، التي يتصدى لهـا ويتحدى بها أيضـــاً •• الا مـــع السوفيت ، فقد أحتاج الى ما هو أكثـــر من الصبر •• فهل كانت علاقاته بالسوفيت هي : لعبة الصبر على الجليـــد حتى يذوب ؟ أو لعبة الصبر على الحديد حتى يذوب ؟ أو هي لعبة الصبر على الجليد حتى يذوب الحديد ؟ أن سطوراً كثيره مما جاءت في (أوراق) الرئيس السادات قد تجاوزت حدود الصبر الى أقصى درجات الهوان • واحتمل الهوان من أجل مصر • فقد هانت عليه أشياء كثيره •• وفي نهاية الحلقـــه الأخيره قال الرئيس السادات أن كل مارفضت مصر أن تعطيه لروسيا ، تطوعت ليبيا فأعطته للأتحاد السوفيتي • وقال أن ليبيا حكاية أخرى ، وهي بالفعـــل حكايات أخرى ومرتبطه أيضا بالعلاقات السوفيتيه المصريه •• أو العلاقات المصريه الليبيه أو الليبيـــه •• وعندما أقلب في (أوراق) الرئيس السادات عـــن العلاقات الليبيه المصريه السوفيتيه تتساقط وتتناثر علامات أستفهام هي نفسها علامات تعجب • والأجابه عنها لاتهم مصر وحدها •• أو العالم العربي فقـــط وانما أفريقيا وأمريكا أيضاً •• لأن شيئاً كبيراً خطيراً يجرى حولنا ويجرى على القواعد الليبيه وعبر الأجواء الليبيه المصريه السودانيه الأثيوبيه •• ومن عجائب المفارقات في هذه العلاقات التي تجمدت وتصلبت : موقف السوفيت من الزعيم جمال عبـــد الناصر ومن المزعوم معمر القذافي •• فجمال عبد الناصر قد مات كمداً ، والروس هم قاتلوه •• لقد مات دون أن يعطوه ماطلبه ، بينما أعطوا للقذافي كل مـــا طلبه جمال عبد الناصر وكل مالم يطلبه القذافي ••• ولو عدنا الى ((أوراق)) الرئيس السادات لوجدنا أن جمال عبد الناصر كان شديد الثقـــه بالسوفيـــت

ربما لأنهم أعطوه السلاح الذى رفضته بريطانيا .. والذى رفضته أمريكا .. ورغم أن أمريكا قد طلبت وفداً مصرياً، وسافر الوفد، إلا أنه لقى عظيم الإهمال. وعاد الوفد المصرى خالي اليدين ثقيل النفس .. وربما لأن دالاس ومن ورائه البنك الدولي وبريطانيا قد رفضت تمويل السد العالي وقبلت روسيا التمويل والبناء .. وإن كانت روسيا على أيام ستالين وبعده بقليل قد رفضت أن تبيع السلاح لمصر. فقد كان ستالين شيوعياً متزمتاً. لا يساعد إلا من كان شيوعياً تماماً. بل أنه لم يساعد تيتو وهو زعيم شيوعي. بل أن تيتو كان الرجل رقم ٢ في موقفه من الشيوعيه الدوليه .. بل ساءت العلاقه بين روسيا ويوغوسلافيا منذ ذلك الوقت. ولاتزال. وخروتشيف هو الذى روى للعالم كله سنة ١٩٥٦ أن حديثاً دار بينه وبين ستالين قال فيه ستالين - بالحرف الواحد - : من يكون تيتو هذا .. أن حركة صغيره من أصبعي الصغير تقضي على تيتو الى الأبد : .. وقد روى الرئيس السادات في ((أوراقه)) أن شواين لاى هو الذى توسط لمصر عند السوفيت وهو الذى نبه السوفيت الى أن نجماً صاعداً في الشرق الأوسط هو جمال عبد الناصر .. وبسبب هذه الوساطه قد أعطونا السلاح .. ووقع العدوان الثلاثي لأسباب كثيره من بينها وأهمها : ضرب الثوره المصريه وضرب الجيش المصرى قبل أن يصبح قادراً على استيعاب السلاح .. ثم عوضنا الروس عن كل هذا السلاح الذى فقدناه في حرب ٥٦، ولم يفعلوا ذلك بعد حرب ٧٣ - على النحو الذى ذكره الرئيس السادات في (أوراقه) وكان من الطبيعي ومن المصلحه أن يثق الرئيس جمال عبد الناصر في السوفيت .. فلم يكن له أحد سواهم. لأن علاقتنا بأمريكا كانت مقطوعه، وبأوروبا الغربيه مقطوعه، وبجميع البلاد العربيه سيئه وتزداد سوءاً وأصبح المصرى أنساناً قبيح الوجه والأسم والأثم .. ولنا وعلينا أن نتساءل مرة أخرى : كيف أن جمال عبد الناصر الذى وثق في السوفيت لدرجة أن سمح للشيوعيين أن يتسللوا سراً ثم يقفزوا علناً على كثير من المناصب الهامه في

اجهزة الاعلام ، على مراحل وبصوره مدروسه ، ايام كان علي صبري رئيسا للوزراء ، ورغم ذلك يموت جمال عبد الناصر من شدة الحزن يموت وقد طوى نفسه على مرارة على يأس قاتل من أن تعتدل العلاقات الملتويه مع السوفيت ؟ وقبل أن يموت جمال عبد الناصر بشهرين قال صراحة : أن الحالة مع الاتحاد السوفيتي ميئوس منها تماما . لا امل . بل أن السوفيت قد استخدموا توريد السلاح للضغط على اعصابه ولتذويب موقفه .. فلما طلب منهم الدبابات لكي يحدث اى نوع من انواع التوازن بين السلاح الذى تعطيه امريكا لاسرائيل والذى لاتعطيه روسيا لمصر اعلنوا أن ما لدينا من السلاح يكفينا جدا .. ثم اننا لابد أن ندفع الثمن مقدما .. واجرى الروس حسابا لهذه الصفقه فكانت تساوى عشرين مليون جنيه . طلبها جمال عبد الناصر من الملك السنوسي - وكان هو الرئيس العربي الوحيد الذى تربطه به اية صلة - حتى هذا الرجل الطيب لم يسلم من الهجوم العنيف عليه :

...

والان نصل الى ((ترسانه الاسئلة وعلامات التعجب)) في الشرق الاوسط : لماذا فعل السوفيت كل ذلك بجمال عبد الناصر ، وهو زعيم بجميع المقاييس المعروفه والمعترف بها ، بينما يغرقون القذافي بالسلاح ، مع أن القذافي لا هو زعيم ، ولا هو من وزن او حجم جمال عبد الناصر ..

ثم نقلب في اوراق ((الرئيس السادات عن العلاقات المصريه الليبيه اللولبيه فنجد أن القذافي قد شتمهم بجنون واتهمهم بالكفر والالحاد والاستعمار الجديد ، وحتى عندما اعطوه نيشانا اخذه وانكره .. اى اخذه ورفض أن يعلن خبر هذا النيشان - لانه رجس من عمل الشيطان - اى ايام كان - الشيطان سوفيتيا : وعندما طلب القذافي من السوفيت دبابات من طراز ٦٢ قال له كوسجين الذى زاره سنة ١٩٧٥ في طرابلس : لا .. بل أن هذه الدبابات قديمه جدا فعندنا دبابات من طراز ٧٢ ؟ ثم شحنوها اليه .. وعندما رأى القذافي الصواريخ ارض - جو في مصر طلب من السوفيت أن يعطوه

مثلها . فقالوا : لا .. أن هذه صواريخ قديمه ، عندنا أحدث وأروع منها ثم أننا سوف نبيع لك سلاح الردع الذى لم نعطه لمثلك الأعلى جمال عبد الناصر ... فما الذى رآه السوفيت في العقيد القذافي ؟ أنهم ليسوا في حاجه الى أطباء نفسيين أو الى فلاسفه أو حتى الى مؤرخين ليصلوا الى أن هذا الرجل ليس له عقل ولا رأى .. ويكفي أن نستعرض خطبه في أوقات متقاربه لنجد أنها هلوسات . وأنه لذلك ، ولغير ذلك لا يحظى بأحترام أحد لا في العالم ولا في العالم العربي ولا بين شعبه .. ومع ذلك يختار السوفيت ليقفوا وراءه .. أو ليضعوه على أكتافهم حتى يبدو طويلاً عريضاً ، وهو ليس كذلك .. ولذلك يتساءل بعض الخبثاء ويجيب على نفسه أيضاً :

.. ما الذى يجعل القزم عملاقاً ؟ — أن يقف على كتفى عملاق .

.. فهل يكون عملاقاً بعد ذلك ؟

— يكون قزماً محمولاً على كتفى عملاق :

.. ولكن لماذا ؟

— لفلوسه :

.. لفلوسه فقط ؟

— ولجنونه أيضا :

ونقلب في ((أوراق)) الرئيس السادات عن العلاقات الليبيه اللولبيه فنتساءل عن هذه ((المعسكرات)) التي تقام في شمال ليبيا وفي جنوبها وعند واحة الكفرة قرب الحدود المصريه : من هؤلاء الناس السود والبيض والسمر والصفر الذين يأتي بهم القذافي ويدربهم الخبراء الأجانب على السلاح وعلى نقله وتهريبه ؟

ثم من هؤلاء السود والبيض من الشيوعيين ومن اليمينيين المتطرفين يلقى بهم القذافي ويدفع لهم الملايين من أموال الشعب الليبي .. وبعد أن ينفق القذافي في احدى المرات خمسين مليوناً من الجنيهات يدفع بهم الى السودان لأحداث الفتنه والقلق وأسقاط النظام ؟ لماذا ؟ ما الذى يجنيه هذا القذافي ؟

وفشلت هذه الحملة على السودان .. وكان الاتحاد السوفيتي اكثر حزناً من القذافي على ما اصاب المرتزقه ؟

...

ثم ان هناك طائرة تجيء من دولة اوروبيه شيوعيه تهبط في ليبيا .. وفي ليبيا تتزود بالوقود والذخيره والفلوس ثم تعود لتهبط في اثيوبيا .. وفي اثيوبيا نرى ثورة اهلية بين القبائل .. ونرى حمامات الدم وتصفيات هائله .. حتى مجلس قيادة الثوره قد اكل بعضه بعضاً .. ونقص من ١٢٠ عضواً الى اربعين عضواً .. وفي حمامات الدم هذه ظهر سباح او سفاح اسمه مانجستو .. هو الاخر صورة جديدة من ((بيريا)) وزير داخلية ستالين الذى اغرق السوفيت في الدم ومزقهم بالخوف وجمد عروقهم بالارهاب .. ثم يجيء مانجستو هذا السباح في بحيرات الدم ويعلن اثيوبيا دولة ماركسيه لينينيه ويسارع الاتحاد السوفيتي فيعترف بها . وهذا طبيعي . ولكن الذى ليس طبيعياً ان تكون ليبيا هي الدولة الثانية التي تعترف بالنظام القائم على الدم في اثيوبيا . وفي الاسبوع الماضي بعثت ليبيا بمعونة ماليه الى اثيوبيا ، وسوف توالي ارسال المعونات ، تاييداً لمانجستو ونظامه الشيوعي الذى وصفه القذافي قبل ذلك بالكفر والزندقه وان النار مثوى كل الشيوعيين .. وانه عندما تقوم القيامه فسوف تكون جهنم على الارض الروسيه ، اما الجنه فلا احد يعرف موقعها في خريطة القذافي لابد ان تكون على ارض ليبية : وفي الاسبوع الماضي استاذنت احدى الطائرات الاثيوبيه ان تمر في الاجواء المصريه متجهه الى اليونان . وكانت الطائرة تحمل شخصية هامة جداً .. ورصدتها مصر . واذا بالطائره تتجه بالفعل الى اليونان ، ولكنها تعود وتتجه الى طرابلس : ومعنى ذلك ان الاتحاد السوفيتي قد وجد في ليبيا قاعدة وفي القذافي بوقاً وعميلاً .. واهم من ذلك انه وجد فيه ((ممولاً)) لحركاته التخريبيه في المنطقه ، ووجد فيه حلاً لازماته الاقتصاديه ايضاً .. ونقلب في ((اوراق)) الرئيس السادات ونتساءل عن صفقة شركة ((فيات)) .. فقد اشترى القذافي ١٠٪ من اسهم هذه الشركه . وهي قصة طويلة . ولكن اهم ما فيها انه اشترى هذه الاسهم

بخمسة امثال ثمنها . لماذا ؟ وكيف اقنعوه بشراء هذه الصفقة ؟ وما الذى يستفيده الشعب الليبي من وراء ذلك ؟ . هل لأن الاتحاد السوفيتي قد تعاقد مع شركة فيات منذ سنوات على انتاج مليون سياره ثم لم تستطع الشركه ان تفى بهذا العقد ؟ هل لأن شركة فيات ككثير من الشركات الايطاليه ، تعاني من ضائقه ماليه ؟ هل لأن الاتحاد السوفيتي ، وقد وعد شعوبه بفترة من الرخاء او بانتاج السلع الاستهلاكيه والكماليه ومن بينها السيارات لابد ان يساعد شركة فيات على حل ازمتها ؟ هل لأن شركة فيات تنتج الاسلحه ايضا ؟ هل لأن السوفيت قد وعدوا القذافي بانهم سوف يعطون شركة فيات تصريحا بانتاج بعض الاسلحه المتطوره لحساب ليبيا ؟ يقول احد الخبثاء المطلعين على اسرار هذه الصفقه وغيرها : ان هذه الصفقه لم تكن بين ليبيا وايطاليا ، وانما كانت بين ليبيا وايطاليا لصالح روسيا . فقد استغلت روسيا ((ازدواج شخصية)) القذافي واحلامه المجنونه بأن يكون لديه ترسانه للاسلحه التي صنعتها فيات لحسابه ولاهدافه التخريبيه في المنطقه . وهذا الاتفاق بين فيات وليبيا حقيقه معروفه للعالم كله . ولكن الشيء الغريب العجيب هو هذا الاتفاق الثلاثي بين ليبيا وفيات وروسيا ؟ هذا الاتفاق على ماذا ؟ ومن اجل اى هدف ؟ ثم كيف يتصور العقيد القذافي ان فيات كبرى شركات ايطاليا التي هي عضو في حلف الاطلسي ولديها تراخيص لتصنيع كل الاسلحه الامريكية ، ان تصبح هذه الشركه عميلا لحسابه هو ؟ كيف اقنعوه بذلك؟ وكيف اشترى هذه الاسهم باسعارها الماليه جدا ؟ لا احد يعرف .. وموقف القذافي من التجمع الافريقي العربي في القاهره .. اى مؤتمر القمة العربي الافريقي .. ما الذى فعله القذافي ؟ انه ارسل الى كل الدول الاعضاء خطابا يطلب اليهم الا يحضروا . ثم يحذرهم من اختلال الامن في مصر .. وانهم اذا ذهبوا الى مصر فحياتهم في خطر .. وقد فشل القذافي في ان يبعث ببعض المخربين ليهزوا . صورة مصر والامن في مصر والنظام القائم في مصر حتى يتاكد لدى الدول الافريقيه التي حضرت المؤتمر ماسبق ان حذرهم منه ولكن المؤتمر قد انعقد في هدوء وفي نظام دقيق ، فلم نسمع عن شكوى من

أى وفد من الوفود .. ومن أغرب ماحدث أن القذافي كان قد أرسل الى رئيس أحدى الدول الافريقيه التي تربطه بها علاقات خاصه . وكان هذا الرئيس في نيويورك . ولكن هذا الرئيس الأفريقي قد تضايق من هذا التحذير ومن لهجته المهينة . فرد على القذافي هو أيضاً بعنف . ثم حضر الرئيس الأفريقي الى مصر . ودخل قاعة انعقاد الموءتمر ، واول ما وقعت عليه عيناه في القاعه : الوفد الليبي : ونجح الموءتمر وكان ذلك انتصاراً عظيماً أستحق أن تهاجمه ثلاث اذاعات : موسكو وتل ابيب وطرابلس : وركزت هذه الاذاعات هجومها على مصر وعلى السعوديه . : ويجب أن نمضي في التساؤل .كيف تتفق روسيا واسرائيل وليبيا في الهجوم على مصر وعلى السعوديه ؟ماهو المعنى ؟ ما هي الأضرار التي لحقت بليبيا وروسيا واسرائيل ؟ أما أضرار اسرائيل فواضحه فالموءتمر قد ادان احتلال الأراضي بالقوه ... والموءتمر والأمم المتحده قد ادانا الصهيونيه وادانا التفرقه العنصريه .. واسرائيل دامية اليدين في هذا كله ؟ ولكن ماالذى اضار الاتحاد السوفيتي من وراء ذلك كله ؟ وماالذى اضار ببغاء طرابلس ايضاً ؟ ونقلب في أوراق الرئيس السادات ونتساءل عن معنى ـ أن كان هناك اى معنى ـ للهستيريا التي حدثت أخيراً في ليبيا التي أطلق عليها أحد الخبثاء : دولة ((مورستانيا)) .. لقد أعلن القذافي أنه لا دولة ولا منظمات ولا مجلس قيادة ثورة .. وأنها لم تعد ((جمهوريه)) وانما هي ((جماهيريه)) ولا أحد يعرف بوضوح أن كانت كلمة ((جماهيرية)) هي نفسها ((شعوبيه لولوبيه)) .. وهل في نيته أن يعد لها مرة أخرى الى (جمهوريه) نسبة لجمهرة الناس في كل مكان عند أجهزة الراديو يسمعون ويندهشون وينزعجون .. ويحضر احتفالات ((الجماهيريه الليبيه)) الزعيم الكوبي فيديل كاسترو .. وبالمناسبه لقد رفض القذافي أن يدخل قاعة أحد الموءتمرات لأن كاسترو كان موجوداً في القاعه . فكاسترو شيوعي . وكل شيوعي كافر . وكل كافر في النار وهو لايريد أن يمد يده الى النار ـ هذا ما قاله القذافي في ذلك الوقت .. وينتهز القذافي وجود كاسترو في ليبيا وهو يشهد

هذا الاحتفال الذى اهتز له العالم العربي من اوله لاخره ـ كما يقول ٠٠ ثم يهاجم مصر والسودان والسعوديه بمنتهى العنف ٠٠ او بمنتهى البذاءة ٠ او على الاصح بمنتهى الجنون ولم تفلح الهستيريه التي انتابت اجهزة الاعلام الليبيه في ان تنال شيئاً من نجاح المؤتمر العظيم الذى انعقد في القاهره ولم يقف مع القذافي ووراءه احد ، سوى الاتحاد السوفيتي ؟ : ولا احد يعرف بالضبط ما الذى يجرى في ليبيا ولا ما هي الاتفاقات التي تمت بين السوفيت والقذافي لاعطائه طائرات ميج ٢٥ ٠٠ وهي الطائرات المتطوره جداً ٠٠ وقد هرب احد الطيارين السوفيت بواحده منها الى اليابان ، فوقعت في ايدى الخبراء الامريكان فعرفوا اسرارها ٠٠ نتساءل ايضاً هذه الطائره كانت موجوده في مصر ٠٠ اربع طائرات منها في مصر تعمل بتوجيهات من موسكو ٠٠ وتعمل لرصد حركات الاسطول السادس الامريكي في البحر الابيض ٠٠ هذه الطائرات سحبها الروس عندما طردنا الخبراء من مصر ٠٠ ثم نقلوها الى سوريا ٠٠ ـ ورفضت سوريا ايضاً ، الا تكون لها سيادة على هذه الطائرات ٠٠ فسحبها السوفيت من سوريا ٠٠ سؤال : لقد اصبحت هذه الطائرات ميج ٢٥ في ليبيا الان ٠٠ خمس طائرات تعمل لحساب السوفيت وهذا طبيعي ٠ فليس في ليبيا طيار واحد ، ثم ٠ ان ليبيا قد اعطت السوفيت قواعد مغلقه عليهم ٠٠ وطبيعي ان تعمل هذه الطائرات لكشف او لتغطية السواحل الليبيه والافريقيه ورصد التحركات الامريكيه في البحر الابيض والبحر الاحمر : ـ كل هذا لماذا ؟ ونحن نعلم لماذا رفضنا هذه الطائرات ونعلم ايضاً لماذا رفضت سوريا ٠٠ اذن لابد ان الذى رفضناه قد قبله القذافي وزيادة ٠ ومن اجل ذلك استقرت هذه الطائرات في ليبيا ٠٠ واستقرت غيرها من الاجهزه الدقيقه المعقده ٠ وهي طبعاً تعمل لحساب السوفيت ٠٠ او تعمل لحساب ليبيا من خلال ـ السوفيت ٠ فما الذى يمكن ان تعمله ؟ نعود الى سطور من ((اوراق)) الرئيس السادات عن صفقه العقول الالكترونيه التي اشترتها روسيا من امريكا ٠٠ فمن المعروف ان امريكا وروسيا على درجة نظرية متساويه في علوم الفضاء ٠٠ فاذا كان الروس هم اول من اطلق قمراً صناعيا الى الفضاء الخارجي ، فان الامريكان هم اول واخر من انزل انساناً على القمر ٠٠ ولكن الروس متخلفون في صناعة العقول الالكترونيه ٠٠ باعتراف الروس ٠ وهذا معروف في العالم كله ٠ وليس تجنياً عليهم ، وقد اشترت روسيا ثلاثة عقول الكترونيه

ضخمه • وقد احتفظت باثنين في موسكو اما الثالث فهو موجود الآن في طرابلس • ويديره الخبراء السوفيت طبعاً • ولكن العجيب أن السوفيت قد اقنعوا القذافي أن هذه العقول كلها تعمل لحسابه •• وأن العقل الموجود في طرابلس يقوم بدور ((المراسل الصحفي)) للعقلين الآخرين •• وليس عليه الا أن يسأل والعقول تقول له : لبيك •• أو ليس عليه الا أن يترك هذه العقول تجمع وترصد وتضرب وتطرح وسوف يجد كل شيء جاهزاً على مكتبة في أي وقت • ما هذا الذى يحملونه له أو يطبخونه له ؟ أو ما هي الطبخه التي سيضعون فيها العقيد ليكون لها طعم أو لها معنى ؟ أن الاتحاد السوفيتي قد وجد في العقيد القذافي ممولاً سخياً •• أو ممولاً سفيهاً يبدد أموال الشعب الليبي بلا رقيب أو حسيب من أحد •• لانه قد ألغى كل أحد في ليبيا •• • وبدلاً من أن تمد روسيا يديها الى أمريكا تطلب منها سبعة مليارات من الدولارات لتعمير سيبيريا • فأن القذافي قد تكفل لها بذلك •• فكل ما تخرجه صحارى ليبيا ينفقه القذافي على صحارى سيبيريا •• وبذلك يكون لليبيا شرف تعمير سيبيرسا •• ويكون لروسيا شرف تخريب ليبيا •• ولا بد أنهم قالوا له : أن العقول الالكترونيه الأمريكيه تعمل بأيد سوفيتيه في خدمة الحكومه الليبيه • أو بعبارة أخرى : بالأموال الليبيه تعمل العقول الأمريكيه بالأيدى الروسيه لخدمة القذافي • ومعذور القذافي اذا لم يركب حصاناً أبيض • ويعلن في كل مكان : أنا ربكم الأعلى •• ويشكك في الأحاديث الدينيه وفي صحيح البخارى •• ولا أحد يعرف بالضبط ما هي الصور المعلقه في مكتب القذافي وأمامه : هل هي صور جنكيزخان أو تيمورلنك أو صلاح الدين أو عبد الكريم قاسم أو جمال عبد الناصر أو القذافي ••

والذين رأوا القذافي أخيراً يقولون : أنه قد تجاوز المرحله التي ينظر فيها الى أحد أو يتخذ من أحد مثلاً أعلى •• أن غرفته كلها من المرايا الكبيرة •• فأينما ينظر لا يجد الا نفسه مضروبا في مائة مليون ـ عدد العرب •• أو في ثلاثة الاف مليون ـ أى عدد سكان الكره الأرضيه ••

• • •

ثم أين الناس حول القذافي ؟ أين أعضاء مجلس قيادة الثوره ؟ لقد أعدم القذافي بعضهم .. ثم من هؤلاء الذين حوله . ولماذا أبقاهم ؟ أو لماذا ارتضوا هذا البقاء معه ؟ أما بشير هوادى وعوض حمزه فهما في السجن . وهما متهمان في هرب عمر المحيشي الى القاهره . أين مختار القروى وأين محمد نجم؟ ولماذا أصاب عبد المنعم الهوني الذى كان وزيرا للخارجيه الى أن قامت دولة ليبيا الموريستانيه الجماهيريه الشعبيه ؟ ولماذا بقى أربعة آخرون على قيد الحياة أنهم مازالوا على قيد الحياة لأنهم اختاروا ((قيد)) القذافي .. ويقول لنا أحد الخبثاء العارفين بأسرار ليبيا والقذافي : أن هؤلاء الأربعه قد ظلوا أحياء حتى اليوم لأسباب مختلفة .. أما عبد السلام جلود فهو يرعى مصالحه في أى اتجاه ويمد يده لأى يد . أما أبو بكر يونس فهو رجل ساذج يصدق ما يرى ويسبح بحمده .. أما مصطفى الخروبي فهو صديق عمره وهو الذى كشف له حكاية عمر المحيشي فكان من نتيجة ذلك أن حدد القذافي اقامته وأخيرا آ الخويلدى الحميدى وزير داخليه ليبيا وهو لا يعرف شيئا آ في الوزارة ولا في ليبيا . فكل شيء يديره القذافي عن طريق أعوانه وعيونه .. والقذافي الآن سوف يعتمد على حرس خاص وجيش خاص .. ويستخدم بالفعل القذاذفه أو كما يسمونهم في ليبيا : الجدادفه - أى أبناء قبيلته لحراسته والدفاع عنه وكل ذلك يؤدى الى تبديد المزيد من أموال الشعب الليبي في كل اتجاه ومن أجل هدف .. فليس للقذافي هدف واضح . ولا رأى واضح . ولا موقف مفهوم وانما هو مدفوع ومندفع في أى اتجاه .. وفي أى اتجاه تمتد اليه لتقبض أموال الشعب الليبي بالنيابة عن الشعب الليبي .. أن عددا آ من اللبنانيين قد أصبح من أصحاب الملايين . خدمة لأغراض القذافي .. وأحد الخبثاء يقول لنا : أن ابن عم القذافي يعيش في لندن الآن . وله شركة وهمية . هذه الشركه تقوم بتمويل العمليات التخريبية في كل مكان في العالم .. وخاصة في العالم العربي وافريقيا .. وغير ذلك كثير مما يقوله الخبثاء والعارفون بأموال القذافي ومحاولاته المستمره أن يجيء الى مصر . وقد توسط كثيرون . ولكن الوساطه فشلت . بسبب أن مصر رفضت ذلك .. فنحن لا نعرف من هو هذا الشخص الذى يتوسطون

بيننا وبينه .. فهو ليس شخصاً واحداً . وانما هو عدة اشخاص في كل لحظة .. انه ((جمهرة)) مجنونة .. وقد حدث قبل سفرة الاخير الى الاتحاد السوفيتي ان دفع الى الوساطة بينه وبين مصر كثيرين . ولكن بعد ان عاد من الاتحاد السوفيتي انكر انه طلب شيئاً من ذلك .. ولا احد يعرف ما الذى قالوه له هناك .. ما هو هذا الامان الذى اودعوه في قلبه وسحبوه من قلب جمال عبد الناصر رغم كل ما قدمه للسوفيت في مصر وفي المنطقه كلها ؟ .. وما هي الخطة التي وضعوها لحمايته ؟ . فكل ما يحدث في ليبيا هو من اجل الدفاع عن شخص القذافي وحده لا شريك له في الحكم او في انفاق الاموال في كل ارض ؟ وما اكثر ما يقوله الخبثاء :

...

فهل مع هذا كله يمكن ان يذوب الجليد بيننا وبين الاتحاد السوفيتي ؟

كان الامل ان يذوب ما دامت الحقائق اصبحت واضحة بيننا وبينهم وحتى بعد ان هاجم الاتحاد السوفيتي اوراق الرئيس السادات ..

ولكن هجوم السوفيت كان من نوع الهجوم ((القذافي)) ـ اى تهجماً شخصياً . لانه لم يرد في هجوم اذاعة موسكو او صحيفة البرافدا تكذيب لواقعه واحدة مما جاء في هذه الاوراق .. وانما الذى حدث ان احداً قد امسك اوراق الرئيس السادات ووضعها عند انف احد الكلاب البوليسيه فراحت تنبح من طرابلس ومن موسكو في وقت واحد ؟ :

...

لقد انتهت بسرعة هذه الاجتهادات والتساؤلات ولا يبقى الا ان نعرض الحقائق بمنتهى الوضوح والصراحة ... فموعدنا في الاسبوع القادم مع الرئيس السادات وهو الرجل الذى يملك ان يقول الحقائق ويعرضها ويكشفها تمشياً مع القاعدة التي اختارها لنفسه اسلوباً في الحياة والحكم : ان يصارح الشعب بما هو حق للشعب ان يعرفه ليحكم له او عليه .. واعتماداً على قاعدة اخرى اتخذها الرئيس السادات ايضاً : وهي ان التاريخ ليس ملكاً لاحد . وانما هو ملك لكل الناس . ولذلك سوف يضع ما لديه ليكون مادة لمن يدرسون ويحللون

بعد ذلك .. وكما أن الرئيس السادات قد توجه بأوراقه الى الشباب ليجدوا في ذلك العبرة والعظة ، فسوف يمضي في ذلك أيضا ليعرف الشباب أى نوع من الناس هذا القذافي .حتى لاينخدعوا بما يقول – وما أكثر ما يقول وما أقل الذين – اتخدعوا به .. واذا كانت ((أوراق)) الرئيس السادات عن ذوبان الجليد بين موسكو والقاهره قد تجملت كلها بالصبر على القذى والأذى والهوان ، فان هذه الأوراق تؤكد انه تحمل بسبب جنون القذافي فوق ما يطيق البشر ، حتى لاتكون هناك معارك جانبية وتكون فتنة بين العرب . وحتى لاننشغل عن العدو الحقيقي وهو اسرائيل . واذا كان الرئيس السادات قد جعل من علامات عصره :العبور .. والجسور الممدودة .. والأذرع المتعانقة لضم القلوب والعقول العربيه من أجل النصر في المعركه ، فقد كان كذلك في تعامله مع القذافي – رغم أن القذافي قد هاجم النصر والعبور وسياسة الجسور الممدوده والوحدة العربيه والافريقيه .. فهل من الممكن ، بعد هذا كله وبسبب هذا كله ، أن يذوب الجليد بين موسكو والقاهرة .. أن الرئيس السادات في أوراقه قد قال أن الجليد قد أصبح كالحديد .. وكان من الضرورى أن أنفض الجليد عن الحديد ثم أدق حديدا باردا ، لعل وعسى .. أى لعل شيئا يذوب ، وعسى أن يتحقق أمله في ذلك : ....

الرئيس السادات

الجديد ... يذوب:

بين موسكو والقاهره !

٢٠

يومها قال القذافي لعبد الناصر:

أن مادفعته ليبيا لمصر كان (صدقه) ؟!

وعد الرئيس السادات في (أوراقه) منذ بدايتها ومع صدور هذه المجله التي تحمل أروع اسم في تاريخ النضال العربي .. أن يروى كل ماحدث في منطق وموضوعيه وصدق .. وقد فعل . مبتدئاً بالعلاقات المصريه السوفيتيه . وجاهد أنه الحنيفه من أجل أن يتحقق شيء من الوضوح أو الاتزان بين الدولتين ...

وقد أشهد الرئيس السادات العالم كله على ماكان بين مصر وبين السوفيت .. ونشرت هذه (الأوراق) في البلاد العربيه وباللغات الانجليزيه والصربيه واليوغسلافيه والصينيه وظهرت صفحات منها بالالمانيه والايطاليه .. وقد تمت تعاقدات على نشرها في أطار عالمي بالانجليزيه والفرنسيه ... ثم هاجمتها صحيفة برافدا . وأجهزة الاعلام الشيوعيه والليبيه وكان الهجوم على شخص الرئيس السادات . وعجزت اذاعة موسكو وصحيفتها الرسميه أن تذكر واقعه واحده قد تجني فيها الرئيس السادات على أحد .. لانه روى بصدق وعلى لسانه وباعتباره شاهداً على عصره ومشاركاً في صنع أحداثه . وحارساً على منجزات ثورة يوليو وثورة مايو وانتصارات أكتوبر .. وقد توجه الرئيس السادات الى

المؤرخين والمشتغلين بالتحليل السياسي فقدم أوراقاً هي وثائق من الدرجة الأولى • حرصاً منه على أن يكون التاريخ في متناول كل الناس • يحكمون له وعليه •• والتاريخ هو ذاكرة الشعوب •• والتاريخ هو مسرح الأحداث الانسانيه • والتاريخ هو ذلك النهر المتلاطم الأمواج ياساً وأملاً • شكاً ويقيناً وعلى جوانبه قامت حضارة الانسان •• ولكل مؤرخ الحق في أن يختار من النهر مايروقه •• وأن يختار من الالوان مايتفق مع مزاجه الخاص أو فلسفته التي يؤمن بها •• فليس أحد يستطيع أن يحجز على حرية أحد • ولا أن يصب مزاجه النفسي في أي قالب من الحرير أو الحديد ••وقد جعل الرئيس السادات سنة ١٩٧٥ سنة لتسجيل وقائع التاريخ تاريخه هو يوم حمل أمانة الحكم ويوم شارك فيه • ويوم سانده وثار عليه •• ثم اعتدلت في يديه قواعد الحكم واستقامت تحت اقدام الناس وبهم ومن أجلهم قواعد العداله والديمقراطيه •• ثم أن الرئيس السادات قد توجه أيضاً بأوراقه الى الشباب •• الى مستقبل مصر الى الوجه المشرق الجديد لمصر •• أي الذين لم يذوقوا مرارة هذه الارقام ٤٨و٥٦ و٦٧ و ٦٩ ••• ولم يتسع وقتهم بعد ليتذوقوا حلاوة ٧٣ ••فالحياة شاقه على الكبار والصغار • والصغار أكثر حساسيه واشد تطلعاً • ومن حقهم أن ينظروا الى المستقبل وأن يتجاوزوا صدى الرصاص • ودخان المدافع • ومطبات العلاقات المصريه العربيه والدوليه •• ولكن من العدل الا ينسوا ما الذى قدمه الآباء وعاناه الأجداد • والا ينسوا أنهم سوف يكونون كباراً أيضاً • وسوف يضيقون بالحساب اذا جلس أبناؤهم يحاسبونهم

تماما كما يحاسبون اليوم ابناءهم واجدادهم .

ولكن الشباب يجب أن يعرف الحقيقه . حتى لا يضل وحتى لا يرى مصر الجميله قبيحة . وحتى لا يرى مصر خالده زائله وحتى لا يرى شعبه العظيم هزيلا . وحتى لا يرى فقط لمعان الدموع وبريق الذهب .. والكثير جدا مما جاء في أوراق الرئيس السادات عن المسأله الليبيه او المسأله الليبيه يهم الشباب ويطمئنه على بلده ومستقبله . ويؤكد له أن الحقد نبات غريب من خلايانا . والا فكيف يرى الشبان مسيرة التخريب الليبيه وكيف يرى الشبان هذا الذى أحدثته الايدى الصغيره والعقول الساذجه في يومي ١٨ و ١٩ يناير من هذا العام .. أن مصر ابقى لنا . وأكرم علينا . من أن تمتد ايدينا فتلوث وجهها المضيء . أن مصر لم يصبها سوء في تلك الايام من شهر يناير .. وانما أصابنا نحن الكثير جدا : اذ كيف نحرق بيوتنا باعواد كبريتنا ونحطم سياراتنا بأظافرنا . ونكتب بالدخان والوحل عارنا . أن في أوراق الرئيس السادات عبرة وحكمة . ومن هنا اكتسبت أهميه خاصه وسوف يكون لها مكانها الرفيع عند الحساب ... أى عندما نحاسب أنفسنا وغيرنا عن الذى قدموه لمصر وسحبوه من تحت أقدام مصر ..

كيف تكون البدايه في تسجيل مسار العلاقات المصريه الليبيه ..
لا تهم البدايه ولا يهم كثيراً مدى اتساع الخطوات الاولى في هذا الطريق
فاى طريق مهما طال او قصر . او ضاق او اتسع . او اعتدل او التوى
او كان جليداً كالذى بين موسكو والقاهره . او رطباً طيناً بالسراب
كالذى بين القاهره وطرابلس . فانه يبدأ بخطوه وبعدها تتوالى
الخطوات ثابته او مضطربه .. مرتبكه او واثقه .. على كل حال فانني
اسجل هنا بعض العبارات .. جاءت في رسالتين بعثت بها الى مجلس
الثوره الليبي . الاولى قلت فيها .. (ان اقتحام خط بارليف معركة الثلاثة
الاف دبابه ومواجهة اول حرب الكترونيه في التاريخ لم يكن لهواً
ولا عبثاً . وما ادى اليه هذا من تغيير في الواقع العربي لا ينكره
الا المكابرون . (وانه ليوم سفني ان اذكركم وانتم العسكريون ان فن الحرب
يعتمد فيما يعتمد على فن التوقيت . ومتى تهم ومتى تضرب ومتى
تكف . وفي كل ذلك تحدد اهداف السياسيه والعسكريه والتكتيكيه
والاستراتيجيه .. (ان عذر مصر القذافي الوحيد عندى انه لم
يمارس الحرب . ولم يعرف القتال . ذلك الامتحان الذى عرفته مصر
في اربع حروب ضحت فيها بالاف الشهداء) وهذه العباره جاءت
رداً على كثير من الادعاءات وعلى التشهير بقواتنا المسلحه
والتهوين من عظمة المعركه التي قمنا بها . وجلال النصر الذى
تحقق لامتنا العربيه .. وللحقيقه . وكما سنرى . لم يكن جهل
القذافي بالحرب هو العذر الوحيد المقبول عندى .. او لم يكن
النقص الوحيد في تكوينه . او القصور الوحيد في تفكيره . فهناك
اشياء كثيره . سوف اسجلها في حينها وفي موضعها وبملابساتها
التاريخيه . وفي هذه الرساله ايضاً قلت متوجهاً لاعضاء مجلس الثوره
ما الذى بقى من ثورة الفاتح من سبتمبر ؟ .((انني اتساءل والا لم يعتصر
قلبي : ما الذى تبقى اليوم من علاقة الفاتح من سبتمبر بالثالث
والعشرين من يوليو . من صله بين مصر وليبيا . بل ما الذى تبقى

حقاً من ثورة الفاتح من سبتمبر ؟ .. (وهل كل ماتبقى هو تلك السلطه المزاجيه المطلقه التي ارهقت اى محلل بتناقضاتها وتقلباتها وغرض اهدافها ؟ هل كل ماتبقى للشعب الليبي ذاته . رأى في طريق التصرف في حياته وعلاقاته وأمواله . وفي سياسة بدأت تنتهي به الى العزله عن التيار العربي العام ؟)) وفي ختام هذه الرساله قلت ايضاً: اما عن الحملات المتواليه والتشهير المستمر ومحاولات تطويق مصر بالعداء .. فاننا واثقون من موقفنا ومن قدرتنا ولن نبقى صامتين مكتوفي الايدى . ازاءهما الى الابد . (ولقد كنت اقول لكم دائماً: انتم الاحتياطي الاستراتيجي لهذه الامه العربيه في مسيرتها الطويله . واذا كان قدرنا قد اراد أن يكون علينا نحن مسؤليه مواجهة المرحله الحاليه بكل اثقالها . وأن يكون علينا نحن أن ندفع الثمن ليفسح الطريق امام الامه العربيه . مفتوحاً نحو تحقيق احلامها . فأن جيلكم ودوركم كاحتياطي لامتنا هو الذى ستكون لديه فرصه ممتده لمواصلة الطريق)) .. واخيراً قلت: (هذا هو موقفنا بكل تجرد وصراحه والامر الذى بعد ذلك ليس في يدى بقدر ماهو في ايديكم) .. أن هذه العبارات الواضحه المحدده الاليمة لم تأت في اول الطريق للعلاقات الغامضه المتشنجه بين مصر وليبيا . وانما جاءت في منتصف الطريق اى في ٧ مايو سنة ١٩٧٤ . وهذه العلاقات نراها في مصر غامضه ونرصدها متشنجه . وهذا هو مبعث الحيره والضحك أحياناً . وعلى الرغم من أن الكثير من المواقف الفرديه - هي كلها فرديه نابعه من ذات معمر القذافي - فانني ساجاهد ما استطعت الا استجيب لاغراءات الضحك والمفارقات لكي اضعها في وزنها وحجمها الصحيح . فليست مصائر الشعوب تكتب او تمثيليه مضحكه . ورغم حاجتي الى الضحك . فانني ارى الاستغراق فيه استخفافاً لا يليق بمن يحمل اعباء القدر ويشارك في صنع تاريخ بلاده والامه العربيه ...

وحتى هذه المواقف المضحكه هي جزء من المأساة التي فرضت علينا وفرض علينا أن نواجهها بالحزن العميق على أن تتردى معاني الاخوه • ورفقة الطريق الى هذا المصير الاليم ••

وفي الرساله الثانيه التي بعثت بها الى مجلس الثوره الليبي بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٧٤ أشرت الى هذه المعاني مرة أخرى • فقلت ومن الضروري أن أسجل ذلك في البدايه لتظهر واضحه ناصعه أمام التاريخ وأمام الشباب •• أعز ما تملك الامه العربيه • أو كل أمه : أنني لا أتحدث هنا عن النوايا الاقيمة لها في القضايا السياسيه والاستراتيجيه الخطيرة• ولكن هذا مايحدث فعلاً • فكل تصرفات القياده الليبيه تستهدف تعميق الهوه بين مصر وليبيا • وتستهدف أكثر من ذلك زرع المرارة بين الشعبين •• ونحن ندرك جيداً واحد أسباب ردود فعلنا الهادئه أننا نحاول تفويت هذه المؤامرة التي تتورطون فيها يوما بعد يوم • بهذا الاسلوب الخطير • من أساليب اللعب بالنار دون ادراك للعواقب البعيده ••

(أن بلادنا مفتوحه لأى مبادره ليبيه صافية النيه • وبلادنا مفتوحه لكل مواطن ليبي يأتي الى مصر • حيث لن يجد الا كرم الضيافة وحسن المعامله •• ونحن نعرف جيداً الفرة بين المواطن الليبي الطيب الذى يمثل طبيعة الشعب الليبي الاصيلة • وبين الذين ترسلونهم في مهمات للتآمر والتخريب بوحي من أجهزتكم •• (وختاماً فأنني مازلت أمل أن تدركوا وقبل فوات الاوان أن مصر بلد لايخيفها الضغط • حتى ولو فيما يمس ضرورة المعركه ولا يشتريها المال حتى ولو كان ينعكس على غذائها وكسائها •• ولا يخترقها تآمر ومحاولات تخريب فرديه مكشوفه ••

(الا قد بلغت •• اللهم فاشهد) ••

وعلى الرغم من أنني ذكرت الكثير اجمالاً في هذه العباره التي اخترتها في بداية هذه (الاوراق) فأنني قد أشرت الى كل ماسوف يكون

متفجراً في الطريق الذى يمتد بين طرابلس والقاهره • ويمر بالعواصم العربيه الاخرى •• فهناك مداخل كثيره للقاهرة • خيراً وشراً وهناك الغام توضع في كل هذه الطرق ••

وهناك اقلام وحناجر مأجورة تعمل لحساب القذافي في طرابلس وفي بيروت وفي القاهرة ايضاً •• وهناك اناس قد رفعوا الارض تحت قدميه ليهبط واطول •• وهناك اناس قد زوروا في شهادة ميلاده ليهبط واحكم وهناك اناس زوروا في وصية جمال عبد الناصر • فجعلوه ـ كيف ؟ •••

الوارث الشرعي له في مصر •• وهناك من خدعوه وظللوه واوهموه ولا يزالون • وسوف يدفع الجميع ثمناً لذلك • فان موعد الحساب قريب فليس الذى فعله هؤلاء بمعمر القذافي ولا الذى فعله القذافي بمصر بالشيء القليل • ولا الدور الذى يلعبه او الدور الذى حشره فيه صغيراً • فهو مايزال صغيراً • ولكنه في ايد كبيره خطيره • ومن هنا كان الالتفات اليه ضرورياً وهاماً • ولتكن البدايه ماكان عليه العالم العربي قبل نكسة ٦٧ •• ومابعد ذلك ايضاً •

وليس علينا الا ان ننظر الى الخريطه العربيه • شرقاً وغرباً • ما الذى نجده طول حكم عبد الناصر ـ ١٨ عاماً • كان هناك تمزق شديد وكانت للبلاد العربيه على الخريطه الوان غريبة فاتحه وقاتمه •• لماذا ؟ • فقد كانت هناك تصنيفات جعلت للتمزق معنى • وهذا المعنى لاضرورة له • فقد كان هناك تصنيف يقول : العرب اما تقدميون واما رجعيون • وهذه كلمات في قواميس السياسه الحديثه ليست واضحة الحدود • بل انها اكثر الكلمات تداخلاً واقلها انضباطاً • وهناك تصنيف يقول : ملك وجمهوريات وامارات ومشايخ وكانت هذه الاشكال تدل على الخير والشر •• اوتدل على مدى الاستعداد للبذل والعجز عن ذلك • او تدل على الماضي والمستقبل • وان كل ماهو ملكي هو : شر • وكل ماهو اماره هو متخلف •• وكل ماهو جمهورى هو الخير للانسانيه وان الذى ليس جمهورياً لاحق له في الحياة دون ان نسأل انفسنا : ومن الذى له حق العطاء في تقرير الحياة للآخرين ؟

وكان هناك تصنيف ثالث: هو ورقة فلسطين؟ • هناك من يقفون وراء فلسطين وهناك من يوقفون سير فلسطين •• وهناك من لا شأن لهم بهذه القضيه أن اسرائيل نفسها لا تستطيع أن تتجاهل فلسطين • أى لا تستطيع أن تتجاهل انها أكلت أرضاً وابتلعت شعباً ونهبت حقاً وخلقت عداء واسالت دماً فاسرائيل نفسها تلعب بورقة فلسطين • فكيف يتجاهلها العرب ؟ ولكن التصنيف كان يتحتم أن ينقسم العرب معسكرين: مع فلسطين وضد فلسطين • ويجهد هواة السياسه في اطلاق التسميات على الدول العربيه • ويجيء اطلاق التسميات مثل اطلاق الرصاص: مدوياً دامياً ظالماً أيضاً •• فاذا عدنا الى الدول التي تنطبق عليها هذه التصنيفات الغريبة العجيبه وجدنا أن كل دول النفط قد استحقت وحدها هذه اللعنات فهي الرجعيه المتخلفه المتجاهله لقضية فلسطين ••

وبذلك نحذف من القوى العربيه والطاقات العربيه جانباً كبيراً هائلاً نحن في حاجه اليه •• اننا حذفنا كل العرب • واضفناهم دون وعي الى الجانب الاسرائيلي وبذلك يكون اعداؤنا أو القوى المضاده لنا أو التي ضدنا والتي ليست معنا: اسرائيل والعالم العربي • فاى مكسب في ذلك؟ لا مكسب طبعاً • وانما خساره مؤكدة • ونعود الى التصنيف فنجد أن المملكه السعوديه استحقت أن تكون قمة الرجعيه • وبعدها الكويت ثم ليبيا • ولذلك كانت الحملات عنيفه عليها • قاسيه جائره • مع أن السعوديه ودول الخليج التي اتهمت بالرجعيه والخيانه هي التي كانت وقفتها ووحدتها الرائعه قبل حرب اكتوبر وبعدها مصدر فخر ونصر للعرب • ولا تزال • ووقعت النكسه التي هزت العالم العربي كله وفتحت بطن الارض تحت اقدامنا لتنهار جسداً وروحاً وشرفاً وأملاً •• الى أن ادركنا فضل الله • وانتشلنا من هذه الهوة السحيقه بانتصارات اكتوبر العظيمه • فالحمد لله ••

وانعقد في الخرطوم مؤتمر القمه • وحضره جمال عبد الناصر بطلاً والملك فيصل رحمة الله عليه والملك حسين • ولم يتمكن السنوسي ملك ليبيا من الحضور بسبب المرض •

أمّا سوريا فرفضت المشاركه في المؤتمر وأن كانت قد أوفدت وزير خارجيتها ليكون على مقربه من المؤتمر يشاهد ولا يشارك ...

واستقبلت السودان جمال عبد الناصر استقبالاً رائعاً أدهش العالم كله حتى أن مجلتين أمريكيتين هما (نيوزويك) و (تايم) وصفتا هذا الاستقبال : بأن السودان خرجت لاستقبال المغلوب كما تستقبل الغزاة الفاتحين .. وفي مؤتمر الخرطوم التقى جمال عبد الناصر بقمة الرجعيه العربيه : ولم تكن هناك شماته في مصر . ولا فرحه بهزيمة جمال عبد الناصر . وانما كان هناك موقف اندهش له جمال عبد الناصر . فقد قررت السعوديه والكويت وليبيا دعم مصر بما يوازى دخل قناة السويس ولم يكن جمال عبد الناصر يتوقع أوحتى يطمع في أكثر من خمسة ملايين أو عشرة ملايين من الجنيهات ..

ومن الذى بعد أهذه المبادره الكريمه ؟ انه الملك فيصل . فهو الذى قرر أن يدفع خمسين مليوناً من الجنيهات .. وبروحه الرقيقه ومودته الغامرة طلب من الكويت أن تدفع خمسه وخمسين مليوناً ... ومن ليبيا أن تدفع ثلاثين مليوناً . على أن توزع هذه المبالغ على مصر والاردن .. وكان الملك فيصل قليل الكلام . ولكنه اذا تكلم ففي كلماته القليله مايوزن بالذهب أو بالماس . والذى يعرف الملك فيصل كما أعرفه يجد أن هذا الرجل قد علمته الحياة الكثير وعلمته تجارب السياسه ومخالطة الشخصيات العالميه أن يكون صبوراً وأن يكون حليماً . وأن يجد لكل انسان عذراً . ولعله قد اهتدى الى ذلك كله عندما جلس في مواجهة جمال عبد الناصر في السودان ! فهو أمام زعيم عربي . وأمام شخص مهزوم جريح جرحاً عميقاً . وأمام أقسى أعدائه وأعنفهم . ولكن الموقف يقتضي أن تمتد الايدى وتأخذ بيد القائد المقهور . وتلك صفات الرجل العربي الاصيل . وكان الملك فيصل هو هذا الطراز من من الرجال : الذى لا تملك الا أن تحترمه وتحبه . ومن الغريب أو من المفارقات أن جمال عبد الناصر نفسه قد وصفه بالرجعيه أما الذى وصفه

فهو النظام الحاكم في سوريا • فالمؤتمر كله من وجهة النظر السوريه رجعي متخلف انهزامي انعزالي تصفوى • ففي داخل المؤتمر جلس جمال عبد الناصر امام الرجعيه العربيه التي قررت ان تدعمه دون ان تمن عليه • وخارج المؤتمر في الخرطوم يرى ابراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا وصلاح جديد في دمشق ان جمال عبد الناصر رجعي • ولذلك لم تشأ سوريا ان تشترك في هذا المؤتمر • واستدعي جمال عبد الناصر وزير الخارجيه ابراهيم ماخوس وساله : وانتم لماذا لا تشتركون معنا ؟

فاجاب ماخوس: انا موافق على الاشتراك •

وساله جمال عبد الناصر : وما رأى صلاح جديد في دمشق ؟

قال ماخوس: هو ايضا موافق •

وساله جمال عبد الناصر : وما رأى الدكتور الاتاسي ؟

فاجاب ماخوس: هو ايضا موافق ••

وقال جمال عبد الناصر : اذا كنتم جميعا موافقين فلماذا الوقوف في الكواليس؟ ولكن التعليمات في ذلك الوقت هي ان تقف سوريا بعيدا ••

وكان السوفيت في ذلك الوقت يحاولون ضرب مصر بسوريا • اى ضرب جمال عبد الناصر بصلاح جديد •• كما حاولوا ان يضربوني بالرئيس حافظ الاسد • وهذه المحاوله فشلت تماما •• فالرئيس الاسد صديقي • وقد اشتركنا معا في الاعداد والاستعداد والنصر في حرب اكتوبر ومازلنا معا في خطة السلام •• وكان لجمال عبد الناصر ضعف خاص بالنسبة لسوريا – وهذا معروف •• وكان عنده ضعف ايضا بالنسبة للاردن • ويشعر نحوها بكثير من الاسى والمراره •••• بالاسى العميق لما اصاب الاردن • والمرارة بسبب هزيمة الاردن في الحرب وكان يتولى قيادة قواتها ضابط مصرى كبير هو عبد المنعم رياض •• ومما يذكر للملك حسين حقا انه هو الذى سلم القياده لعبد المنعم رياض • وقد دخل الحرب من اول لحظة في مصر • ومن الانصاف ان اقرار ان ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل في ذلك الوقت قد

تعهد الملك حسين بأنه لن يمس الارض الاردنية ولن يطلق عليها رصاصة واحدة اذا لم تدخل الاردن هذه الحرب • ولكن الملك حسين كان موقفه واضحاً وشريفاً •• وكانت مسؤولية مصر فادحة في المعركة الاردنية •• وبانتهاء مؤتمر الخرطوم عاد جمال عبد الناصر الى القاهرة واشهد الله أن الرجل قد تأثر تأثراً عميقاً بالغاً لما حدث في الخرطوم فالذى حدث لم يكن سهلاً على نفسه • فقد الجأته الهزيمة الى أن يواجه كل الذين اتهمهم بالرجعية والعمالة والخيانة • ولم يجد واحداً منهم شامتاً أو متعالياً أو واحداً ينتهز هذه الفرصة ليركله يسقط حتى الموت • وانما الذى فعله الملك فيصل وبمبادرة منه هو قد أصاب (شغاف قلب) جمال عبد الناصر ••

صحيح أن جمال عبد الناصر قد انهزم في ٥ يونيو • ولكن مؤتمر الخرطوم كان هزيمة معنوية أخرى ••فقد سقطت أمامه في لحظة واحدة كل التصنيفات والاتهامات والصور الكاذبة التي الصقتها أجهزة الاعلام المصرية بكل هؤلاء الاشقاء العرب ••

ولذلك وجدت جمال عبد الناصر عندما عاد الى القاهرة قد تقدمت به السن خمسين عاماً أخرى • وقد صارحني جمال عبد الناصر بكل هذه المعاني الاليمة •وصارحني بأنه أخطأ فهم (هؤلاء الناس) وانه من الواجب الا نستمر في هذا الخطأ • وأن الذى فعلوه في الخرطوم كان دشاً بارداً وأننا يجب أن نستمر الى هذا المستوى العربي الرفيع •• والذكر • وللتاريخ أيضاً • انه اشتد على سامي شرف وقال له أمامي وبوضوح تام: لا هجوم على السعودية • وهجوم على ليبيا • ولم يكتف بهذا الامر القاطع وانما قال أيضاً: ومنذ هذه اللحظة • ولكن للأسف الشديد دخل جمال عبد الناصر في تلك المرحلة التي كان يقال له فيها : حاضر يا افندم •• ثم لا ينفذون له أمراً • فقد ظلت أجهزة الاعلام ماضية في طريقها • فلم تصلها بعد قرارات جمال عبد الناصر بايقاف الحملات الموجهة ضد الرجعية العربية

الخائنه .. في السعوديه وفي ليبيا ؟

وكذلك مضت أجهزة المخابرات المصريه في نشاطاتها في السعوديه فهذه الأجهزه أيضاً تتلق بحمد أوامر جمال عبد الناصر . ورأى جمال عبد الناصر أن يصلح مافسد بين مصر والسعوديه بصوره واضحه فوجه الدعوة الى الملك فيصل أن يزور مصر لحل جمال عبد الناصر أن يوعد له أن صفحة جديده قد افتتحت . وأن جمال عبد الناصر قد كتب الكلمات الاولى في السطر الاول من هذه الصفحه لا هجوم على السعوديه . وجاء الملك فيصل الى مصر . وبعد العشاء وفي صوت هادىء نبرة حكيمه وعلى مسمع من كثير من الحاضرين وكلهم أحياء الآن ، قال الملك فيصل : يافخامة الرئيس مايزال الهجوم علينا عنيفاً . ومازال بعض المصريين يحطون ضدنا في بلادنا . وكان ذلك في بيت جمال عبد الناصر . فقد كانت حفلات العشاء بعد النكسه تقام في بيته . وجاءت هذه الكلمات الهادئه مثل قنابل شديدة الانفجار وتسللت الى عروق جمال عبد الناصر ! فاحمر وجهه وتفجر غضباً وهو يقول : انني ارجوك ياجلالة الملك أن تشير الى اى شخص يرتكب مثل هذه الاعمال او الاقوال في مصر او في اى مكان وانا ابعثه اليك لتحاكمه .. حتى لو كان ذلك الشخص احد السادات . وكان جمال عبد الناصر يعلم مدى صداقتي للملك فيصل انها لا تقل في قوتها وعمقها وحرصي عليها . من صداقتي لجمال عبد الناصر نفسه .. ولاول مرة اسمع جمال عبد الناصر يقول . هذه الكلمة : تويه ..

وهو يقصد أن يتوب عن مهاجمة جمال في وزن الملك فيصل .. وقد رويت هذه الواقعه لمعمر القذافي الذى يبشر ويبشرون له بوراثة جمال عبد الناصر .. وقلت له أن جمال عبد الناصر نفسه عدل عن المواقف العنيفه غير المحسوبه . هذا بالنسبة للملك فيصل . اما بالنسبة للملك الليبي ادريس السنوسي فله قصة

أخرى . وهذه القصة هي بداية خيط في ذلك الثوب المهلهل الذى ترتديه العلاقات المصريه الليبيه .. وأن لم يكن هذا الخيط واهياً . أول الأمر .. فقد أحتاجت مصر الى السلاح . ولا بد أن تشتريه من الاتحاد السوفيتي نقداً وبالعملة الصعبة . ولم يجد جمال عبد الناصر زعيماً عربياً يتجه اليه سوى الملك ادريس السنوسي . فقد كانت علاقة مصر بكل الدول العربيه والغربيه مقطوعه تماماً . وقيل السوفيت أن المبلغ المطلوب عشرون مليوناً من الجنيهات . وأرسل الملك ادريس ناظر الخاصه الملكيه بشيك بمبلغ عشرة ملايين من الجنيهات كدفعه أولى . على أن يدفع الباقي بعد ثلاثة شهور . أى عندما تدفع شركات البترول أقساطها ولم يتردد الملك السنوسي لحظة واحده . ولا فكر ولا تردد وانما أستجاب فوراً . هذا المبلغ هو الذى وصفه معمر القذافي بعد ذلك أمام جمال عبد الناصر في مفاوضات قصر القبه بأنه كان : صدقة من ليبيا ..

ولم يكد جمال عبد الناصر يسمع هذه الكلمه حتى جمع أوراقه وسحب مقعده وخرج من القاعة في حالة من الغضب هزت نبراتها سماعه التليفون وهو يروى لي هذه الاهانة الاليمة والتي لم يكن يتوقعها من القذافي بالذات . أو أن يكون ذلك في مصر وفي مواجهة جمال عبد الناصر وعلى مسمع من الوفدين المصرى والليبي ...